جامعة ام درمان الاسلامية

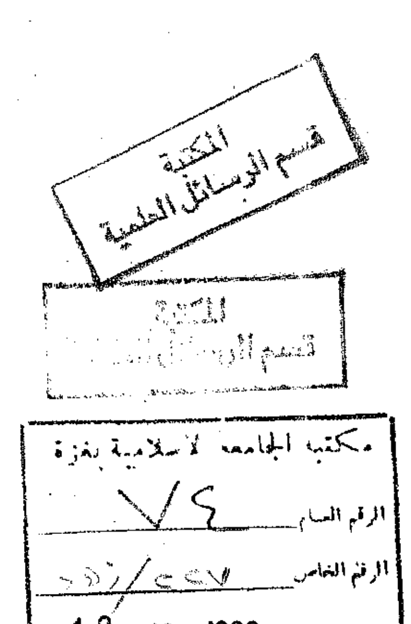
كلية أصـول الدين والتربية

قسم الدراسات العليا

عنوان الرسـالة

فضيلة التوكل في القرآن الكريم والسنة المطهرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
بـ "شعبة التفسير وعلوم القرآن"



إعـــداد الطالب :

عصام العبد محمد زهـــد

إشـــراف

فضيلة الدكتور : يوسف أحمد علمي



١٤٠٩ ـ ١٤١٠هـ

١٩٨٩ ـ ١٩٩٠م

الاهـــــداء

أهدى ذخيرة جهدى بهذا العمل المتواضع ... الى والدى الكريم ووالدتى الحنونة ، لما لهما من الفضل الكبير ، اذ ربيانـــى صغيرا ، ووجهانى التوجيه السليم ، والى اخوانـــــى وأخواتى الاعزاء ....

والى زوجتى الصابرة التى شاركتنـــى اعباء الحياة الدراسيـــة منذ بداية المرحلة الجامعية ....

والى انجالى الاحباء عبدالباسط ودعــاء ....

داعيا المولى عز وجل أن ينتفع به الجميع وأن يجعله فـــى ميزان الحسنات يوم العرض الاكبر ....

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

ان الحمد لله رب العالمين ، حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيـــم سلطانه ، الذى هدانا لهذا الدين القويم والصراط المستقيم ، فحمده على ما انعمه علينا واسداه ، فأنار قلوبنا بنور الإيمان وهدانا بهدى الإسلام ٠

ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضـــل له ، ومن يضلل فلاهادى له ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له فـــــى الملك والحكم والسلطان ، وان محمدا عبده ورسوله وحبيبه ، الداعى الى ديـــن قويم والهادى الى صراط مستقيم ٠
ارسله الله بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا للبشرية باسرها ، ورحمة للعالميـن ، وقدوة للمؤمنين ، واماما للمتقين ، ومنارا للمجاهدين ، اللهم صلى على هــــذا النبى الكريم وعلى آله وصحبه ومن سار على منهجه واتبعه باحسان الى يـــــوم الدين ٠
وبعــد :

فان اعظم مايبذله الانسان من الاوقات والاعمال والمال ما كان فى معرفـــة الله سبحانه ومعرفة ما اوصى به الى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وان اعظم العلوم وأفضلها ، ما كان متصلا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما كان موضحا لقواعد الايمان وشعبه ٠

وان من شعب الايمان ، التى ينبغى للمسلم ان يتمسك بها ، ويحافظ عليهـــا بحيث تظهر فى سلوكه " فضيلة التوكل على الله " ، وذلك لما لها من الاهمية فى حياة الفرد والمجتمع ، ولاهتمام القرآن الكريم بها ، قال تعالى : " وَعَلَى اللَّـــهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"(1) وقال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيـــنَ"(1)

---

١) سورة آل عمران اية : ١٦٠
٢) سورال المائدة اية : ٠٢٣

وخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا "(1) . وقوله تعالى : "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"(2) .

وجاء في صفات المؤمنين انهم على ربهم يتوكلون فقال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"(3) .

ولذلك كان من الاهمية ، ان يعرف المؤمن حقيقة التوكل ومقوماته ومستلزماته ومنزلة اهل التوكل في الدنيا والاخرة ، وان الانبياء والمرسلين هم القدوة الحسنة في هذه الفضيلة السامية .

ويزيد في الاهمية لهذا البحث انه كشف الشبهات والاراء الخاطئة التي قيلت حول هذه الفضيلة والتي كانت سببا في انحراف بعض الناس عن حقيقة هذا المقام المحمود ففهموه على غير مراد الله ، فمنهم من أعتقد ان التوكل هو ترك الاسباب والخروج الى الصحاري والقفار بلا زاد ولا راحلة ، واهملوا الإعداد والعدة في ملاقاة الأعداء ، وتركوا الاعتناء باجسامهم نهبا للامراض دون استعمال الدواء ، وظنوا بصنيعهم هذا انهم في غاية التوكل ، وهم في الحقيقة في غاية التواكل .

وهناك قسم اخر على النقيض تماما من اولئك ، فغفلوا عن هذا المقام المحمود وهجروه بالكلية واعتقدوا ان بذل الاسباب وحده كاف لقضاء حوائجهم وتحقيق مطالبهم فنسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون .

وهكذا ضاعت هذه الفضيلة السامية بين الافراط والتفريط والجهل والتجاهل مما اوجب ابراز هذه الفضيلة في بحث مستقل لتعم الفائدة الناس جميعا .

---

1) سورة الفرقان اية : ٥٨ .
2) سورة الشعراء اية : ٢١٧ .
3) سورة الانفال اية : ٢ .

فكان هذا الجهد المتواضع حسب قدرتي وامكانياتي متوخيا فيه الصواب والحق ومجانبا للزلل والخطأ ، فان اصبت فمن الله وان اخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

اسباب اختيار البحث:

١) انتشار بعض المفاهيم الخاطئة عن موضوع " التوكل " عند بعض الناس في مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة ، شجعني للكتابة في هذا الموضوع ، لكي نعالج مشكلة معاصرة يقع فيها بعض الشباب المسلم ، ولذلك تحتم كتابة هذا البحث لكي يكون تصويبا لهذه المفاهيم البالية .

٢) اعتناء القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذا الموضوع ، مما يدل على اهميته حيث انه ذكر في كثير من السور القرآنية حتى بلغت الايات التي تتحدث عنه وتمسه بصورة مباشرة حوالي سبعين اية .

٣) أن موضوع " التوكل " لم يتطرق اليه الباحثون من قبل بصورة "تفسير موضوعي" في رسالة علمية متخصصة ، تبرز مكانة هذا الموضوع وتُفَرِّدُهُ في بحث مستقل .

٤) انتهاء "فضيلة التوكل" عند الكثير من الناس ممن لايعرفون من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الكريم الا رسمه جعلني اكتب هذا البحث لكي يكون هاديا لامثال هؤلاء في حياتهم ومنيرا لهم طريق الحق والرشاد .

٥) الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انه القدوة الحسنة لنا في توكله على الله .

٦) ارتباط قضية التوكل بايمان الانسان مباشرة لذلك فهي قضية هامة شجعتني ان اتناول هذا الموضوع في بحث علمي مستقل لكي ينتفع به الجميع .

٧) تزويد المكتبة الاسلامية بهذا اللون من الدراسة القرآنية المتخصصة في التفسير الموضوعي .

اهمية هذا البحث :

١) قيمته العلمية الكبيرة حيث ان المادة العلمية جُمعت واستُنبطت من مصادر ومراجع اساسية وهامة سواء فى التفسير او الحديث او كتب اللغة والتراجم او كتب العقيدة والتصوف ، مع الرجوع الى بعض الكتب الثقافية الحديثة .

٢) حيوية هذا البحث واحتياج الناس اليه اذ انه يعالج مشكلة تهدد حياة المجتمع وعزته وكرامته ، ان هم ابتعدوا عن فضيلة التوكل على الله .

٣) ارتباط موضوع " التوكل " بالعقيدة الاسلامية ارتباطا مباشرا مما اكسبه اهمية كبرى .

٤) مناقشته لبعض الشبهات والاراء الخاطئة التى أُلصقت " بالتوكل " والرد عليها بالادلة الشرعية والبراهين العلمية .

٥) احتواؤه على معان غزيرة ومعالم بارزة كثيرة مفيدة للقارئ حول موضوع التوكل.

أهداف البحث :

١) العمل على كشف السبيل الصادق الذى يربط المسلمين بحقيقة العقيدة الاسلامية.

٢) الكشف عن اهمية فضيلة التوكل فى اخلاق الفرد والمجتمع وربط الناس بها فى سائر اعمالهم .

٣) العمل على بيان ان الحلول التى عرضها القرآن انما هى دواء وشفاء لامراض الامة التى اعترتها على مرّ الزمان .

٤) التحذير من الاراء المغلوطة والعمل على تعريتها وابطالها بالحجة والبيان القائم على الادلة الشرعية فى كتاب الله وسنة رسوله .

٥) ازالة ما التبس على كثير من الناس حول مفهوم التوكل وذلك بتوضيح حقيقة التوكل كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٦) غرس الاخلاق الاسلامية والفضائل السامية فى نفوس القُرّاء ، وخاصة فضيلة التوكل على الله التى يتحقق بها النصر والثبات وكفاية ورعاية الله للمؤمنين.

منهج البحث :

لقد نهجت فى كتابه هذا البحث منهجا مبنيا على الاستقراء والاستقصاء ، حول الايات والاحاديث ، وكل مبحث ومطلب فى هذا البحث ثم تمت الصياغة الاخيرة بقدر ما فهمت حتى اخرج بهذه الصورة بعد ان اتبعت الاتى :-

١) جمعت الايات القرآنية والاحاديث النبوية التى تتحدث عن موضوع " التوكل " على الله وصنفتها حسب موضوعاتها وموقعها فى فصول البحث .

٢) جعلت الايات القرآنية ، بين اقواس وأشرت فى الحاشية الى اسم السورة التى توجد بها الاية ورقمها المتسلسل فى السورة.

٣) كنت اطلع على اقوال المفسرين حول الايات ، والوقوف على الدروس والعبر والمعالم التى فى الايات مع استنباط بعض الايحاءات من خلال النصوص ، والربط المتين بين هذا وذاك .

٤) كنت اتجاوز عن المسائل التى لاتهمنا فى هذا البحث خوفا من ايجاد السآمة والملل عند القارئ والاطالة الغير مجدية عليه .

٥) المسائل المختلف فيها كنت اذكر اقوال العلماء المختلفة وادلتهم ثم ارجح حسب مايبدولي ، مع ذكر أدلتي من الكتاب والسنة ومناقشة أدلة الاراء الاخرى ، مُبَيّناً نقاطَ الضعف فيها وعدم صلاحيتها ، وكنت كثيرًا أدعم ترجيحى باقوال المفسرين والعلماء القدامى واحيانا اكتفى بادلة الرأى الراجح فى تلك المسائل .

٦) كنت اجتهد كثيرا فى استخراج واستنباط العناوين البارزة والثانوية فى هذا البحث ، بحيث تكون متناسقة فى كل موطن من جسم هذا البحث ٠

٧) استغنت كثيرا بالاحاديث النبوية الشريفة كشواهد من السنة المطهرة لتدعيم الاراء وتشبيتها عند القارىء وذلك للفائدة والاقناع ، مع العلم اننى كنت اقوم بتخريج الاحاديث والاشارة فى الحاشية الى مواطن وجود الحديث٠

٨) زيادة فى الحرص قمت بتشكيل جميع آيات البحث التى وردت فى الرسالة خوفا من وقوع الخطأ فيها وتسهيلا على القارىء فى النطق ٠

المصادر والمراجع:

اعتمدت فى بحثى على كتاب الله الخالد ـ القرآن الكريم ـ الذى لاتنقضى عجائبه والذى يمتاز بخاصية الشمول وحفظ الله له قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "(١) ٠ وانه الكتاب الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٠

وقد استعنت بمراجع كثيرة ، منها القديمة والحديثة ، وكان اعتمادى على الكتب القديمة اكثر من الحديثة ، وذلك لانها امهات الكتب والمراجع الاساسية لعلوم الاسلام٠

وكان من اهم الذى رجعت اليه من امهات الكتب ، كتب التفسير والحديث والسيرة والعقيدة وكتب الفكر الاسلامى والمعاجم والتراجم وكتب اخرى حديثة تطلبتها طبيعة البحث حتى بلغت حوالى الخمسين ومائة مرجع فى هذا البحث ٠

خطة البحث:

قمت بتقسيم بحثى هذا الى مقدمة وخمسة فصول رئيسية وخاتمة الحقتها

---

١) سورة الحجر اية : ٠٩

بعدة فهارس .

الفصل الاول : فقد تحدثت فيه عن حقيقة التوكل ، حيث قسمته الى ستة مباحث ، المبحث الاول : وفيه معنى التوكل لغة واصطلاحا والمبحث الثاني: وفيه بيان التوكل واصوله وانواعه ومكانته واهميته وفيه ثلاثة مطالب . والمبحث الثالث : يتحدث عن ضرورة التوكل لعباد الله وفيه مطلبان . والمبحث الرابع: فيه بواعث التوكل وموانعه . اما المبحث الخامس : يتحدث عن الفرق بين التواكل والتوكل وفيه ثلاثة مطالب . اما المبحث السادس : بينت فيه حكم التوكل والتواكل .

الفصل الثاني : وهو عبارة عن لوازم التوكل ، وهي بمعنى مقومات التوكل ، ويتكون من ستة مباحث اساسية وهي كالتالي :-

المبحث الاول : يتحدث عن المعرفة بالله وصفاته ، ويتكون من ثلاثة مطالب، والمبحث الثاني : الاخلاص في التوحيد لله ، وهو عبارة عن مطلبين . اما المبحث الثالث : ويعني الاستسلام لله وحسن الظن به ، ويتكون من مطلبين ، والمبحث الرابع : وهو الاخذ بالاسباب ، ويتكون من ست نقاط هامة . والمبحث الخامس : تحدثت فيه عن السعي لكسب الرزق وفيه ثلاثة مطالب ، اما المبحث السادس : تحدثت فيه عن " التفويض " وفيه ثلاث نقاط هامة .

الفصل الثالث : فهو يتحدث عن منزلة التوكل والمتوكلين ، وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الاول : تحدثت فيه عن اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا ، اما المبحث الثاني : فهو يوضح مكانة المتوكلين بين اهل الايمان وصفاتهم التي امتازوا بها ، وفيه مطلبان ، اما المبحث الثالث : فهو يتحدث عن الاثار الحميدة لفضيلة التوكل في الدنيا والاخرة ، ويتكون من مطلبين .

اما بالنسبة للفصل الرابع : فقد ذكرت فيه نماذج من اهل التوكل فى القرآن الكريم ، وجعلته فى مبحثين ، الاول منهما تكلمت فيه عن مواصفات الانبياء وتوكلهم وفيه ثلاثة مطالب ، اما المبحث الثانى : فهو يتحدث عن عدد من الانبياء صلوات الله عليهم ، مركزا الحديث على " فضيلة التوكل " التى هى السمة الغالبة لجميع الانبياء عليهم السلام ٠

اما بالنسبة للفصل الخامس : الذى هو الاخير فى هذا البحث ، فهو يتكون من مبحثين ، الاول منهما ، تحدثت فيه ، عن سبع شبهات قيلت حول التوكل، قمت بدحضها ، والعمل على ابطالها بالحجة والبيان المستند الى الادلة الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، اما المبحث الثانى : فقد ذكرت بعض الاقوال والاراء الخاطئة التى قيلت حول التوكل موضحا الخطأ ليتجنبه القارئ ، ويعرف انه ليس من التوكل فى شئ ٠

واخيرا جعلت خاتمة للبحث تتحدث عن اهم النتائج التى توصل اليها الباحث من خلال الاطلاع، والكتابة لهذا الموضوع فكان فيها ، نتائج عامة ونتائج خاصة ، ثم ذكرت فيها بعض التوصيات الهامة والمفيدة لطلبة العلم ٠

واستكمالا للبحث واتماما للفائدة اتبعت الخاتمة بخمسة فهارس وهى كالتالى :ـ

١) فهرس الايات القرآنية ٠
٢) فهرس الاحاديث النبوية ٠
٣) فهرس تراجم الرجال ٠
٤) فهرس المصادر والمراجع ٠
٥) فهرس الموضوعات ٠

وفى الختام لايسعنى الا ان اتقدم بخالص الشكر ، وعظيم تقديرى واحترامى

للقائمين على امر جامعة ام درمان الاسلامية وخاصة كلية اصول الدين والتربيـــة ، وعلى وجه الخصوص قسم التفسير وعلوم القرآن ، وقسم السنة النبوية وعلـــــوم الحديث ، وكل الاشخاص الذين لقيت منهم التوجيه والارشاد والعون فى كتابـة هذا البحث .

كما واخص بجزيل شكرى وعظيم تقديرى واحترامى لاستاذى الفاضل الدكتـور / يوسف احمد على ، المشرف على هذه الرسالة والذى وجدت منه عظيم الرعايـة والعناية والتوجيه والارشاد من بداية الكتابة فى هذا البحث الى ان اصبح بهذه الصورة التى نسأل الله سبحانه وتعالى قبولها وان يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

كما وان الشكر موصول للاخ الدكتور : احمد على الامام ، امين هيئة علماء السودان لما بذل من جهد ، وما خصنى به من نصيحة ، ولما افادنى مــــن ارشاداته وتوجيهاته القيمة قبل البدء فى كتابة هذا البحث فجزاه الله عنا وعن العلم خير الجزاء .

كما واتوجه بالشكر والعرفان والتقدير والاحترام للشعب السودانى المسلـــم الكريم ، صاحب القلب الطيب الذى احاطنا بالرعاية والكرم والاحترام طيلــــة فترة تواجدنا فى السودان الشقيق .

وفى الختام أسال الله سبحانه وتعالى ان يتقبل منى هذا العمل المتواضع وان يعفو عما وقع فيه من السهو والخطأ انه سميع قريب مجيب الدعاء .

الباحث الفقير الى الله
عصام العبد زهـــد

الفصل الاول

حقيقة التوكل

الفصـــل الاول

حقيقة التوكـــــل

المبحث الاول : معنى فضيلة التوكل لغة واصطلاحـــا

المبحث الثاني : بيان فضيلة التوكل واصولها واهميتها

المطلب الاول : بيان فضيلة التوكل فى القرآن السنة
المطلب الثانى : بيان اصول التوكل وانواعـــــــــه
المطلب الثالث : بيان مكانة التوكل واهميته

المبحث الثالث : ضرورة التوكـل

المطلب الاول : ضرورة التوكل لعباد الله

المطلب الثاني: العباد درجات فى التوكل.

المبحث الرابع: : بواعث التوكل وموانعـــه

اولا : البواعث

ثانيا : الموانع

المبحث الخامس : التوكل والتواكل

المطلب الاول: الفرق بين التوكل والتواكل
المطلب الثاني: التوكل يزيد وينقص
المطلب الثالث : التوكل والرهبانية

المبحث السادس : حكم التوكل والتواكل

اولا : : حكم التوكل.

ثانيا : حكم التواكل.

المبحث الاول

معنى فضيلة التوكل في اللغة والاصطلاح

اولا : في اللغة :

التوكل مشتق من الفعل (وَكَلَ) المكون من الحروف الثلاثة وهي الواو والكاف واللام وهو يدل على اعتماد غيرك في أمرك.(١)

و" وَكَلَ بالله " و " يكل" و " وكلاً " بمعنى استسلم إليه وفوضه في الامر واكتفى به ، وكيلا بالقيام بالامر الذي وكله فيه باحسن وجه.(٢)

و " الوكيل اسم من اسماء الله تعالى الحسنى ، ويعنى القائم بتدبير الخلق، الكفيل بارزاق العباد(٣) ، قال تعالى في كتابه الكريم " ... وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "(٤) .

وقال الفراء* " الوكيل " الكافي ، وقال ابن قتيبه** هو الكفيل ، ووكيل الرجل في ماله هو الذي كَفَلَهُ له وقام به.

---

١) انظر معجم مقاييس اللغة ، لابي الحسين بن زكريا ، ضبط عبد السلام هارون ، مجلد: ٦ ، ص:١٣٦ ، ط(لايوجد) دار الكتب العلمية.

٢) المعجم الوسيط ، ج:٢ ، ص ١٠٥٤ ، ط: (لايوجد) احياء التراث الاسلامي ، قطر، ايضا انظر القاموس المحيط ، ج: ٤ ، ص ٦٧ ، ط: (لايوجد) دار الجيل بيروت .

٣) انظر لسان العرب ، ج:٦ ، ص ٤٩٠٩ ، ط(لايوجد) دار المعارف بيروت وايضا المعجم الوسيط ، ج:٢ ، ص ٤ ١٠٥٥ ، ط ، ٢ ، وايضا تفسير الجامع لاحكام القرآن ، ج ٤ ، ص:٢٨٢ ، ط (لايوجد) دار الكتاب العربي ، بيروت.

٤) سورة آل عمران اية : ١٧٣ .

* الفراء : هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي المسمى بابي زكريا ويعرف بالفراء كان اعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي وكان فقيهاً متكلماً وعالماً باخبار العرب وبأيامهم ويميل للاعتزال من شيوخه السكائي ومن مصنفاته " غريب الحديث" ومعاني القرآن ".
ت في طريقه الى مكة ٢٠٧ هـ ، انظر البداية والنهاية ٢٦١/١ ،والاعلام للزركلي ١٤٦/٨ ، ط:٣ ،وتهذيب التهذيب ٢١٢/١١ ، وطبقات المفسرين للداودي (٣٦٦/٢ ، ٣٦٧) ، رقم : (٦٨١) .

** ابن قتيبة : هو عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدّينوريّ النحويّ اللغوي عاش ببغداد وكان رأساً في اللغة العربية وبتاريخ وايام العرب قال عنه ابو داود ثقه وقال الذهبي : ماعلمت احداً اتهم القتيبي في نقله وقال البيهقي : كان كرامياً ، وقال الدارقطني : كان يميل الى التشبيه وقال الحاكم : اجمعت الامة على انه كذاب ، حدث عن اسحق بن راهويه وغيره وعنه ابنه احمد وغيره . من مصنفاته " مشكل القرآن" و " مختلف الحديث " ولد ٢١٣هـ ومات ٢٦٧ هـ ، انظر شذرات الذهب ١٦٩/٢ وطبقات المفسرين للداودي ٢٤٥/١ ، ٢٤٦ رقم (٢٣٤) والبداية والنهاية ٤٨/١١ و بغية الوعاء ٦٣/٢ .

و " الوكيل " تعنى الكفيل بمصالح العباد وأرزاقهم وحقيقته أنه الذى يستقل بالامر الموكول اليه (١) سواء ماديا او معنوياً.

وجاء فى اللسان (٢) ايضا ان " الوكيل " بمعنى الكفيل وهى على وزن فعيل بمعنى مفعول كما جاء فى الحديث الشريف عن سهل بن سعد الساعدى * قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من توكل لى مابين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة" (٣).

وقال ابن الانبارى ** الوكيل ، بمعنى الحافظ فى قوله تعالى : " أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا" (٤) وايد ذلك الزجاج *** حيث فسر قوله تعالى : " قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ" (٥)

---

١) انظر تفسير زاد المسير ، ج: ١ ، ص ٥٠٥ ، للامام ابن الجوزى ، ط:٣(١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) المكتب الاسلامى.

٢) انظر لسان العرب ، ج:٦ ، ص ٤٩٠٩ ، ط(لايوجد) دار المعارف .

٣) اخرجه البخارى فى صحيحه ، ج:٨ ، ك :الحدود ، باب :١٩ ، ص ٢٠ ، ط(لايوجد) المكتبة الاسلامية .

٤) سورة الاسراء ، اية : ٢.

٥) سورة الانعام آية : ٦٦.

* سهل بن سعد الساعدى : هو سهل بن مالك بن خالد بن ثعلبه بن حارثة بن ساعده بن كعب ابن الخزرج الانصارى الساعدى ، قال : الزهرى ، رأى سهل النبى صلى الله عليه وسلم وسمع منه وذكر انه توفى صلى الله عليه وسلم وكان سن سهل خمس عشرة سنة ، وكان اسمه حزناً فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سهلاً ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أُبَيّ بن كعب وعاصم بن عدى وروى عنه ابن عباس والزهرى وحازم بن دينار وغيرهم ، قال الواقدى ت سنة ٩١ هـ وعمره كان ١٠٠ سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة.
انظر اسد الغابة لعزالدين بن الاثير الجزرى ، مجلد :٢، ص: ٤٧٢ رقم (٢٢٩٣) مطبعة دار الشعب وانظر ايضا تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، ص :٢٥٢ ، رقم(٤٣٠) ط: (١٣٢٥) مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة فى الهند .

** ابن الانبارى : هو ابوبكر محمد بن القاسم بن بشار النحوى ، صنف التصانيف الكثيره واسع الحفظ مع الصدق والدين ، املى غريب الحديث فى خمسة واربعين ألف ورقة وله كتاب الأضداد كبير جداً وشرح الكافى فى ألف ورقة وكتاب الجاهليات ، كان على رأس الكوفيين فى النحو ، ت ليلة عيد النحر ببغداد سنة ٣٢٨ هـ وعمره ٥٧ سنة .
انظر : تذكرة الحفاظ للذهبى ، مجلد : ٢ ، ج:٣ ، ص ٨٤٤ رقم الترجمة(٨٢١)ط(لاتوجد) دار الفكر العربى.

*** الزجاج : هو ابراهيم بن السرى بن سهل ابو اسحق الزجاج ، كان فاضلاً عالماً أخذ عن المبرد وعن ثعلبة مصنفاته " معانى القرآن " و " الاشتقاق" و " تفسير جامع النطق " ت ببغداد فى جمادى الاخرة سنة ٣١١هـ ، عن ٧٠ سنة ، سُمع عنه اللهم احشرنى على مذهب احمد بن حنبل ، انظر : البداية والنهاية ١٤٨/١١ وبغية الوعاه ٤١١/١ ، وتاريخ بغداد ٨٩/٦ وشذرات الذهب ٢٥٩/٢ ، وطبقات المفسرين للداودى ١/(٧ ـ ١٠) رقم(١٠).

اى لست عليكم حفيظًا فى أخذكم الإيمان وإنما أدعوكم الى الله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .[١]

و " الوكيل " تعنى الجرىء الذى يقوم بما وكّل به على أحسن وجه دون مراخاه أو تهاون فى الأمر الموَكّل إليه .[٢]

وقد تطلق كلمة " الوكيل " على الجمع فيُقال : هم وكيلٌ ، وتُطلق على الانثى فيقال : هى وكيلٌ ، وجمعها يكون على وزن فعلاء اى " وكلاء " .

وخلاصة القول فى : " الوكيل " انه الذى يوكل اليه الامر ويسلم له وهو على وزن " فعيل " بمعنى " فعول " او موكول اليه .

و " الوكيل " بالعمولة مصطلح يستعمل فى الاقتصاد السياسى : ويعنى شخص يعمل لحساب أخر بمقتضى عقد توكيل ويتعاقد باسمه الخاص .[٣]

و " للوكيل " اطلاقات ودلائل عدة فى القرآن الكريم فتطلق على الشىء ويكون معناها حسب مايتضمنه الكلام.

ولقد ذكر ذلك المفسرون من عدة اوجه :-

اولا: تطلق كلمة " الوكيل" ويراد بها الحفيظ الذى يرعى الامر ويعنى به ، وهو مأخوذ من قوله تعالى :" أَمْ مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيْلاً "[٤] يعنى حافظاً ومحامياً من بأس الله وانتقامه .[٥]

ثانيا: تطلق ايضا ويراد بها الرب : حيث حكى ابن الانبارى : فى قوله تعالى : " أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً "[٦] أن قومًا قالوا الوكيل بمعنى الرب[٧] وكذلك فى قوله تعالى : " لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيْلاً "[٨] اى ربًا.

---

١) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٣ ، ص ٦١.

٢) لسان العرب ، ج:٦ ، ص ٤٩٠٩ ، ط (لايوجد) دار المعارف .

٣) المعجم الوسيط ، ج:٢ ، ص ١٠٥٥ ، ط: ٢ ، احياء التراث الاسلامى ، قطر .

٤) سورة النساء ،آية : ١٠٩.

٥) انظر تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ، ج:١ ، ص ٢٨٤، ط(لايوجد) ، دار المعرفة ، بيروت .

٦) سورة الاسراء آية : ٣ .

٧) انظر تفسير زاد المسير ، ج : ١ ، ص : ٥٠٥ .

٨) سورة المزمل آية : ٩.

ثالثا : المسيطر : يأتي الوكيل بمعنى المسيطر في قوله تعالى : " وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ "(١) .

رابعا : الشهيد : حيث جاء في قوله تعالى : " وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ "(٢) فسرها قوله تعالى " وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "(٣) ، وقوله تعالى حكاية على لسان يعقوب عليه السلام : " قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ "(٤) ، وقوله تعالى حكاية على لسان موسى عليه السلام : " وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ "(٥) ، بمعنى شاهد وحفيظ(٦) .

خامسا : الناصر : تأتي كلمة الوكيل بمعنى الناصر لان الوكيل يَرْكَنُ إليه من يكل أَمْرَهُ إليه في تحقيق مُبتغاه فقيل هو وكيلٌ لفلان : اى ناصرٌ له ومعين(٧) .

سادسا : الرقيب : وهو المطلع على جميع الامور قال تعالى : " قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ "(٨) اى لست عليكم بحفيظ ولا رقيب على اعمالكم حتى اجازيكم عليها(٩) .

سابعا : وتطلق ويراد بها المانع : كما جاء في قوله تعالى " وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا "(١٠) اى مانعاً كما قال صاحب الكشاف إنْ توكلت على الله فان الله يكفيك معركتهم وينتقم لكم منهم ويمنعك شرهم(١١) .

---

١) سورة الانعام آية ١٠٧ .
٢) سورة هود آية : ١٢
٣) سورة البروج آية : ٩
٤) سورة يوسف ، آية ٦٦ .
٥) سورة القصص آية : ٢٨ .
٦) تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل ، ص: ٥١٤ ، ط: (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الفكر .
٧) معجم الفاظ القرآن الكريم ، ص ٧٣٧ ، ط(لايوجد) دار الشروق وايضا انظر التحرير والتنوير ، ج: ٤ ، ص ١٠٧ ، ط(لايوجد) الدار التونسية للنشر .
٨) سورة الانعام آية : ٦٦ .
٩) انظر سوسوعة اخلاق القرآن ، ج: ٢ ، ص ٢١٤ ، ط(لايوجد) الرائد العربي ، بيروت ، وايضا انظر فتح القدير ، مجلد : ٢ ، ص ١٢٨ ، ط(لايوجد) دار المعرفة .
١٠) سورة الاسراء آية : ٦٥ .
١١) انظر الكشاف ، ج: ١ ، ص ٢٨٤ ، للزمخشري ط(لايوجد) دار المعرفة بيروت .

من خلال ذلك يتضح ان التوكل هو إظهار العجز والاعتماد على الغير والاسم منه التكلان (١)، وحينما تقول اتكلت على فلان فى امرى ، فأنت تعنى اعتمدته وفوضته واصل الفعل (أَوْتَكَلْتُ) قلبت الواو ياءً لإنكسار ما قبلها ثم ابدلت منها التاء فادغمت فى تاء الافتعال (٢) •

"وتوكل فى الامر " اظهر العجز واعتمد على غيره (٣) •

و " توكل على الله " استسلم اليه وفوض امره اليه سبحانه والوصف متوكل (٤) •

و " المتوكل على الله" هو الذى يعلم ان الله كافل رزقه وامره فيركن اليه وحده ولا يتوكل على سواه •

و " التوكل " مشتق من الوكالة : وهى تعنى تفويض الامر الى الغير والاعتماد عليه فيه،فيقال وَكَّلَ أَمْرَهُ إلى فلان أى فوضه إليه واعتمد عليه ويُسمى الموكول اليه وكيلاً ويسمى المُفَوَّض إليه مُتكلاً عليه أو مُتوكلاً عليه ، لاطمئنان النفس إليه ووثوقها به فلم يُتَّهَم بتقصير او عجز او قصور (٥) •

وبناءً على ذلك يكون التوكل فى الدين ، هو تفويض الانسان أمره إلى ربه ويكتفى به فى جميع أموره ، لهذا جاء التوكل فى القرآن الكريم بلفظ التفويض قال تعالى : " فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" (٦) بمعنى اننى ارد امرى كله الى الله •

---

١) انظر لسان العرب ، جـ:٦ ،ص ٤٩٠٩ ،ط(لايوجد)دار المعارف وايضا انظر القاموس المحيط ،جـ:٤ ، ص ٦٧ ، ط(لايوجد) دار الجيل بيروت •
٢) الصحاح ، جـ:٥ ، ص ١٨٤٤ ، ط(لايوجد) دار الملايين وايضا انظر تفسير القرطبى ، جـ:٤ ، ص ٢٥٣ ، ط(لايوجد) دار الكتاب العربى•
٣) انظر المعجم الوسيط ، جـ:٢ ، ص ١٠٥٤•
٤) معجم الفاظ القرآن الكريم ، ص ٧٣٧•
٥) احياء علوم الدين ، جـ٤ ص ٢٥٣ ، ط(لايوجد) دار احياء الكتب العربية وايضا انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،جـ:٣ ، ص ٥٠٨ ، ط(لايوجد) دار الباز مكه المكرمة ، وايضا قطوف الادب النبوى مع مقدمة فى علوم الحديث ، ص٦٤ ط دار القرآن الكريم ، بيروت •
٦) سورة غافر آية : ٤٤•

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفوض أمره الى الله فى دعائه فيقول: " اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولامنجى منك إلا إليك . آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت "[١] .

مواضع التوكل :

ان التوكل اسم يطلق فى ثلاثة مواضع ذكرها الغزالى فى كتابه[٢] منها :-

١) موضع القسمة: وهو الثقة بوعد الله ، وأنه لايفوت الانسان ماقدّره الله له وأنّ حكمه سبحانه وتعالى لايتبدل وهذا واجب بالادلة الشرعية حيث قال تعالى : " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[٣] .

وجاء فى الصحيح " لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها واجلها "[٤] .

٢) موضع النصرة: وهو الاعتماد والوثوق بنصر الله عز وجل لمن استقام على منهج الله ، وعمل على نصرة شريعته وجاهد فى سبيل الله حق الجهاد ، وتوكل على الله،فان النصر باذن الله لآتٍ، قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "[٥] ، وقال تعالى : " إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ "[٦] ونصرة الله واجبة ، ونصره محقق لعباده المخلصين قال تعالى:"وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ "[٧] .

---

١) الحديث متفق عليه اخرجه البخاري،واخرجه مسلم ، ك: الذكر ، باب : ١٧ ،حديث ٥٦ .

٢) انظر منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية ، ص ٩٢ ، ص ٩٣ ، حققه محمد محمد جابر .

٣) سورة آل عمران آية : ١٨٥ .

٤) اخرجه ابن ماجة ، هكذا من حديث ج: ٢ ، ك: التجارات ، باب: الاقتصاد فى طلب المعيشة ص ٧٢٥ ، حديث رقم (٢١٤٤) .

٥) سورة آل عمران اية : ١٥٩ .

٦) سورة محمد آية : ٧ .

٧) سورة الروم آية : ٤٧ .

٣) موضع الرزق والحاجة:

ان الله سبحانه متكفل بأرزاق العباد لكى يتمكنوا من عبادته بشرط ان يأخذوا بالأسباب فى تحصيل الرزق قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ "(١).

وقال صلى الله عليه وسلم :"لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا "(٢).

ثانيا : معنى التوكل فى الاصطلاح :-

- عرفه ابو تراب* حينما سئل عن حقيقة التوكل فقال :

" التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والاطمئنان الى الكفاية فان أُعطى شكر وإنْ مُنع صبر راضياً موافقاً للقدر "(٣)

- وقال الامام احمد فى حقيقة التوكل :

" التوكل عمل القلب ومعنى ذلك انه عمل قلبى ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والادراكات "(٤).

- وعرفه الحسن البصري** بانه الرضا :

فقال: " التوكل على الله هو الرضا بفعل الله سبحانه وتعالى "(٥).

---

١) سورة الطلاق آية ٣.
٢) سنن الترمذى ، ج:٩ ، باب : ٣٣ ، ك: الزهد ، ص ٢٠٧.
٣) اللمع فى التصوف ، ص ٥١ ، لابى نصر الطوسى صححه نيكلسون ، ط: ١٩١٤م ، فى لندن .
٤) مدارج السالكين ، ج:٢ ، ص : ١١٤.
٥) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، ج:١ ، ص ٢٥٤ ، المكتبة الشعبية ، بيروت .

* ابوتراب : هو ابوتراب عسكر بن الحسين النخشبى من اجلة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والفتوه والزهد والتوكل والورع ، مات بالبادية ٢٤٥ هـ وكان يقول لاينبغى لفقير ان يضيف الى نفسه شيئا فى المال قط ، انظر الشعرانى ، ص ٨٣ .

** الحسن البصرى : الحسن البصرى بن أبي الحسن ابو سعيد كان من موالى زيد بن ثابت أعتقه الربيع بن النضر . وكان إماماً كبيراً عالماً عظيماً وزاهداً ورعاً وعابداً تقياً حدّث عن بعض الصحابة له باع طويل فى التفسير ولد لسنتين بقيتا فى خلافة عمر بن الخطاب ، ت فى رجب ١١٠ هـ .
انظر طبقات المفسرين للداودى ١٤٧/١ رقم(١٤٤) وحلية الاولياء ١٣١/٢ ، ١٦١ رقم (١٦٩) وشذرات الذهب ٣٦/١ - ١٣٨ ، وجمهرة الاولياء ، ج:٢ ، ص:(٨٠ - ٨٥) ط: (١٩٦٧م) مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة.

وجاء في لسان العرب :

" المتوكل على الله هو الذى يعلم ان الله كافل رزقه وأمره ، فيركن إليه وحده ولايتوكل على غيره "(١) .

- وعرّفه البيهقى فقال :

" التوكل هو طمأنينة القلب وسكونه الى موعود الله تعالى وذلك لايمنع الكسب من الحلال فيكتسب بظاهر العمل معتمداً بقلبه على الله لا على كسبه لعلمه بان لاحول ولاقوة الا بالله "(٢) .

- وقال الالوسى* في التوكل كلاما طيبا حيث انه ربط التوكل بالله وحده دون سواه فقال : " التوكيل " هو إظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفاء به في فعل ما يحتاج اليه وهو لايكون الا على الله سبحانه ولاينافى الأخذ بالأسباب بل يكون بمراعاتها مع تفويض الامر الى الله في كل امر "(٣) .

- ولخص ابن القيم** حقيقة التوكل فقال :

" التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضره مباشرة الاسباب

---

١) لسان العرب ، ج: ٦ ،ص ٤٩٠٩ ، ط(لايوجد) دار المعارف .

٢) الاربعون الصغرى ، تحقيق المراغى ، ص ١٨٣ ، ط:(لايوجد) احياء التراث العربى ، قطر .

٣) تفسير روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، مجلد : ٢ ، ص ١٠٧ ، ط: (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر ، بيروت .

* الالوسى : هو محمود شكرى بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الالوسى الحسيني أبو المعالى : وهو مؤرخ وعالم في الدين والادب ومن الدعاة الى الاصلاح في المجتمع ، ترك مصنفات كثيرة منها "روح المعانى" وهو تفسير كبير يحتوى على علوم كثيرة وفيه نزعة صوفية ولد في رصافة ببغداد ، ١٢٧٣ هـ ، وتوفى فيها ١٣٤٢هـ انظر الاعلام للزركلى ١٧٢/٧ ، ١٧٣ ط: ٣ .

** إبن القيم : هو محمد بن ابى بكر بن أيوب بن سعد الدمشقى ابوعبد الله شمس الدين ، من اركان الاصلاح الاسلامى واحد كبار العلماء تتلمذ على شيخ الاسلام ابن تيميه وكان حسن الخلق والسيرة محبوباً لدى الناس ، هذّب الكثير من مصنفات ابن تيميه ومن كتبه الهامة " أعلام الموقعين" و "زاد المعاد " و " مدارج السالكين " ولد في دمشق ٦٩١ هـ وتوفى فيها ٧٥١ هـ . انظر البداية والنهاية ، ١٤/ ٢٣٤ ، وايضا الأعلام للزركلى ٥٦/٦ ط : ٦ .

مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها ، كما لاينفعه قوله : توكلت على الله ، مع اعتماده على غير الله وركونه اليه وثقته به .

فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء آخر ، وكما ان توبة اللسان مع اصرار القلب شيء وتوبه القلب وان لم ينطق اللسان شيء.

فقول العبد توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله ، تبت الى الله وهو مُصِرٌّ على معصيته مرتكب لها "(١) .

خلاصة هذه الأقول :

نستنتج من التعريفات السابقة لحقيقة التوكل ، ان التوكل عبارة عن حال مركبة من مجموعة من الامور التى لاتتم حقيقة التوكل الا بها، ونلاحظ ان كلاً من العلماء اشار الى واحد من هذه الامور او اثنين او اكثر .

وهى تتلخص فى الاتى :-

١) معرفةُ الله سبحانه وصفاته وقدره وكفايته وقيوميته وان الامور جميعها تنتهى إليه سبحانه ، وأنها صادرة عن مشيئته وقدرته ، قال تعالى : " هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(٢) ، وان الانسان كلما كان بالله وصفاته اعلم كان توكله أصح واقوى.

٢) تفويض الامر الى الله وحده بعد القيام بالاسباب وذلك لكى يتحقق حفظ الله للمتوكل عليه ، قال تعالى : " فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ"(٣)

---

١) كتاب الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، ص ١١٣ ، ط:١ (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م).

٢) سورة الحشر ،آية : ٢٤.

٣) سورة غافر آية : ٤٤ .

٣) التسليم المطلق لقضاء الله وقدره مع الرضى والاطمئنان القلبي لمشيئة الله سبحانه وتعالى ، حيث جاء في الحديث الشريف عن ابن عباس* قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : " ياغلام إني أُعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف "(١) .

٤) عقد الامل والرجاء في الله وحده لتحقيق ما يصبو ويتطلع لتحقيقه المتوكل على الله و ما يحب ان يحصل له في هذه الدنيا وهو يحسن الظن بالله قال تعالى : " وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا " (٢)

٥) اعداد العدة: وهو الاخذ بالاسباب التي امر الله بها ، واحلها لعباده في هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ "(٣)

---

١) سنن الترمذي ، ج:٩ ، ص ٣١٩ ، ك : صفة القيامة ، باب : ٥٩ ، وقال عنه حسن صحيح.
٢) سورة الطلاق آية : ٠٣.
٣) سورة الانفال : آية ٦٠.

* ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي جليل يسمى بحبر الأمة لكثرة علمه وفقهه حيث كان فقيهاً وعالماً بالحديث والتفسير والقضاء ، وكان يسمى ايضا بالبحر لسعة علمه .

حدث عن النبي وعن الصحابة والتابعين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " وحدّث عنه التابعون ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي ٦٨ هـ بالطائف وكان عمره ٧٠ سنة ، انظر اسد الغابة ٢٩٠/٣ - ٢٩٤ رقم (٣٠٣٥) والاستيعاب ٩٣٣/٢ ، رقم (١٥٨٨) وحلية الاولياء ٣١٤/١ - ٣٢٩ ، رقم (٤٥) والاصابة ١٤١/٤ - ١٥٢ ، رقم (٤٧٨٤).

وبذلك يكون التوكل على الله ، هو الالتجاء إليه في جميع الأمور الحياتية والاعتماد عليه وحده في تحقيق الغايات من غير تقصير في السعي والاخذ بالاسباب .

الفضيلة في اللغة :

الفضيلة مشتقة من الفعل "فضَل" و "فضل الشيء" فضُولاً : اي اتصف بالفضيلة [(١)] . والفضل ضد النقص ، والفضيلة ضد النقيصة [(٢)] ، والفضيلة هي الدرجة العالية الرفيعة في الفضل [(٣)] .

وجمع الفضيلة فضائل والفضائل هي أمهات المُثل العليا كالحكمة والعفة والشجاعة والكرم والإحسان وغيرها .

وللفضل إطلاقات ودلائل متعددة في القرآن الكريم ، وقد تطلق كلمة الفضل على الشيء ويكون معناها حسب موقعها في الكلام [(٤)] .

١) فقد تطلق على الكسب والتجارة قال تعالى : " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ " [(٥)] .

٢) فضل الظفر والغنيمة " وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ " [(٦)] .

٣) احيانا يطلق ويراد به استجابة الدعاء :
قال تعالى : " وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً " [(٧)]

٤) والفضل يراد به الاسلام والسنة والتوحيد كما جاء في قوله تعالى :

---

١) المعجم الوسيط ، ج:٢ ، ص ٦٩٣ .
٢) تاج اللغة وصحاح العربية ، ج:٥ ، ص ١٧٩١ ، ط(لايوجد) دار الملايين ، بيروت .
٣) ترتيب القاموس المحيط ، ج:٣ ، ص ٥٠١ ، ط:٢ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، وانظر : ايضا المعجم الوسيط ، ج : ٢ ، ص ٦٩٣ .
٤) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ج:٤ ، ص (١٩٦ - ١٩٩) ، تحقيق محمد النجار ، ط(لايوجد) المكتبة العلمية ، بيروت .
٥) سورة البقرة ، آية ١٩٨ .
٦) سورة النحل آية : ٧١ .
٧) سورة النساء آية : ٣٢ .

" إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم "(١) .

٥) والفضل يأتي احيانا بمعنى المال والنعمة.

قال تعالى : " فلما اتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا وهم معرضون "(٢) .

٦) وتارة يأتي بمعنى المعجزة والكرامة :

قال تعالى : " ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا لـه الحديد "(٣) .

٧) والفضل يأتي بمعنى تاخير العذاب :

قال تعالى : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم "(٤) .

٨) ولقد اتى الفضل بمعنى حسن الصورة والخلقة.

قال تعالى : " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا "(٥) .

٩) وايضا اتى الفضل بمعنى النبوة والعلم :

حيث قال تعالى : " ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين "(٦) .

١٠) وتحدث القرآن عن الفضل بمعنى القربة واللقاء والرؤية :

قال تعالى : " وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا "(٧) .

---

١) سورة آل عمران آية : ٠٧٣

٢) سورة التوبة آية : ٠٧٦

٣) سورة سبأ آية : ٠١٠

٤) سورة النور آية : ٠١٤

٥) سورة الاسراء آية : ٠٧٠

٦) سورة النمل آية : ٠١٥

٧) سورة الاحزاب آية : ٠٤٧

وحينما نضيف معنى الفضيلة الى معنى التوكل ينتج " فضيلة التوكل " وهـــى فضيلة لها مقام جليل وقدر عظيم وخُلق رفيع لانها ذكرت فى القرآن الكريم مرات عديدة • وركزت السنة النبوية المطهرة عليها كثيرا ، لما لها من الاهمية•

ولقد أُمر رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم مرات عديدة بالتحلى والتخلق بهذه الفضيلة النبيلة ، قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ "(١) • وايضـــا قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً "(٢) وقال تعالى : " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً "(٣) •

وهى من صفات الانبياء جميعا واخلاقهم قال تعالى حكاية عن الرسل : " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٤) •

وهى ايضا من صفات المؤمنين ، حيث امرهم الله بالتزام هذه الفضيلة قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٥) •

وقال سبحانه : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "(٦) •

---

١) سورة الشعراء ، آية : ٢١٧•
٢) سورة الاحزاب ، آية : (٣ ، ٤٨)•
٣) سورة المزمل ، آية : ٩•
٤) سورة ابراهيم ، آية : ١٢•
٥) سورة آل عمران ، آية : ١٢٢•
٦) سورة المائدة ، آية : ٢٣•

المبحث الثانـــي

بيان فضيلة التوكل واصولها واهميتها

المطلب الاول

بيان فضيلة التوكل في القرآن والسنة

أ) في القرآن الكريم:

لقد اعتنى القرآن الكريم بـ " فضيلة التوكل " اعتناءً كبيرًا لانها من أبـــرز الاخلاق القرآنية فذُكرت مرات عديدة في السور المكية والمدنية ، حيث جاءت الايات مقسمة كالآتى :-

١) آيات تأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتزام فضيلة التوكل.

٢) آيات فى القران الكريم تتحدث حكاية على لسان الانبياء السابقين والتزامهم بفضيلة التوكل على الله .

٣) وجاءت آيات تُبيّن ان التوكل من شأن المؤمنين .

٤) آيات توضح أن الله يحقق أمل المتوكلين .

٥) ايات تُبيّن ان الله وحده هو اهل التوكل وأنه سبحانه حسب من يتوكل عليه وانه يحب المتوكلين ولايخيّب رجاءهم.

ومن ذلك يتضح ان القرآن الكريم يعتنى بهذه الفضيلة لما لها من الأهميــة القصوى فى حياة المسلمين عامة من خلال الاتى :-

اولا: الايات التى جاء فيها الامر للنبى صلى الله عليه وسلم التزام هذه الفضيلة.

١) " فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً "[(١)] حيث أمره سبحانــه وتعالى ان يعرض عن المنافقين وان يتوكل على الله وحده.

٢) وامره الحق تبارك وتعالى ان يعبد الله ويتوكل عليه:

---

١) سورة النساء ، اية : ٨١.

قال تعالى :" وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ"(١) .

٣) ويبين الحق تبارك وتعالى لنبيه ان يتوكل على الله لانه اهل للتوكل حيث انه حيٌّ لايموت .

قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا "(٢) .

٤) وامره بان يتوكل على الله لانه على الحق المبين .

قال تعالى : " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ "(٣) .

٥) وجاء الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوكل على الله في مواطن عدة منها : قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ "(٤) وقال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا "(٥) ، وقال تعالى : " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا "(٦) .

ثانيا : ايات تتحدث عن الانبياء السابقين والتزامهم بفضيلة التوكل اثناء دعوتهم الى الله وحث أقوامهم على التخلق بهذه الفضيلة.

قاله تعالى : " قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٧) .

---

١) سورة هود ، آية : ١٢٣.

٢) سورة الفرقان ، آية : ٥٨.

٣) سورة النمل ، آية : ٧٩.

٤) سورة الشعراء ، آية : ٢١٧.

٥) سورة الاحزاب ، آية : ٣.

٦) سورة المزمل ، آية : ٩.

٧) سورة ابراهيم ، آية : (١١ ، ١٢).

ولقد تحدث القرآن عن توكل ابراهيم عليه السلام والذين كانوا معه فى طريق الهدى فقال تعالى : " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "(١) ، وايضا لقد ذكر القرآن الكريم شعيب ، انه كان متوكلا على الله ، قال تعالى حكاية على لسان شعيب عليه السلام : " وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "(٢) . وايضا ذكر القرآن يعقوب عليه السلام وتوكله على الله ، قال تعالى حكاية على لسان يعقوب عليه السلام: " وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٣) .

وكذلك نوح عليه السلام كان من المتوكلين وممن يتصفون فى الدعوة الى الله بفضيلة التوكل قال تعالى : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ "(٤) .

ثالثا : ايات تُبيِّن ان التوكل من شأن المؤمنين :

قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٥) حيث جاءت هذه الاية

---

١) سورة الممتحنة ، آية : ٤ .
٢) سورة هود ، آية : ٨٨ .
٣) سورة يوسف ، آية : ٦٧ .
٤) سورة يونس ، آية : ٧١ .
٥) سورة آل عمران ، آية : (١٢٢ ، ١٦٠) المائدة ، آية : ١١ ، التوبة آية : ٥١ ، سورة التغابن آية : ١٣ ، سورة المجادلة آية ١٠ .

فى عديد من سور القرآن الكريم بنفس اللفظ .

وقال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "(١) وقال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٢) . وقال تعالى : " الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٣) .

رابعا : ايات توضح ان الله سبحانه يحقق الخير الوفير لمن توكل عليه.

قال تعالى : " وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "(٤) .

وبين القرآن ان الله يحفظ المتوكلين من الشيطان وانه ليس للشيطان عليهم من سبيل قال تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٥) .

وبعض الايات وضحت ان الله يحب المتوكلين ، قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(٦) .

خامسا : بعض الايات القرآنية جاءت لتبين ان الله وحده هو اهل للتوكل دون سواه.

قال تعالى : " وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٧) .

وقال تعالى : " وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا "(٨) .

---

١) سورة المائدة آية : ٠٢٣
٢) سورة الانفال آية : ٠٢
٣) سورة النحل آية : ٤٢
٤) سورة الطلاق آية : ٣
٥) سورة النحل آية : ٩٩
٦) سورة آل عمران آية : ٠١٥٩
٧) سورة الزمر آية : ٠٣٨
٨ سورة الاسراء آية : ٠٢

ب) في السنة المطهرة:

لقد وردت فضيلة التوكل في احاديث نبوية شريفة مرات عديدة لما لها من الاهمية القصوى في حياة المسلمين ولانها جزء لايتجزأ من العقيدة الاسلامية حيث ورد عن عمر بن الخطاب* رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لو انكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا "(١).

ولقد بَيَّن صلى الله عليه وسلم ان من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب " التوكل على الله " حيث جاء في الحديث الشريف عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب، لايكتون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال: اللهم اجعله منهم، فقام آخر فقال: يارسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال: قد سبقك بها عكاشة "(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يذكر هذه الفضيلة في دعائه كثيرا حيث جاء عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " اللهم

---

١) اخرجه الترمذي في كتابه السنن، ج:٩، الزهد، باب: ٣٣، ص ٢٠٧، وايضا اخرجه الامام احمد في المسند، ١/٥٢ وابن ماجة، ك:الزهد، باب: ١٤٠ حديث رقم (٤١٦٤) ص: ١٣٩٤، ج: ٣.

٢) اخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، مجلد: ٤، ك: صفة القيامة، باب: ١٤، ص ٤٩. وايضا اخرجه الامام احمد في المسند (١/٣٢١)، (٢ - ٣٥١)، (٤ - ٤٣٦)، (٥-٣٣٥).

* عمر بن الخطاب: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي الملقب بابي حفص، عز الاسلام والمسلمون باسلامه، شهد بدرا واُحداً وغيرها من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان زاهدا عالما قائما بحدود الله عادلا خليفة للمسلمين بعد ابي بكر، ولد بعد حادثة الفيل بثلاث عشرة سنة ودفن يوم الاحد في ١ محرم سنة ٢٤ هـ.

انظر اسد الغابة ٤(١٤٥ - ١٨١) رقم (٣٨٢٤) والاصابة ٤/(٥٨٨- ٥٩١) رقم (٥٧٤٠) وحلية الاولياء وطبقات الاصفياء للحافظ ابي نعيم الاصفهاني ١/(٣٨ - ٥٥) رقم (٢) ط: ٢(١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ)، بيروت لبنان.

لك اسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك انبت ، وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك ، لا اله الا انت الحى الذى لايموت والجن والانس يموتون "(١)

وجاء فى الحديث الشريف عن انس بن مالك * قال : " قال رجل يارسول الله اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل ؟ قال : اعقلها وتوكل "(٢) .

اتضح لنا من خلال الايات والاحاديث السابقة ، ان ما احتوته من تقرير وحث للمؤمنين على التزود بهذه الفضيلة السامية النبيلة هو عين الحق ونور اليقين، لذا يجب على المؤمنين ان يمتثلوا امر الله ورسوله ، ويتخلقوا بهذه الفضيلة، فضيلة التوكل على الله وحده في جميع مجالات الحياة . سواء فى مجال العبادة قال تعالى : " فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ "(٣) ، وقال تعالى : " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَاشَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ "(٤) .

او فى مجال الحكم والتشريع ، قال تعالى : " وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "(٥) .

ان هذه الايات والاحاديث لجديرة بالوقوف عندها طويلا ، والتأمل فيها كثيراً ، لاستنباط العبر والعظات التى نحن فى امس الحاجة اليها فى ايامنا هذه التى غابت فيها فضيلة التوكل عن أذهان الكثير من القادة والزعماء فى شرقنا الاسلامى فلا ننسى أنها تبعث الامل والروح المعنوية القوية فى النفوس

---

١) البخارى فى التوحيد ومسلم ، ك: الذكر والدعاء ، باب : ١٨ ، حديث : (٦٧) واحمد ١/٣٠٢ .

٢) سنن الترمذى ، ك: القيامة ، ج: ٩ ، باب : ٦ ، ص ٣٢٠ ، ايضا فتح البارى ، ١٠/١١٢ والاحياء ٤/٢٧٢ .

٣) سورة هود آية : ١٢٣ .

٤) سورة الانعام آية : (١٦٢ - ١٦٣) .

٥) سورة الشورى آية : ١٠ .

* انس بن مالك : هو انس بن مالك الانصارى الخزرجى صحابى جليل وخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المكثرين فى الرواية عنه ، شهد بدرا وروى عن النبى وروى عنه . ابن سيرين وقتادة والحسن البصرى وخلق ، توفى فى البصرة سنة ٩٠هـ ، وقيل سنة ٩١ وقيل ٩٣ عن عمر يناهز ١٠٣ سنين ، انظر شذرات الذهب ١/٢٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٦ وانظر ايضا اسد الغابة ١/١٥٧ - ١٥٩ ، رقم(٢٥٨) والاصابة فى تمييز الصحابة ١/١٢٦- ١٢٩ ، رقم (٢٧٧) .

بحيث تجعلها تؤثر فى الاحداث الداخلية والخارجية نحو الايجاب وتغيير الواقع المرير الى الافضل قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ "(١).

---

١) سورة الرعد آية : ١١.

المطلب الثانـــي

بيان اصول التوكل وانواعه

بيان اصول التوكل:

التوكل على الله يقوم على ثلاثة اصول وهى :-

اولا :التوحيد :

إنّ التوكل الحقيقى الصادقَ هو أسطع برهان على تحقيق عقيدة التوحيد فـي قلب المؤمن وعقله ، لان التوكل جاء مرتبطا بإفراده - سبحانه - فى الالوهيـة والربوبية حيث اتضح ذلك فى القرآن الكريم في مواطن عدة منها :-

١) قوله تعالى "ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"(١) ، ولقد تمثلت الُوهية الله فى هذه الاية حيث انه سبحانه خالق كل شيء لذلك ينبغى للمؤمن ان يتوجه اليه - سبحانه - بالعبادة والتوكل لانه صاحب الالوهية المتفرد بها.

٢) قال تعالى : " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "(٢) . بمعنى ان قل يامحمد - الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام لجميع المسلمين- (حسبى الله) اى ان الله كافينى لانه صاحب الالوهية وهو رب العرش العظيم ، وان من كان ربا للعرش العظيم ثبت انه قدير على كل شيء فعّال لما يريد لان العرش اشتهر بانه اعظـم المخلوقات(٣) .

٣) قال تعالى : " اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٤) ، وقال تعالى: " لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا "(٥) ، وقال تعالى : " قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

١) سورة الانعام آية : ١٠٢

٢) سورة التوبة آية : ١٢٩

٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج:١١ ، ص ٢٤٠ ، وايضا فتح القدير ، مجلد ٢ ، ص ٤١٩.

٤) سورة التغابن آية : ١٣.

٥) سورة المزمل ،آية : ٩

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (١) •

ان هذه المجموعة من الايات تعنى اخلاص التوحيد لله والصدق فى العمل ثم التوكل عليه فى تحقيق النتائج لانه صاحب الالوهية والربوبية المتفرد بهما، وفى الايات ايحاء بان لايعتمد الانسان الا على الله وحده وان لايتقوى الا به لانه سبحانه هو القادر على كل شىء وهو على كل شىء وكيل (٢) •

ان المتأمل فى الايات السابقة والمستقرىء لها يؤمن ايمانا كاملا ان التوكل قائم على الايمان بالله وحده، والاقرار بالالوهية والربوبية له - سبحانه - وأن لا فاعل الا الله وان كل موجود فى هذا العالم من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر هو من عند الله الذى لاشريك له، لذلك لابد ان تتوفر الثقة التامة بالله وطمأنينة القلب لِحُكمِهِ وقدره:

ولقد وضح الشيخ رشيد رضا ان التوكل افضل مقامات التوحيد وأعلاها حيث قال : " التوكل على الله تعالى، أعلى مقامات التوحيد، فالمؤمن الموحد الكامل لايتوكل على مخلوق مربوب مثله لخالقه، بل مشهده فى المخلوقات انها اسبابٌ سخر الله بعضها لبعض فى نظام التقدير العام، الذى اقام به امور العالم " (٣) •

ولكى يصح التوكل على الله، بتحقيق كمال التوحيد، لابد ان يتوفر فى الوكيل الشروط التالية (٤) :-

١) منتهى الهداية: فهو سبحانه وتعالى يعلم مايصلح الناس وما يضرهم، لذلك انزل منهجه الكريم لان يطبق فى حياة الخلق اجمعين، وفى كل زمان ومكان

---

١) سورة الرعد آية : ٣٠•
٢) انظر تفسير المراغى، مجلد :١٠، ج:٢٨، ص ١٢٧، ط:٣ (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)•
٣) تفسير المنار، مجلد : ١٠، ص ١٥١•
٤) انظر تفسير الفخر الرازى، مجلد :١٢، ج:٢٤، ص ١٠٣، وايضا احياء علوم الدين، ج:٤ ص ٢٥٣، ط(لايوجد) عيى البابى الحلبى وشركاه، دار احياء الكتب العربية، وايضا مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ج:٣، ص ٥٠٨، ط(لايوجد) دار الباز، مكه المكرمة•

لانه مبرأ من الضعف والقصور البشرى بعيدا عن الهوى ٠

قال تعالى : " قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ "(١) وقال تعالى : " وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "(٢) ٠

وقال تعالى : " قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ "(٣) ٠

وجاء حكاية على لسان الجن " قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ "(٤) ٠

وقال تعالى : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا "(٥) ٠

٢) منتهى الرحمة : فهو سبحانه رحيم رؤوف بعباده ، ومن اسمائه الحسنى " الرحمن الرحيم" وانه ذو الفضل الواسع والرحمة السابغة ، الكريم والودود الحنان المنان يفيض دوما من عطائه ورحمته على عباده بلا سبب ولا علة لان من صفاته سبحانه وتعالى الرحمة (٦) ٠

---

١) سورة البقرة اية : ١٢٠٠

٢) سورة يونس آية : ٢٥

٣) سورة يونس آية : ٠٣٥

٤) سورة الاحقاف آية : ٣٠

٥) سورة الاسراء آية : ٠٩

٦) انظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٦ ، ص ٣٩٣٧ ، ط : ١٠ (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الشروق ٠

وتمثلت رحمة الله فى كثير من الامور على العباد اولها فى انزال القرآن الكريم ليكون هاديا للبشرية باسرها ومنقذا لها من تخبطها فى ظل الانظمة والمناهج البشرية الهابطة الى عدالة المنهج الاسلامى .

. وجاء التوكل مرتبطا بأسماء الله العزيز الرحيم قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ"(١) .ليبرهن ان من شروط الوكيل الرحمة السابغة بالعباد .

٣) منتهى القوة والقدرة : لكى يستطيع الوكيل ان يحقق اهداف وآمال المتوكل ينبغى ان يتصف الوكيل بالقوة والقدرة ولا احد اقوى من الله سبحانه وان القوة لله جميعا ، قال تعالى : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ "(٢) .

وقال تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ "(٣) .

٤) منتهى العدل : فهو سبحانه صاحب العدل المطلق ولايظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا "(٤) .

وقال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "(٥) .

٥) انه حي لايموت : " فالتوكل يكون على الله وحده لانه متصف بالحياة الباقية المستمرة ، وغيره حياته معوضة للزوال بالموت ومعرضة لاختلال اثرها بالذهول

---

١) سورة الشعراء ، اية : ٢١٧ .
٢) سورة الزمر آية : ٦٧ .
٣) سورة ق آية : ٣٨ .
٤) سورة النساء آية : ٤٠
٥) سورة النحل آية : ٩٠

كالنوم ونحوه فانه من جنس الموت .

قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا " (1) .

ففى الاية اشارة الى ان الانسان لايثق الا بالله ، لان التوكل على الاحياء المعرضين للموت لايدوم ، وعن بعض السلف انه قرأها فقال : " لايصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق، لان الخلق سرعان ماتنتهى حياتهم " (2) .

٦) منتهى العلم:

فالله سبحانه وتعالى يعلم السر وما اخفى ويعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور فهو سبحانه احاط بكل شيء علما ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (3) .

ثانيا : الاستعانة

وهى طلب العون والمعونة من الله وحده فى قضاء الحوائج او الخروج من المحن وهى من نوع الدعاء والاستغاثة ، وقد جعل الشيخ رشيد رضا الاستعانة والاستغاثة بالله من علامات التوكل الصحيح فقال (4) " ومن آيات الايمان الكامل بالتوكل على الله الاستغاثة والاستعانة بالله وحده ولاسيما فى الشدائد كما فعل جمهور المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر وذكّرهم بما تمنّ عليهم من الاستجابة لهم قال تعالى : " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ " (5) .

---

1) سورة الفرقان آية : ٥٨ .

2) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ، للزمخشرى ، جـ:٣ ، ص ١٠٢ ، ط(لايوجد) دار المعرفة بيروت وايضا انظر تفسير التحرير والتنوير ، جـ:١٩، ص ٥٩ .

3) سورة لقمان آية : ٣٤ .

4) تفسير المنار ، مجلد : ١١ ، ص ٦ ، ط: ٤ ، مكتبة الازهر .

5) سورة الانفال ، آية ٩ .

والاستعانة لاتطلب من عاجز لايقدر على الاعانة ،ولامن ميت لايسمع المستعين به ، ولا من غائب بعيد حال البعد دون سماع الدعاء ورؤية الداع.

ولقد ارشد الله عباده المؤمنين الى الاستعانة به دون من سواه فى قولـــه تعالى " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "(١) .

وأوصى صلى الله عليه وسلم عبدالله بنه عباس أن يستعين بالله دون ســواه عن ابن عباس قال كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : " ياغلام انى اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاســأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف "(٢) .

وخلاصة الامر فى ذلك ، ان طلب المعونة ممن لايقدر عليها من الاحيــاء لعجزهم وقصورهم وعدم كمالهم وغيبتهم كمن يطلبها من الاموات ، وبذلك طلبهــا من غير الله فى الامور التى لايقدر عليها الا الله كان ضلالا باطلا وكان فاعلـــه مشركا بالله تعالى فى هذه العبادة التى لاتنبغى لاحد سواه "(٣) .

ثالثا : العبـــادة:

ان التوكل هو ثمرة التوحيد الخالص لله سبحانه واختصاصه بالعبادة دون غيره ، فان من المعانى التى تغرسها العبادة فى نفوس المؤمنين الشعور بان السلطـــة الغيبية التى وراء الاسباب هى لله وحده كما تنطق بها الايات الكريمة ، قال تعالى :

---

١) سورة الفاتحة ، آية ٥٠

٢) سنن الترمذى ، ج:٩ ، باب :٥٩ ، ك: صفة القيامة ، ص ٣١٩ ، وقال حسن صحيح ٠

٣) كتاب عقيدة المؤمن لابى بكر الجزائرى ، ص ١١٨ ، ط: ٤(١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م)٠
دار الشروق ، جدة٠

"وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (١) ، وقال تعالى : " قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ" (٢) ، وقال تعالى : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (٣) .

ففى الاية الاولى يوضح انه سبحانه كافى لمن توكل عليه والفاء فى الاية (فاعبده وتوكل عليه) جاءت لترتيب الامر بالعبادة والتوكل ، وفى تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة تنبيه على ان التوكل لاينفع دون الاتيان بالعبادات" (٤) .

فمن آمن بالتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى ، لايستعين بغيره ومن استعان بالله عبده حق العبادة ، وبهذا البيان يتضح ان التوحيد والعبادة والاستعانة لامنافاة بينهم ، بل من الادب الجمع بينهم ، لانهم جزء لاينتجزأ من عقيدة الاسلام (٥) .

بيان انواع التوكل:

التوكل على الله ينقسم الى ثلاثة انواع ذكر منهما ابن قيم نوعين فى " الفوائد " (٦) :-

١) ان يتوكل العبد على الله فى تحصيل حظ يعود عليه بالمنفعة كالرزق والعافية وغيرهما من الحظوظ الدنيوية او دفع المكروهات والمصائب الدنيوية .

٢) التوكل على الله فى تحصيل مرضاته ويكون بالايمان واليقين والجهاد ،

---

١) سورة هود آية : ١٢٣ .
٢) سورة الرعد آية : ٣٠
٣) سورة الشورى آية : ١٠
٤) تفسير روح المعانى للالوسى ، مجلد : ٤، ج ١٢ ، ص ١٦٧ .
٥) تفسير المنار ، مجلد : ١ ، ص ٦٠ ، ط: ٤ ، مكتبة الازهر .
٦) كتاب الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، ص ١١٣ ، ط: ١ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار النفائس ، بيروت .

والاحسان والتوكل والدعوه الى الله ، والسعى لاقامة المجتمع المسلم وغير ذلك من الامور .

اما النوع الاول : فالغاية منه مطلوبة ، لان فيه تحقيق مصالح تخص المتوكل على الله وبذلك يكون التوكل على الله في حصوله من باب العبادة ، لان فيه مصلحة للانسان فى دينه ودنياه. ، اما النوع الثانى فالغاية منه العبادة فلا علة فيه لانه استعانة بالله على ما يرضيه سبحانه وتعالى فصاحبه متحقق بقوله : " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "(١).

لخص ابن تيمية النوع الاول والثانى فى نوع واحد سماه التوكل المأمور به (٢) .

وقال : " التوكل المأمور به هو ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع وهو التوكل الواجب وقال ان التوكل من اعظم الواجبات وقد امر الله به فى كثير من الايات منها قوله تعالى :" وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (٣) .

ونهى عن التوكل على غيره قال تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ" (٤) .

وبين ان من توكل على الله فهو حسبه وكافيه قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا" (٥) .

٣) التوكل على الله فى الامور التى لايحبها :

كأن يتوكل بعض الناس على الله وحده ويقصده بالسؤال ولكن فى امور لايحبها الله تعالى من العبد ، فهذا وان كان مخلصا فى توكله وسؤاله من الله ولكنه غير

---

١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ، مجلد : ٢ ، ص ٢٣٠ .

٣) سورة آل عمران آية : ١٦٠ .

٤) سورة الزمر آية : ٣٨ .

٥) سورة الطلاق آية : ٣ .

مخلص فى العبادة لله وحده وهذا الحال ينطبق على اهل التصورات الفاسدة اصحاب التصرفات المخالفة لامر الله ورسوله ومهما حصل لهم نصيب فى الدنيا فعاقبتهم سيئة فى الاخرة "(١) .

وهذا ينطبق ايضا على من يدعى الصلاح ويشتهر امره بين الناس فيقصده اهل القرى من الرجال والنساء ليساعدهم فى امور ومسائل مخالفة لامر الله ورسوله ، فيساعدهم ويدعى انه صاحب حال وكشف وانه مستجاب الدعاء بحيث اذا سأل الله هذا الامر او ذاك يستجاب له الدعاء .

وبناء على ماسبق يكون التوكل على ثلاثة انواع رئيسية قد تتفرع من بعضها انواع اخرى لكنها تظل منحصرة فى ثلاثة انواع .

انظر : نفس المرجع السابق ، ص ٢٨ .

المطلب الثالث

بيان مكانة التوكل وأهميته

ان للتوكل نورا ايمانيا يشع في نفوس الفضلاء من الناس وهدى يسكن في قلوبهم فيملاءها بالسكينة والراحة والاطمئنان النفسي .

فحينما يتوكل الانسان على الله وحده ، ويقدم على العمل باسم الله وفي سبيل الله يشعر بالسعادة والارتياح القلبي وكأنما انحازت له الدنيا باجمعها ، فتراه منشرح الصدر مثلوج الفؤاد مغتبط النفس يخوض غمرات الحياة ومصاعبها متوكلا على الله ، وهو آمن لقضاء الله وقدره مطمئن القلب لانه لمنهج الله مطبق ، وعلى الله متوكل ، اذا اصابته مصيبة استرجع الله في نفسه وتضرع اليه سبحانه فلا تزيده الا ايمانا ويقينا بعدل الله وقدره ، فيكون له بذلك الاجر العظيم .

ولقد ركزت الايات القرآنية على التوكل على الله وبينت اهميته ومكانته " لانه من لوازم الايمان و مقتضياته قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "[1]. ولانه جُعل شرطا في تحقيق الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفاء التوكل قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ "[2] . وجعل دليلا على صحة الاسلام "[3] .

واوضح ابو طالب المكي ان التوكل مرتبط بالايمان فقال : " من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به ومن احب اهل التوكل فقد احب الله "[4] .

---

١) سورة المائدة ، اية : ٢٣ .

٢) سورة يونس ، اية : ٨٤ .

٣) انظر تفسير روح المعاني ، مجلد : ٤ ، ج:١١ ، ص ١٧٠ ، وايضا انظر تفسير المراغي ، مجلد : ٤ ، ج: ١١ ، ص ١٤٥ ، وايضا انظر شرح كتاب التوحيد ، ج:٢ ، ص ٣٥٢ ، ط(لايوجد) المكتبة الثقافية ، بيروت .

٤) قوت القلوب في معاملة المحبوب لابي طالب المكي ، ص ٥ ، ط: (لايوجد) مصطفى البابي الحلبي وشركاه .

وان التوكل ذروة الايمان فقال ابو الدرداء *:" ذروة الايمان الاخلاص والتوكل والاستسلام للرب"(١) .

وتبرز اهمية التوكل من خلال محبة الله لمعتنقي هذه الفضيلة فقال الصابوني** في تفسيره(٢) ان التوكل على الله من اعلى المقامات الخلقية لوجهين :-

١) محبة الله للعبد حيث قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(٣) .

٢) ضمان الله للمتوكلين وجعلهم فى كنفه وانه حسبهم ، قال تعالى : " وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"(٤) .

وحينما ننظر لفضيلة التوكل نجدها الأم لكثير من الاخلاق والفضائل كالزهد والورع وسائر العبادات .

حيث قال سهل بن عبد الله***" العلم كله باب فى التعبد والتعبد باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وليس للتوكل حد ولاغاية تنتهى اليه"(٥) .

ومجيء التوكل مقرونا باسماء الله الحسنى كان دليلا على اهمية وعلو مكانته

١) قوت القلوب ، المرجع السابق ، ص ٠٤

٢) انظر صفوت التفاسير مجلد : ١ ، ص ٢٤٣ ، ط:٤(١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) دار القرآن الكريم بيروت وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن احمد الكلبى ، ج:١ ، ص :١٢٢ ، ط:٢ (١٣٩٢هـ - ١٩٧٣) دار الكتاب العربى .

٣) سورة آل عمران آة : ١٥٩.

٤) سورة الطلاق آية : ٠٣

٥) قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، ص ٠٤

* ابوالدرداء : هو عويمر بن عامر بن مالك بن يزيد بن قيس بن اميّه بن الخزرج تأخر اسلامه وكان فقيها عاقلا حكيما اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسى شهد مابعد احد من المشاهد قال النبى صلى الله عليه وسلم :"عويمر حكيم امتى" روى عن النبى وولى قضاء دمشق اثناء خلافة عثمان رضى الله عنه توفى قبل مقتل عثمان بسنتين.
انظر الاصابة فى تمييز الصحابة ٤/(٧٤٧،٧٤٨)رقم(٦١٢١) واسد الغابة ٦/(٩٧-٩٨)رقم (٥٨٥٨) وحلية الاولياء ١/(٢٠٨-٢٢٧) رقم(٣٥).

** محمد على الصابونى هو كاتب اسلامى معاصر .

*** سهل بن عبد الله : هو ابو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التسترى احد أئمة القوم ومن اكابر علماء التصرف ومن المتكلمين فى علوم الاخلاص والرياضات وغيوب الافعال صحب محمد بن سوار وشاهد ذا النون المصرى ، مات ٢٨٣ ، وسمى بالتسترى نسبة الى تستر بلده من خوزستان ، انظر الشعرانى ، ص ٠٧٧

قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ "[(١)] وقال تعالى : " وَتَوَكَّل عَلَى الْعَزِيْــزِ الْحَكِيْمِ "[(٢)] ، وقال تعالى : " وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ "[(٣)] ، وبذلك يكون للتوكل اهمية قصوى وطاقة عظيمة ومنزلة رفيعة وانــه كالجسد من الرأس فكما لايقوم الرأس إلاّ على الجسد فكذلك لايقوم الايمـــــان ومقوماته واعماله الا على ساق التوكل ٠

---

١) سورة الشعراء ، آية : ٢١٧٠

٢) سورة الانفال ، آية : ٤٩٠

٣) سورة الرعد ، آية : ٣٠٠

المبحث الثالث

ضرورة التوكل

المطلب الاول
ضرورة التوكل لعباد الله

اعتنى القرآن الكريم عنايةً بالغةً بالتوكل على الله حيث ذُكر فى كثير من سور القرآن الكريم وركّزت عليه السنة النبوية ، مما يبرهن على ان للتوكل قيمة كبيرة فى حياة الامة الاسلامية والدينية والاخلاقية ، فليس التوكل من الفضائل الثانوية المكملة بل هو من الدعائم الرئيسية التى تقوم عليها عقيدة الاسلام وهو ضرورة لازمة لعباد الله لترتقى حياة المجتمع فى مجاليها المعنوى والمادى ويسعد ابناؤه ، فرديا وجماعيا ، لانه لاينتصر دين ولايتم النهوض للامة من الكبوة التى وصلت إليها إلاّ بالتوكل على الله حق التوكل والرجوع الى الله فى جميع الامور الحياتية وتحكيم شرع الله فيها.

فالتوكل ضرورة دينية وفريضة شرعية فرضها الله على عباده المؤمنين قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ"(١) وقال تعالى :" وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"(٢).

قال ابو السعود * فى التفسير : " ان هذه الاية توجب التوكل على الله لدى عباد الله الصادقين "(٣) وفيها دلالة ايضا على انتفاء الايمان عند انتقاء التوكل على الله .

---

١) سورة التوبة آية : ٥١.

٢) سورة المائدة ، اية : ٢٣.

٣) تفسير ابى السعود ج:٢ ، ص ٢٤.

* ابو السعود :
هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادى ، مفسر وشاعر من علماء الترك المستعربين درس فى بلاد متعددة واشتغل بالتدريس. من مصنفاته : تفسيره المسمى " ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم" ولد بالقرب من القسطنطينية ٨٩٨هـ ، وتوفى ٩٨٢هـ وكان عمره ٨٤ سنة . انظر الاعلام للزركلى ٥٩/٧ ، ط:٣ وايضا شذرات الذهب ، ٨(٣٩٨ - ٤٠٠).

لذلك كان التوكل ضرورة افترضها الله سبحانه على عباده المؤمنين فلا ينبغي لهم الابتعاد عنها لان في بعدهم عنها ابتعاد عن الإيمان وعلى ذلك فالتوكل على الله مرتبط ارتباطا كاملا بعقيدة الايمان بالله ، اذن فالتوكل واجب لان مالايتم الواجب الا به فهو واجب .

وكما ان التوكل ضرورة دينية فهو ضرورة دنيوية نحتاج اليه في حياتنا حتى يتم لنا الفلاح والنجاح ، لانه لافلاح ولا نجاح بدون ان نتوكل على الله ونعتمد عليه في تحقيق اهداف الاسلام النبيلة.

ويوم ان تخلت امة الاسلام عن التوكل على الله وابتعد قادتها وزعماؤها عن منهج الله ، واصبح توكل الامة واعتمادها على قوتها المادية المستمدة من القوى الشرقية او الغربية لحقت بها الهزائم ، الهزيمة تلو الهزيمة ، فهزمت عام ١٩٤٨ نتيجة اتباع الذيليه الغربية فضاعت نصف فلسطين ارض الاسلام وفيها اولى القبلتين وثالث الحرمين ، وما ان فاقت الامة على هزيمتها النكراء فحلت بها هزيمة عام ١٩٦٧ فضاعت كامل فلسطين نتيجة الذيلية الشرقية .

واخذت الامة تسير في طريق الضعف والانحلال والضياع رويدا رويدا حتى اصابها الارتخاء في جميع مجالات الحياة ، سواء السياسية او الاجتماعية أو الاقتصادية او العسكرية فأُقعدت من الحركة واصبحت دمية في يد اعداء الله يحركونها كيفما ارادوا ، لانها فقدت شخصيتها الاسلامية وهويتها الحقيقية يوم ان تخلت عن الله وتوكلت على سواه .

ففي الدنيا لاتتحقق الامال ولاتنجح المقاصد ولايؤتي عمل اكله وثماره اليانعة الا بالتوكل على الله فمن توكل ظفر بالمراد باذن الله ، ومن عُدِمَ التوكل لم يظفر واصابه الضعف والتيه والتخبط في هذه الحياة.

وتتضح ضرورة التوكل على الله من حيث ان الله سبحانه جعله سببا لنيل محبته لعباده المتوكلين عليه قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"(١) .

---

١) سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ .

وفي الاية ؛ ارشاد للمكلفين وترغيب لهم في التوكل على الله والرجوع اليه والاعراض عن كل ما سواه ، فمن اراد ان يحبه الله فليتوكل على الله في جميع اموره ومن احبه ادخله الجنة (١) ، اذن فالتوكل ضرورة لانه يرضى الله عزوجل ويوصل الى الجنة (٢).

وفي التوكل ايضا ضمان لمن توكل عليه القيام بامره وكفايته في هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٣) وقال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " (٤) .

قال ابن الجوزي في تفسيره لهذه الايات : " اي ان المتوكل واثق بالله فيما يصيبه في هذه الحياة وعندئذ يكفيه الله ما اهمه" (٥) .

وقال الشوكاني* : " ليس كل من يتوكل على الله كفاه الله ما اهمه ودفع عنه مايكره وقضى حاجته ولكن الله جعل في هذه الاية فضل من توكل على من لم يتوكل أن يُكَفِّرَ عنه سيئاته ويعظم له اجرا " (٦)

وكلا التفسيرين صائب ولاتعارض بينهما لان الفضل محقق في نهاية الامر للمتوكل على الله ، وان رعاية الله اذا تأخرت في الدنيا لسبب يعلمه الله فانها محيطة بالمتوكلين عليه لامحالة سواء في الدنيا او الاخرة.

---

١) انظر تفسير المراغي ، مجلد : ٢ ، ص ١١٦.

٢) انظر تفسير الفخر الرازي ، مجلد : ٥ ، ص ٧٠.

٣) سورة الانفال آية : ٤٩.

٤) سورة الطلاق ، آية : ٣.

٥) انظر تفسير زاد المسير ، ج/٨، ص : ٢٩٢.

٦) انظر فتح القدير ، مجلد : ٥ ، ص ٢٢٤.

* الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من اهل صنعاء ، كان يرى تحريم التقليد ، كتب مصنفات كثيرة حتى بلغت ١١٤ مصنفا منها " فتح القدير " في التفسير وكتب ايضا في الحديث كتابه " نيل الاوطار من اسرار منتقى الاخبار " .
ولد بهجرة ١١٧٣هـ ومات فيها ١٢٥٠ هـ عن عمر يناهز ٧٧ سنة . انظر الاعلام للزركلي ١٩٠/٧ ، ١٩١ ط : ٣ وايضا البدر الطالع ، ٢١٤/٢ ، ٢١٥ ، رقم (٤٨٢) .

وقد يصيب المتوكلين على الله الكثير من الهموم والابتلاءات وليس هذا منافيا للايات القرآنية السابقة ، وانما في مثل هذه الحالة يكون الابتلاء اختبارا وامتحانا للمتوكلين على الله ، فان هم صبروا وصابروا ومضوا في الطريق قدما متوكلين على الله كان لهم الاجر الاوفى ٠

المطلب الثاني

العباد درجات في التوكل

الناس تتفاوت درجاتهم في التوكل على الله بحسب تفاوت مراتبهم في قوة الايمان وضعفه ، وقصر الامل وطوله ، وبقدر التزامهم بشريعة الله والعمل بمقتضاها .

فمنهم المقربون وفي الدرجة العالية من التوكل ، ومنهم من اصحاب اليمين ومنهم من لاتوكل له اصلا ..

وتبعا لذلك نستطيع ان نقسم الناس الى اربعة اقسام بالنسبة لتوكلهم على الله كالتالي :-

القسم الاول :

هم اولياء الله يتوكلون عليه وحده في جميع امور حياتهم ويعبدونه حق العبادة ، ويعملون على نصرة شريعته واعلاء كلمته ويجاهدون اعداء الله بمالديهم من امكانيات ويدعون الى الله ليلا ونهارا وهم متوكلون على الله"(١) . وهؤلاء وصفهم الله سبحانه في كتابه الكريم فقال تعالى : " رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "(٢) .

كما وصفهم بانهم كلما تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قال تعالى : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٣) .

وانه ليس للشيطان عليهم من سبيل قال تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٤) .

---

١) انظر موسوعة اخلاق القرآن ، ج:٢ ، ص ٢٢٢ ، ط(لايوجد) الرائد العربي ، بيروت .
٢) سورة الممتحنة ، آية : ٠٤
٣) سورة الانفال ، آية : ٠٢
٤) سورة النحل ، آية : ٩٩ .

ولقد لخص القاسمي* بعضا من صفاتهم فى تفسيره(١) فقال :-

١) ان المتوكل على الله يعمل الواجبات ويجتنب المحرمات ، لكى يستحق رحمة الله ويصل الى الجنة بعمله الصالح.

٢) ان يسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والعصمة والابتعاد عن الشطط(٢)

٣) ان يشكر الله على جميع نعمه وانها حصلت بهداية الله وتوفيقه وتمكينه ولطفه.

٤) ان لايثق بطاعته انها كل شيء ، بل عليه أن يطيع الله ويجتنب المعاصي ويرجو رحمة ربه ويخاف عذابه فعندئذ يكون فى الدرجة العالية من التوكل ويصدق عليه قوله تعالى : " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا "(٣) .

القسم الثاني :

هذا القسم من المتوكلين يغلب عليه الاخلاص واتباع شريعة الله في الخضوع لامره ونهيه ولكنه يكون منقوصا فى جانب الاستعانة والتوكل.
فيكون اما عاجزا او مفرطا فى توكله واستعانته بالله فيكثر منه الجزع ممايصيبه فلا يصبر ولايحتسب الى الله ، ويحزن كثيرا على مايفوته ، فهو متبع للشريعة ويعبد الله على حق، لكنه لايصبر على قضاء الله وقدره فسرعان مايستولى عليه الخوف والجزع ولو حسن توكله على الله واكتمل لاطمأنت نفسه لما يواجهه من اهوال ومصاعب(٤) .

١) انظر تفسير القاسمي المسمى " محاسن التأويل ، مجلد : ٢/ج:٤، ص ١٣ تأليف محمد جمال الدين القاسمي ، ط:٢(١٣٩٨هـ ١٩٧٨م) دار الفكر ، بيروت.
٢) الشطط : هو تجاوز القدر المحدود وتباعد عن الحق قال تعالى فى سورة ص:"ولاتشطط" اى لاتبعد عن الحق المنزل . انظر القاموس المحيط ، ص ٨٧ ، ط:١(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) مؤسسة الرسالة ، بيروت
٣) سورة الفرقان ، آية : ٦٣.
٤) انظر فتاوى ابن تيمية ، مجلد : ١٤ ك:التفسير ، ج:١، ص ١٠ ، وايضاموسوعة اخلاق القرآن ، ج: ٢ ، ص ٢٢٧.
* القاسمي : هو جمال الدين بن حمد بن سعيد بن قاسم الحلاق ، كان امام الشام فى عصره وعالما بالدين والتفسير متضلعا فى الادب ، سلفى العقيدة ولايقول بالتقليد له ما يقرب عن اثنين وسبعين مصنفا اهمها تفسيره المسمى " محاسن التأويل" وله ايضا كتاب"دلائل التوحيد" ولد بدمشق ١٢٨٣ هـ وتوفى بها ١٣٣٢ هـ عن عمر يناهز ٤٩ عاما .
انظر الاعلام للزركلي ١٣١/٢ ، ط:٣.

القسم الثالث :

قسم يغلب عليه قصد الاستعانة بالله والتوكل عليه واظهار الفقر والفاقه بين يديه ، والخضوع لقضائه وقدره واوامره ونواهيه ، لكنه منقوص من جانب العبادة واخلاص الدين لله ، فليس فى مقصوده ان يكون الدين كله لله ، وان كان مقصوده ذلك فلا يكون متبعا لشريعة الله عز وجل ومنهاجه ، فيكون اما جاهلا واما ظالما تاركا لبعض ما امر الله به (١) .

القسم الرابع :

وهم المعرضون عن التوكل على الله ، وهم فريقان :-

اهل دنيا واهل دين والقصد من اهل الدين منهم ، اهل التدين المحرف الفاسد الذي يشوبه الشرك والانحراف ، فيعبدون غير الله ويستعينون بغيره ، قال تعالى: " إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى " (٢) .

واهل الدنيا : هم الذين يطلبون مايشتهونه من العاجلة بما يعتقدونه فى الاسباب معتمدين عليها لا على الله فى التوكل.

قال تعالى : " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ " (٣) .

واذا تولى احدهم سعى فى الارض فسادا لانهم لايخشون الله ولايخافون عذابه قال تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ " (٤) .

---

١) انظر الفتاوى لابن تيميه ، مجلد : ١٤ ، ك: التفسير ، ج:١ ، ص ١١.
٢) سورة النجم . آية : ٢٣.
٣) سورة آل عمران ، آية ١٤.
٤) سورة البقرة آية : (٢٠٤ ، ٢٠٥).

المبحث الرابع

بواعث التوكل وموانعه

المطلب الاول

البواعث

البواعث:

١) ارتباط التوكل بالله وحده

٢) اقتران التوكل بالايمان

٣) معرفة ما اعده الله للمتوكلين من الاجر العظيم

٤) القدوة الحسنة.

مقدمة:

ان الانسان يعمل ويتحرك فى هذه الارض بسعى متواصل لتحصيل مايصبو اليه ويرغب فى امتلاكه ويستمر فى هذا التحرك اذا قويت رغبته وتوفرت لديه الادلة المقنعة بان هذا الذى يرغب فى تحصيله فيه من الفوائد مايستحق الانسان ان يبذل فيه الجهد، كما ان الانسان لايبتعد عن الاشياء إلاَّ إذا كانت مكروهه له وتوفرت لديه الأدلة المقنعة بان مضرة هذا الامر تستحق بذل الجهد فى الابتعاد عنه .

واحيانا تتوفر الادلة والبراهين المقنعة لدى الانسان للقيام بالعمل الخيرى، ولكن هوى النفس قد يسيطر فيعمى القلوب والابصار ويصم الاذان، فيؤدى بالانسان الى الخمول والتراخى فى العمل.

قال تعالى : " وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ "(١) .

اولا: ارتباط التوكل بالله:

لم يأمر القرآن الكريم بالتوكل هكذا مجردا ، بل جاء التوكل مرتبطا بالله

١) سورة المؤمنون آية : ٧١.

سبحانه فى معظم الايات التى تحدثت عن هذه الفضيلة ، مما يشجع المسلم ويبعث به الى التحلي بهذه الفضيلة وحينما نستذكر آيات القرآن الكريم نجدها تربط التوكل بالله او باحدى اسمائه الحسنى.

قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "[١] ، وقال تعالى: " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا "[٢] . وقال تعالى : " عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ "[٣] ، وجاء التوكل مرتبط باسماء الله الحسنى فقال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ "[٤] ، وقال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "[٥] ، وقال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[٦] وقال تعالى : " وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ "[٧] وقال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ "[٨] وغيرها كثير من الايات التى تزيد من توكل المؤمن على ربه وتبعث به فى طريق التوكل على الله.

ثانيا : ارتباط التوكل بالايمان:

لقد ذكر التوكل مرتبطا بالايمان فى العديد من الايات القرآنية وان التوكل صفة خاصة بالمؤمنين.

قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "[٩] حيث جاءت هذه الاية فى كثير من سور القرآن فترددت فى سبع سور قرآنية ، مما يدلل على ان للايمان ارتباطا وثيقا بالتوكل على الله وكلما قوى الايمان قوى التوكل ، والايمان يكون قويا اذا كان مبنيا على الاتى :

١) ان يحصل اليقين عند المؤمن بما آمن به فلا يكون هناك ريبة قال تعالى:" إِنَّمَا

---

١) سورة آل عمران اية : ١٥٩.
٢) سورة النساء اية : ٨١.
٣) سورة الاعراف اية : ٨٩
٤) سورة الشعراء اية ٢١٧.
٥) سورة الانفال اية : ٤٩
٦) سورة الانفال اية : ٦١
٧) سورة الرعد اية : ٣٠
٨) سورة الفرقان اية : ٥٨
٩) سورة آل عمران اية : ١٦٠.

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون"[1] .

٢) ان يكون الايمان اليقيني مبنيا على ادلة من الكتاب والسنة .

فكلما تمسك الفرد بالكتاب والسنة كلما قوى ايمانه وازداد توكله على الله، حيث قال صاحب الكشاف في تفسيره للاية : "وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون"[2] اى ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس"[3] وجاء عن عمر بن عبدالعزيز : " ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان"[4] .

٣) ان يستحضر المؤمن ما آمن به في اغلب اوقاته ، فان ذلك يدفعه باستمرار الى الحركة والعمل لما يقتضيه ايمانه بالله والتوكل عليه.

٤) ان يظهر ايمانه وتوكله القلبي في سلوكه الظاهري حتى تعم الايجابيات لهذا الايمان وتقطف ثمار التوكل[5] ، قال تعالى : " ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون"[6] .

ثالثا : معرفة ما اعده الله للمتوكلين من الاجر العظيم:

ان شوق المؤمن المتوكل على الله الى الفوز برضى الله وثوابه ، ليدفعه دفعا الى العمل الصالح الذي يقربه الى الله ، وان افضل الاعمال الموصلة الى رضا الله واعظمها بعد الايمان به تبارك وتعالى هو التوكل عليه.

---

١) سورة الحجرات اية : ١٥.
٢) سورة الانفال اية : ٢
٣) تفسير الكشاف ، ج:٢ ، ص ١١٣.
٤) اخرجه البخاري في صحيحه ك:الايمان ، باب : ١ ، ص ٣٣.
٥) انظر الجهاد في سبيل الله وغايته ،ج:١ ، ص ٥٤٢ ، ط:١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار المنار، جدة .
٦) سورة ابراهيم اية : ١٢.

قال تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا " [1] . جاء في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فقال : مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة ، وقال اكثر اهل التفسير : " انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي ، حيث أسر العدو ابنا له ، فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله ، ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب إبلاً وجاء بها الى ابيه فذلك قوله " ويرزقه من حيث لايحتسب " .

واذا اتقى الانسان ربه وآثر الحلال والصبر امام المحن فان الله يفتح عليه ان كان ذا ضيق وعسر " [2] .

وقال صاحب زاد المسير : " فبينما هو في بيته وغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاه " فنزلت الاية [3] . وللمفسرين اقول في هذه الاية منها :

١) انه من يتق الله ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة ، قاله ابن عباس .

٢) ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة ، قاله ابن السائب .

٣) يجعل له مخرجا من الحرام الى الحلال ، قاله الزجاج .

والصحيح ان هذا عام ، فان الله تعالى يجعل فرجا ويسرا ومخرجا من كل ضيق لمن اتقى الله وتوكل عليه .

رابعا : القدوة الحسنة :

ان القدوة الحسنة تؤتي ثمارها الطيبة والقدوة السيئة تؤتي ثمارها السيئة

---

١) سورة الطلاق اية : ٣ .

٢) انظر تفسير الفخر الرازي ، مجلد : ١٥ ، ج:٣ ، ص ٣٤ .

٣) انظر تفسير زاد المسير ، ج: ٨ ، ص ٢٩١ .

وفي الاخرة يكون الندم والحسرة والتبرأ قال تعالى : " إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ "(١) .

ولما للقدوة الحسنة من الاهمية الكبرى في حياة المسلم ، نجد ان القرآن الكريم ركز عليها كثيرا ، حيث امر الله سبحانه رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - ان يقتدي بالانبياء من قبله ، فقال تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ، قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ"(٢) .

وكذلك حض القرآن الكريم الامة الاسلامية على ان تتخذ نبي الله ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه اسوة حسنة في الدعوة والتوكل على الله قال تعالى : " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"(٣) .

وحض القرآن الكريم الامة الاسلامية على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا "(٤) . وقال تعالى : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"(٥) .

وكان صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه ويحثهم على اتخاذه الاسوة الحسنة في تطبيقهم للكتاب والسنة والتخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم .

قال صلى الله عليه وسلم : " ما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه

---

١) سورة البقرة اية : ١٦٦ .

٢) سورة الانعام اية : (٨٩ ، ٩٠)

٣) سورة الممتحنة اية : ٤

٤) سورة الاحزاب اية : ٢١ .

٥) سورة الحشر اية : ٠٧

فاجتنبوه "[١] .

حتى انه صلى الله عليه وسلم امرهم باتخاذه القدوة فى صلاتهم فقال صلى الله عليه وسلم : " صلوا كما رأيتمونى اصلى "[٢] فهو امر بان يلتزموا افعاله واقواله فى الصلاة ولايزيدوا ولاينقصوا وكذلك فى الحج . حيث قال صلى الله عليه وسلم : " خذوا عنى مناسككم "[٣] .

فينبغى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل عمل كان يقوم به فهو الاسوة الحسنة لنا فى جهاده وصلاته وصيامه وقيامه وحجه وتوكله على الله، وسائر اعماله صلى الله عليه وسلم .

ولان الاسوة الحسنة لها التأثير البالغ على الفرد المسلم فى اقواله واعماله واخلاقه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتخاذ الجليس الصالح وحذر من اتخاذ الجليس السوء .

روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجدّ منه ريحا خبيثة "[٤] .

---

١) اخرجه البخارى ، فتح البارى ، ج:١٣ ، ص ٢٥١ ، رقم : (٧٢٨٨) ، ك:الاعتصام بالكتاب والسنة .

٢) اخرجه البخارى ، فى فتح البارى" ج:١٠ ، ص ٤٣٧ ، رقم :(٦٠٠٨) ك:الادب ، باب :٢٧ ؛ رحمة الناس والبهائم .

٣) اخرجه مسلم ، ك : الايمان ، باب : ١٣ ، حديث (٦٢) ،ج:١ ، ص ٦٥ ، مسند احمد ، مجلد :٣ ، ص (٣١٨ ، ٣٦٦) .

٤) البخارى ومسلم ، متفق عليه ، فتح البارى ، ج:٩ ، ص ٦٦٠ ، رقم :(٥٥٣٤) باب :٣١ ، المسك .

المطلب الثاني

المعوقات

١) اتباع الشيطان:

ان معركتنا مع الشيطان معركة قديمة منذ بداية خلق الانسان حيث ، انه حاول ان يضل آدم عليه السلام وحواء ، وقدر على اخراجهم فى الجنة واقسم ليحتنكن ذريتهم الا قليلا .

قال تعالى : " فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ"(١) .

فالشيطان هنا قلب الموازين رأسا على عقب وهذا ديدنة فى اغرائه لبنى ادم فالذى جعله الله ظلما واعتداء ، جعله هو سببا فى العصمة "ملكين" والذى جعله الله سببا فى الخروج من الجنة ، جعله هو مُحققاً للخلود الابدى " او تكونا من الخالدين"(٢).

فهو عدو للانسان يسعى جادا فى اضلاله وابعاده عن طريق الايمان قال تعالى : "وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"(٣) . واقسم على اغواء البشر اجمعين قال تعالى : "قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"(٤) .

ثم يوم القيامة يتبرأ من اتباعه ويلقى اللوم عليهم قال تعالى : " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"(٥) .

لذلك إذا حَسُنَ توكل الانسان على ربه وكان صحيحا ، وحرزًا متينا وحصنا

---

١) سورة الاعراف ، الاية : ٢٠

٢) كتاب الجهاد فى سبيل الله حقيقته وغايته ، ج:١ ، ص ٥٨٠.

٣) سورة البقرة ، اية (١٦٨ ، ١٦٩).

٤) سورة ص اية : (٨٢ ، ٨٣).

٥) سورة ابراهيم اية : ٢٢

حصينا لايستطيع الشيطان اختراقه بكل مالديه من الوسائل الخبيثة ، لان الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ المتوكلين عليه من الشيطان ووسوساته ، قال تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(١) . الضمير هنا فى الاية عائد على الشيطان اى ليس للشيطان تسلط وقدرة على اغواء المتوكلين على الله لانهم لجأوا الى الله ولاذوا بحماه ، فكفاهم الله شر الشيطان ، قال تعالى " إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا "(٢) .
فَذِكْرُ الربوبية فى الاية (وعلى ربهم يتوكلون) مشعرة بكفاية الله تعالى لهم وتعنى سلب قدرة الشيطان على اغواء من توكل على الله ولاذ بحماه "(٣) .

وخلاصة القول ان الشيطان يقعد للانسان فى كل مرصد ومن ضمنها طريق التوكل على الله ، ليضل الانسان عن سبيل الرشاد ويحرفه عن جادة الصواب ويبعده عن دين الله ، وامام هذه المعركة مع الشيطان واتباعه يقع الكثير من الناس فى مكائد الشيطان وحبائله ، لكنه لايستطيع اغراء المعتصمين بالتوكل على الله لان الله كاف لهم وحافظهم من الشيطان ومغرياته .

٢) تحريف معنى التوكل:

ان سيد المحرفين للكلم عن مواضعه هو الشيطان، ومن انجح تلاميذه فى هذا المجال يهود - لعنهم الله - حيث اضلوا بذلك كثيرا من الناس وافسدوا الفضائل الخلقية فاصبح الحسن قبيحا والقبيح حسناً بتحريفاتهم الضالة المضلة ، قال تعالى: " افَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ "(٤) وقال تعالى : " فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ

---

١) سورة النحل اية : ٩٩.
٢) سورة الاسراء اية : ٦٥
٣) انظر تفسير ابى السعود ، ج:٥ ، ص ١٤٠.
٤) سورة البقرة اية : ٧٥.

وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ"(١) .

وهكذا انتشر تحريف الكلم عن مواضعه من قبل اعداء الله منذ القدم، وفي عصرنا الحديث قلبت الموازين نتيجة للتخطيط الاستعماري الماكر ، الذي يهدف الى نشر الجهل ولاماتة روح وطبيعة الاسلام في نفوس المسلمين ، فاصبح الكثير في شرقنا الاسلامي يعتقد بمفاهيم زائفة ويلصقها بالاسلام، ومن هذه المفاهيم، اعتقد البعض ان التواكل والخمول والقعود عن الحركة والعمل توكل وكان هذا بفعل الجهل الذي خيم على المسلمين في فترة الضعف والابتعاد عن منهج الله، حيث وجد اعداء الله في تلك الفترة مناخا ملائما لنشر كل هذه الاباطيل والتراهات والصاقها بالاسلام قال تعالى : " وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَانَصِيرٍ "(٢) .

٣) <u>سوء الفهم الحقيقي لمعنى الرزق:</u>

ان الحكمة الالهية اقتضت ان يكون بني آدم اجسادا تقوم على الاغذية ولا يدوم لها عيش الا بالاطعمة ، قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"(٣) .

وقسّم الله الارزاق بين العباد فقال تعالى : " نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا"(٤) .

وفسر البعض من الناس، هذه الايات تفسيرا خاطئا ، فقعد عن الحركة وابطل سعيه من اجل الكسب والإعمار واعتبر ان الارزاق آتية لامحالة حسب ماقدر الله

---

١) سورة البقرة ، اية ٧٩.
٢) سورة البقرة ، اية : ١٢٠.
٣) سورة الروم اية : ٤٠
٤) سورة الزخرف ، اية : ٣٢.

قال تعالى : " وَمَامِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ "(١) .

وقال البعض مادام ان الله سبحانه قسّم الارزاق فلماذا اعمل ورزقى مقدر لى قبل ولادتى ومادام ان الله تكفل للمتوكلين بالرزق، قال عمر بن الخطاب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لو انكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا "(٢) .

ونحن نقول ان هذا الحديث حجة عليهم وليس حجة لهم وان فهمهم الخاطىء لهذه النصوص يخرجهم عن حقيقة التوكل الى دائرة التواكل الذى نهى عنه الشرع فالحديث يدعوا الى العمل والحركة والسعى المبكر ، كما تفعل الطير من الغدو من اجل كسب ارزاقها .

" وليس معنى التوكل كما يظنه الحمقاء ، انه ترك السعى والكسب بالبدن-وترك- وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كاللحم على الوَضَم"(٣) فان ذلك جهل محض بالدين ، وهو حرام فى الشرع ، لان الانسانَ مكلفٌ بطلب الرزق بالاسباب التى هداه الله اليها ، من زراعة وصناعة وغيرها مما احل الله"(٤)

---

١) سورة هود اية : ٦ .

٢) سبق تخريجه ، فى ص:١٨

٣) الوضم : هو ماوقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير جمعها أوضام ، وأوضمة ، انظر القاموس المحيط ، ص ١٥٠٧ ، ط:(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) مؤسسة الرسالة بيروت .

٤) انظر كتاب الاخلاق ، ص (٢٧٦ ، ٢٧٧) ط:(١٩٦٣م - ١٣٨٣هـ) .

المبحث الخامس

التوكل والتواكل

المطلب الاول

الفرق بين التوكل والتواكل

"التوكل والتواكل كلمتان متشابهتان في اللفظ ، قريبتان في الكتابة حيث تزيد الثانية عن الاولى بحرف الالف فقط ، لكنهما متفاوتتان في المعنى متناقضتان في القصد والسلوك مختلفتان في الشرع والعقل"[1] .

ويتضح لك هذا الاختلاف والبعد الشاسع بينهما في المعنى من خلال تعريف كل منهما .

فالتوكل يكون بالقيام بالاحكام الشرعية والأخذ بالاسباب التي أحلها الله بعد اللجوء الى الله والاعتماد عليه ، وبدون الاخذ بالاسباب تكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع وفسادا في العقل.

قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "[2] فالعزم يكون بعد الاخذ بالاسباب قال تعالى : " فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "[3] وقال تعالى في خطابه لموسى عليه السلام : " فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ"[4] .

جاء في تفسير هذه الايات "ان فيها أمراً بالحذر مع التنبيه انه لايتنافى مع التوكل على الله "[5] . فالمتوكل على الله هو الذي يقوم بواجباته تجاه نفسه واهله ومجتمعه وفق شريعة الله ، في نفس الوقت يعتمد على الله في كل فعل وحركة وتصرف مستمدا منه العون والتوفيق والنجاح.

اما التواكل : فكلمته مستنبطة من تواكل القوم إذا اتكل بعضهم على

١) منار الاسلام ، ص١٩ .
٢) سورة آل عمران ، اية : ١٥٩ .
٣) سورة الملك اية : ١٥
٤) سورة الدخان اية : ٢٣ .
٥) انظر تفسير المراغي،مجلد : ٢ ، ص١١٦ .
وايضا مجلد : ٣،ج : ٩ ، ص ٦ .

بعض في فعل امر معين ، والواكل من الخيل الذى يحتاج الى ضرب حتى يسير ويتحرك التحرك السليم النافع ،والواكل البليد الجبان العاجز الذى يكل امره الى غيره (١) .

وبذلك يكون التواكل : هو الاعتماد على المخلوقين بالتخلى عن الاسباب وانتظار النتائج منهم مع الانقطاع عن السعى والعمل والحركة اعتمادا على ان الله تكفل برزق المخلوقات وانه المتصرف بشؤون الكون يرزق من يشاء ويحرم من يشاء ، فكيف لايرزق الانسان وهو المخلوق المكرم على سائر المخلوقات . قال تعالى : " لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً " (٢) .

(ولايقف المتواكلون عند هذا الحد من التفسير الخاطىء للتوكل بل يغفلون عن النصوص الشرعية الصريحة التى تقف فى وجههم ويتعسفون فى تأويلها ويحرفونها عن مواضعها ويعرضونها للجدل والمناقشات باسلوب اعوج ومنطق عقيم حتى يصلوا الى القعود عن العمل والجمود فى الفكر والتعطيل فى العقل والسلبية فى الحياة والاعمال والتصرفات وكأنهم جملود صخر لايتحركون ولايعملون ، ثم ينسبون ذلك الاهتراء للدين ، والدين منهم براء فهم متواكلون لامتوكلون) (٣) .

والذى يترك الاسباب التى امر الله بها استغناءً بالتوكل عنها ، فهذا عين العجز والتواكل والتفريط ، والاضاعة لجهد وطاقة الانسان فى هذه الحياة كمن يترك الاعمال التى هى سبب فى النجاة وتحقيق الفلاح ويقعد كسلا طلبا للراحة مؤثرا للدعة والسكون معتمدا على ان الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه اجله فهذا فهم خاطىء وعجز وتفريط (٤) .

---

١) انظر المنجد فى اللغة والاعلام ، ص ٩١٦ ، وايضا المعجم الوسيط ، ج:٢ ، ص ١٠٥٥ .
٢) سورة الاسراء اية : ٧٠
٣) منار الاسلام ، ص ٢٣ .
٤) انظر مدارج السالكين ، ج:٣ ، ص ٣٠٨ ، وايضا كتاب الروح ، ص (٣٤٣ ، ٣٤٤) .

وبذلك التعريف الواضح البين لكل من التوكل والتواكل يتضح الفارق بينهما في الاتي :-(1)

1) ان التوكل صفة محمودة وخلق رفيع وباب من ابواب الايمان الصحيح ، واما التواكل فهو صفة مذمومة وسلوك وضيع ومن اعمال الشيطان.

2) التوكل يدعو اليه الاسلام وامر به القرآن الكريم في العديد من الايات والتواكل يحاربه الاسلام وينهى عنه.

3) التوكل من مبادىء الشرع الحنيف ومن سمات الانبياء والمرسلين وصالح عباده المؤمنين ، والتواكل من شعار الكسالى والغافلين من الحق ووصف لجند ابليس اللعين .

4) التوكل دواء وشفاء ، والتواكل ، مرض وعجز وقعود .

5) التوكل وسيلة للرقي والتقدم الحضاري في هذه الحياة ، واعمار لها بجد ونشاط وسعي متواصل ، لنيل رضى الله سبحانه وتعالى . اما التواكل فهو سبب التخلف والجمود والانحطاط الحضاري والفكري ، واهمال للعقل والفكر وانجرار وراء مخططات الاستعمار الخبيثة للنيل من كرامة الامة الاسلامية ورفعتها.

ومع هذا الوضوح الذي بيناه في معنى كل من التوكل والتواكل فقد يشتبه الامر فيهما على كثير من الناس وذلك للاسباب الاتية:

1) الفهم الخاطيء لاحكام الاسلام:- وذلك يكون بالجهل في قواعد الايمان واحكام المعاملات وعدم التمييز بين حقائق الاسلام ، فمن هنا ينشأ الخلط بين كثير من القضايا الاسلامية والجهل بها ، ونتيجة لهذا الجهل يصبح التوكل الذي هو ثمرةٌ من ثمار الايمان بتحقيق اليقين والطمأنينة للفرد والمجتمع تواكلا وهو مرض خبيث يدب في السلوك الانساني فيشل حركته ويفسد العمل ويصيب الاحكام الشرعية بالجمود.

2) الجهل بالدين :- وهذا ناتج عن محاولة الجهلة لتفسير الدين بجهالة،

---

1) انظر منار الاسلام ، ص ٢٠.

والحديث عن الاسلام بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير ، وهذا ذنب عظيم يقع على علماء الاسلام لتقصيرهم فيما يجب عليهم من التبليغ والدعوة وتوضيح تعاليم الاسلام واحكام القرآن لتكون ناصعة مشرقة ، تجذب القلوب وتحقق الهداية والرشاد .

٣) حملات التشويش والدس والتضليل التى يقوم بها اعداء الاسلام ليلا ونهارا لتلبيس الامور على المسلمين وتشويش حقائق دينهم ، والحاق كل منقصة به، لكى يُوقعوا الشك والريبة فى نفوس المسلمين ، والتردد فى حياتهم والكسل فى اعمالهم والجمود فى سلوكهم ويتركوهم فى نهاية المطاف فريسة سائغة للتشهير والاستعمار والاستغلال الاقتصادى والسياسى.

٤) تجزئة الدين وتمزيق احكامه :- وهذا يأتى من الداخل والخارج اى من قبل الاتباع والاعداء على حد سواء وذلك بالمناداة التى نسمعها بفصل الدين عن الدولة وفصل العقيدة عن الشريعة وفصل الدين عن السياسة وفصل الايمان عن العمل والتمسك بالعبادة فقط مع التخلى عن المعاملات والاحكام الشرعية فى سلوك الفرد والمجتمع .

وبهذه الفوارق الواضحة بين التوكل والتواكل ، يتضح المراد الذى ينبغى ان يفهمه ابناء المجتمع المسلم لكى لاتدخل عليهم شبهات الاعداء السامة تجاه هذا الدين من خلال الخلط بين التوكل والتواكل (١) .

---

١) انظر منار الاسلام ، ص ١٠ .

المطلب الثانـــي

زيادة التوكل ونقصانه

ان التوكل مرتبط ارتباطا وثيقا بالايمان ، وكما ان الايمان يزيد وينقص ، ايضا فان التوكل يزيد بفعل الطاعات وينقص بارتكاب الاثام.

قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(١) .

فالاية الكريمة نص قاطع على زيادة الايمان بالطاعات وفعل العبادات والتوكل على الله من اعظم واجمع انواع العبادات في الاسلام لما ينشأ عنه من الثمار الصالحة الكثيرة في حياة المسلمين لذلك فهو شرط من شروط تحقيق الايمان ، قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ "(٢) .

حيث جاء في التفسير " كأنه يقول للمسلم حال اسلامه ، ان كنت من المؤمنين بالله فعليه توكل في جميع امورك الحياتية ، واذا حصل للعبد الايمان والاسلام فانه ينبغي تفويض الامور كلها الى الله ، وكلما كان قويا بايمانه كان نور التوكل اسطع في القلب واعظم نورا "(٣) .

وذلك برهان على زيادة التوكل مع زيادة الايمان ، وجعل ابن القيم التوكل على الله شرطا في الايمان ، ودلل على انتفاء الايمان عند انتفاء التوكل(٤) ، وبرهن المحاسبي*فقال : " التوكل محض الايمان لانه فريضة على العباد ولايكون الايمان

---

١) سورة الانفال اية ٢

٢) سورة يونس اية ٨٤

٣) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج: ٤ ، ص ١٦٩ .

٤) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ج: ٢ ، ص ٣٥٣ .

* المحاسبي : هو ابوعبد الله الحرث اسد المحاسبي ، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر والباطن وله باع في علم الاصول والمعاملات ، بصري الاصل واستاذ اكثر البغداديين في عصره ، سمي بالمحاسبي لكثرة حسابه لنفسه له كتاب " الرعاية لحقوق الله" ، ت ببغداد سنة ٢٤٣ هـ ، انظر طبقات الصوفية ، ص ٥٦ ، لابي عبدالرحمن السُلمي ط١(١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م) مطابع دار الكتاب العربي بمصر وحليه الاولياء ، ج: ١٠ ، ص(٧٣-١٠٩) وايضا طبقات الشعراني ج: ١ ، ص (٨٧ ، ٨٨) وشذرات الذهب ،ج: ٢ ، ص ١٠٢ وصفة الصفوة ، ج: ٢ ، ص٢٠٧ ، سير اعلام النبلاء ، ج: ٨ ، ص ١٧١ ، وايضا جمهرة الاولياء ، ج: ٢ ، ص(٢٩١ - ٢٩٧)ط١(١٣٨٧هـ - ١٩٦٧) ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة.

الا بالتوكل والتوكل يزيد وينقص بفعل الطاعات كما ان الايمان يزيد وينقص ، والناس يتفاضلون في التوكل على قدر اليقين" [١] .

من خلال ذلك العرض المقتضب تبين ان التوكل يزيد وينقص وهناك عوامل لزيادة التوكل ونقصانه نوضحها في الاتي :-

اولا : عوامل زيادة التوكل:

١) معرفة الله واسمائه وصفاته:

كلما كان الانسان معظما لله تبارك وتعالى في اسمائه وصفاته كان توكله على الله اقوى وكلما حاول ان يسيطر عليه اليأس ويبتعد عن الله ضعف عنده التوكل واذا تذكر الانسان ان الله وليه تتجدد فيه قوة الايمان والتوكل على الله ، ويفر منه اليأس والقنوط .

٢) فعل الطاعات :

ان ازدياد فعل الطاعات من العبد لخالقه يزيده تقرباً من الله ، وكلما كان العبد قريبا من الله ، كان توكله اقوى الى ان يحبه الله بفعل الطاعات المقربه للانسان من خالقه ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" [٢] .

٣) الكسب الحلال والبعد عن المحرمات:

ان الكسب الحلال والابتعاد عن المحرمات يزيد من توكل الانسان " لان من كانت حركته في طلب الرزق قائمة على الحق والوقوف عند تجاوز الحدود وملازمة الورع وتقوى الله في اماكن العمل كالمتجر وفي الصناعات والزراعة وسائر الحرف المهنية وغيرها ، وكان لله مطيعا ، كان من اهل التوكل.
ومن خالف شيئا فارتكب اثما في كسبه وتعدى عما يجب عليه من الصدق فكان بذلك مذموما وقد نقص توكله" [٣] .

١) انظر ادب النفوس للمحاسبي ، ص ١٩٨ ، تحقيق عبدالقادر عطا ط ١٩٨٤م ، دار الجيل.
٢) سورة آل عمران اية ١٥٩
٣) كتاب الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ، ص ٤٨ ، للمحاسبي ، تحقيق محمد الخشت ط: (لايوجد) مكتبة القرآن القاهرة.

ثانيا : عوامل نقص التوكل:

لقد ذكر ابوطالب المكى* فى كتابه (١) العوامل التى تنقص التوكل نلخصها فى الاتى :-

١) اكتساب الشبهات وارتكاب المحرمات.

٢) التسخط للقدر وعدم التسليم بقضاء الله وقدره اذا لم يؤته بما يفرح ويرضى .

٣) ارتكاب الذنوب والاثام.

٤) اتباع الشيطان

٥) السعى للكسب من اجل الجمع والافتخار

٦) ان يكون متوكلا على صحة جسمه ودوام عافيته وانه لايرزق الا من كده وتعبه ، وينسى خالقه الذى انعم عليه بعافية الجسم .

٧) ان يكون متوكلا على ماله بان يثق به ويطمئن اليه.

٨) ان يكون متوكلا على الناس بان يطمع فيهم .

فبهذه العوامل مجتمعة يزيد توكل الانسان وينقص بحسب ابتعاده وقربه منها فاذا ابتعد عن عوامل ضعف التوكل وتمسك بعوامل زيادة التوكل كان من المتوكلين والعكس صحيح.

---

١) انظر قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، ص ٣٤ ، ط : (لايوجد) مصطفى البابى الحلبى وشركاه.

* ابوطالب المكى : هو محمد بن على بن عطية المكى شيخ الاسلام وقدوة للاولياء كان زاهدا ولقى الصوفية وصنف ووعظ فكان له لسانا حلوا فى ذلك وكان فى البداية صاحب رياضة ومجاهدة وفى النهاية اصبح من اصحاب الاسرار والمشاهده ، له كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، ت ، سنة ٣٨٦هـ فى جمادى الاخرة وكان صالحا مجتهدا رحمه الله، انظر الاعلام للزركلى ٢٧٤/٦ وشذرات الذهب ١٢٠/٣ ، ١٢١ والبداية والنهاية ٣١٩/١١، وسير اعلام النبلاء ٥٣٧/١٦ وايضا وفيات الاعيان ٢٩٨/٢.

المطلب الثالث

التوكل والرهبانية

الرهبانية(١)

هى المبالغة فى العبادة لحد الانقطاع عن العمل وعن الناس وهى منسوبة الى الرهبان، وتعنى تعطيل الحياة، وشل حركة الفرد الايجابية فى المجتمع، ولم يأمر بها الله، ولم يكتبها على عباده، قال تعالى : " ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ "(٢)

الراجح فى تفسير هذه الاية(٣) ان الاستثناء هنا منقطع بمعنى انهم ابتدعوها من عند انفسهم ابتغاء رضوان الله وقيل متصل اى ماكتبناها عليهم، بمعنى ما تعبدناهم بها ، فهى من بدع اهل الكتاب الذين نهاهم الله عن الغلو فى دينهم، قال تعالى : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ "(٤) .

وقال صاحب الظلال"ان هذه الرهبانية التى عرفها تاريخ المسيحية كانت اختيارا من بعض اتباع عيسى عليه السلام، ابتدعوها من عند انفسهم ابتغاء رضوان الله ، وابتعادا عن اوضار الحياة ، ولم يكتبها الله عليهم ابتداء، ولكنهم حينما اختاروها وأوجبوها على انفسهم صاروا مرتبطين امام الله بان يرعوها حق رعايتها ويحافظون على مقتضياتها من تطهر وترفع وقناعة وعفة.

ولكنها سرعان ما انتهت الى ان تصبح فى الغالب طقوسا وشعائر خالية من

---

١) الرهبانية: هى كالاختصاء واعتناق السلاسل ولبس المسوح من الثياب وترك اللحم ونحوها انظر القاموس المحيط ، ص ١١٨ ، ط:١(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) مؤسسة الرسالة .

٢) انظر سورة الحديد اية : ٢٧.

٣) انظر تفسير البيضاوى ، ص ٧١٨ ، ط(١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) دار الفكر .

٤) سورة المائدة اية : ٧٧.

الروح ، وان يتخذها الكثيرون مظهرا عاريا من الحقيقة "[١].

الرهبانية بهذا المفهوم تكون على طرفي نقيض مع التوكل بل هى قرين للتواكل الذى هو السلبية والانقطاع عن العمل والناس، وتعطيل لعجلة المجتمع الدينـاميكية فى النمو والحركة وزيادة الانتاج والسير نحو الافضل وفق ما امر الله فى كتابه العزيز ، قال تعالى : " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ "[٢].

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزيادة فى العبادة التى قد تؤدي بايجاد مثل هذا الانقطاع والشلل التام لحركة الفرد والمجتمع فقد روى البخارى فى صحيحه ، عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما اخبروا كانهم تقالوها وقالوا : اين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال احدهم اما انا فأصلى الليل ابدا ، وقال آخر : وانا اصوم الدهر ولا افطر ، وقال الاخر : وانا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ اما والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى "[٣].

لقد وضح صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين يسر وجاء ليطبق فى حدود الطاقة البشرية ، ولن يشاد احدٌ هذا الدين الاّ غلبه وامر صلى الله عليه وسلم ان نوغل فيه برفق وان نستعين على طاعة الله عز وجل بالاعمال فى وقت النشاط بحيث يستريح المؤمن فى عبادته لله ، فلا يسأم ويبلغ المقصود كالمسافر الحاذق الذى يسير فى الاوقات ويستريح هو ودابته فى اوقات اخرى ، فيصل الى مقصوده

---

١) فى ظلال القران ، مجلد :٦، ص ٣٩٥، ج:٢٧ ط:١٠(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الشروق.

٢) سورة التوبة اية : ١٠٥.

٣) الحديث متفق عليه • اخرجه البخارى ، ج:٧ ، ك:النكاح ، باب: الترغيب فى النكاح ، ص ٢ ، حديث (١) ،واخرجه مسلم ج:٢ ، ك:النكاح ، ص ١٠٢٠ ، حديث (١٤٠١) باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه ، واخرجه النسائى ، ج:٦ ، ك:النكاح ، باب النهى عن التبتل ، ص ٦٠ ، واحمد فى المسند ، ج:٣ ، ص ٢٤١.

بغير تعب وهو مفعم بالحيوية والنشاط ، حيث جاء في الحديث الشريف عن ابي هريرة* - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إنّ الدِّينَ يُسْرٌ ، ولَنْ يُشادَّ الدِّينُ إلاّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وقَارِبُوا وأبْشِرُوا واسْتَعِينُوا بالغَدْوَةِ والرَّوحَةِ وشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ "(1) .

روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - " ألَمْ أُخْبَرْ أنّكَ تَصُومُ النَّهارَ وتَقُومُ اللّيلَ ؟" قُلْتُ : بَلَى يارسول الله قال : " فلا تَفْعَلْ : صُمْ وأفْطِرْ ، ونَمْ وقُمْ فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وإنَّ لِعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً ، وإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيَامٍ ، فَإنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا فَإنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ " فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ ، قُلْتُ : يارسول الله إنِّي أجِدُ قُوَّةً ، قال : صُمْ صِيامَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ ولاتَزِدْ عَلَيْهِ ، قلتُ : وما كَانَ صيامُ داودَ ؟ قال : نِصْفُ الدهر فكان عبد الله يقول بَعْدَما كَبِرَ : ياليتني قبلتُ رُخْصَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم "(2) .

ان الدارس لهذه الايات والاحاديث النبوية الشريفة ، يتضح له كل الوضوح ، ان الاسلام ينهى عن السلبية والتواكل والخمول والعجز والانقطاع للعبادة فقط ، ويأمر بالسعي والجد والجهاد لبناء المجتمع المسلم والاخذ بالاسباب والتوكل على الله، وبمزاولة هذه الحياة دون افراط فيها او تفريط وان يستمتع بطيباتها

---

1) اخرجه البخاري ، والنسائي ، ج:٨ ، ص(١٢١ - ١٢٢) فتح الباري ، ج:١ ، باب : ٢٩ ، ص٩٣ حديث(٣٩) .

2) اخرجه البخاري ، ك:التهجد ، باب : ٢٠ ، ص ٥٣٩ ، واخرجه مسلم ، ج:٢ ، ك : الصيام، باب : ٣٥ ، ص (٨١٧ ، ٨١٨) رقم :(١١٦٢) وسنن النسائي ،ك:الصيام ، ج:٤ ، ص(١٨٠-١٨١) باب : ٧٦ ، ط:١(١٣٨٣هـ - ١٩٦٤) مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر واخرجه احمد في المسند، ج:٢ ، ص (١٩٨ ، ١٩٤) .

* ابو هريرة : هو عبدالرحمن بن صخر ، صحابي جليل اسلم عام خيبر سنة ٧ هـ و شهد الغزوة ، لزم الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة فترة اسلامه واظب على هذا الالتزام رغبة في العلم ، وقد شهد له الرسول بذلك ، وكان من المكثرين للحديث مع تأخر اسلامه ، روى عنه نحو من ثمانمائة رجل من اهل العلم ، توفي بالمدينة سنة ٥٧ هـ وقيل ٥٨ وقيل ٥٩ وكان عمره ٧٨ سنة استعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله وتأمر على المدينة في ايام معاوية . انظر الاصابة ٧ (٤٢٥-٤٤٥)رقم(١٠٦٧٤) والاستيعاب ٤/(١٧٦٨ -١٧٧٢) رقم (٣٢٠٨) لابي عمر يوسف بن عبد البر تحقيق البيجاوي ، ط(لايوجد) مطبعة نهضة مصر الفجالة ، القاهرة.

وهو يعلم انها حلال له فى الدنيا وله الاجر الكبير يوم القيامة.

وبهذا يكون قد عمل فى هذه الحياة لتسخير قواها وطاقاتها وهو يعرف ان هذا واجب الخلافة عن الله ، قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (١) .

---

١) سورة النور اية : ٥٥.

المبحث السادس

حكم التوكل والتواكل

اولا : حكم التوكل:

جاء فى وجوب التوكل على الله وفرضه آيات كثيرة فى سور متعددة من القرآن الكريم منها :

قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(١)

وقوله تعالى:" وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ "(٢)

وقوله تعالى:" وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"(٣)

ان النظرة التفسيرية لهذه الايات الكريمة وغيرها توضح وجوب التوكل على الله وحده دون سواه ، وذلك لانه سبحانه اهل للتوكل عليه ، لما يتصف به من الكفاية والقدرة والعلم ، ولان الايات تفيد الحصر بتقديمها الجار والمجرور على الفعل فيكون التوكل على الله وحده ، ولايجوز التوكل على غيره .

قال بعض المفسرين : " ولما كان لاكافى الا الله ولاقادر على كل شىء سواه ولا عالم بشىء غيره كان التوكل عليه سبحانه واجبا والتوكل على غيره باطلا وشركا"(٤) .

ومما يوجب التوكل على الله قوله تعالى حكاية على لسان موسى عليه السلام: " وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّسْلِمِينَ "(٥) .

ففى هذه الاية (يكون التوكل حكمه الوجوب وفرض على المؤمنين لانه منوط به الايمان وجعل الايمان شرط للتوكل الذى هو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره "(٦) .

---

١) سورة آل عمران ، اية (١٢٢ ، ١٦٠) ، وسورة المائدة اية :١١ ، وسورة التوبة اية : ٥١ ، وسورة ابراهيم اية :١١ ، وسورة المجادلة اية : ١٠ ،

٢) سورة المائدة اية : ٢٣.

٣) سورة ابراهيم آية : ١٢.

٤) انظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد : ٨ ،ج:١٦ ، ص ٨٩ وايضا انظر عقيدة المؤمن ، ص ١١٨.

٥) سورة يونس اية : ٨٤.

٦) تفسير روح المعانى ، مجلد ٤ ، ج:١١ ، ص ١٧٠.

واكد الله سبحانه وجوب التوكل عليه بقوله تعالى : " إِنْ يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون"(١) اى على الله وحده لاعلى احد سواه فليجعل المؤمنون اعتمادهم واتكالهم ، لان الذين يعتمدون على اى قوة سوى الله تعالى لن يصلوا الى العاقبة التى اعدها الله لعباده المتقين .

وفى الاية الكريمة تشريف للمؤمنين لايجاب التوكل عليه وترغيب فى طاعة الله التى تؤدي الى النصر ، وتحذير لهم من معصيته التى تفضي الى الخسران والبوار والخذلان "(٢) .

ويرى القاشانى : وجوب التوكل على الله وكونه حصنا حصينا للمؤمنين من جانبين(٣) :-

١) لان ربوبية الله شاملة لكل شىء فى هذا الوجود ومن يتخذ الله ربا ، فلا حاجة له الى كلاءة غيره وحفظه . قال تعالى : " قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَاتَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَاتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ "(٤) .

٢) ان كل ذى نفس من البشر تحت قهره وسلطانه سبحانه وتعالى متصرف بها كيفما شاء .

قال تعالى : " اللَّهُ يَتَوَفَّى الانفسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "(٥) .

---

١) سورة آل عمران اية : ١٦٠ .

٢) انظر التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ص ٤١٩ ط(١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) مطبعة السعادة ، وايضا قوت القلوب ، ص ١٨ .

٣) انظر تفسير القاسمى مجلد : ٦ ، ج:٩ ، ص ١٤١ .

٤) سورة الانعام اية : ١٦٤ .

٥) سورة الزمر اية : ٤٢ .

وبذلك يكون حكم التوكل الوجوب ولاينبغى لاحد ان يخرج فى توكله على الله ويتوكل على غيره ، لان فى الاتكال على غير الله تعطيل لفريضة التوكل على الله الواجبة فى حق العباد .

ويرى ابن تيمية " ان التوكل مقام جميع المؤمنين لايخرج عنه الا كافر او منافق"[(١)] .

حكم التوكل على غير الله:

التوكل على غير الله ينقسم حكمه الى ثلاثة اقسام ذكرها صاحب " الجديد فى شرح كتاب التوحيد " نلخصها فى الاتى[(٢)] :

١) ان يتوكل الانسان على مخلوق مثله فيما لايقدر عليه الا الخالق ففى هذه الحالة - يرفع المخلوق الى مرتبة الخالق وهذا حكمه الشرك الاكبر والعياذ بالله منه .

٢) ان يتوكل الانسان على المخلوق فيما يقدر عليه مع تعلق القلب فى جلب المنفعة ودفع المضرة على المخلوق الفانى وهذا حكمه الشرك الاصغر أعاذنا الله منه.

٣) ان يعتمد على المخلوق فيما يقدر عليه بدون ان يتعلق القلب به فى جلب المنفعة ودفع المضرة ، وهذا جائز كالاعتماد على شخص فى بيع او شراء او بناء او غيره من الامور الدنيوية التى فى استطاعة البشر القيام بها .

وبهذا العرض البسيط يتبين ان التوكل على الله واجب بنص القرآن وباتفاق الامة ، وان من توكل على الله فى حصول محرمات فهو ظالم لنفسه ومن اعرض عن التوكل فهو عاص لله ورسوله بل خارج عن حقيقة الايمان"[(٣)] .

---

١) مجموع فتاوى ابن تيميه ، مجلد : ٧ ، ك : الايمان ، ص ١٦ .
٢) انظر الجديد فى شرح كتاب التوحيد ، ج: ٢ ، ص ٢١٢ ، ط ٢(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩) مكتبة التوفيق .
٣) انظر نقد ابن تيمية للتصرف ، ص ٨٤ ، ط(لايوجد) دار الفكر ، الخرطوم .

حكم التواكل :

التواكل : كما علمنا هو تعطيل الأخذ بالاسباب وفق سنن الله فى هذا الكون، والعجز والقعود وشل لحركة الفرد والمجتمع، املا فى ان تمطر السماء ذهبا وفضة وما كانت السماء لتمطر شيئا من ذلك .

وهذا العجز والخمول والكسل الذى يؤدى الى تعطيل خلافة الانسان فى الارض مناف للعقل والشرع حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم انى اعوذ بك من الكسل والعجز والبخل "(١) .

والعجز هو عبارة عن ترك مايجب فعله بالتسويف والمماطلة ، وهو عام فى امور الدنيا والدين .

ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا العجز الذى هو التواكل فى حد ذاته ، لانه مناف للشرع ولممارسته صلى الله عليه وسلم لجميع الاسباب الظاهرة التى احلها الله ، سواء فى بيته صلى الله عليه وسلم او فى غزواته او دعوته الى الله.

فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم العملية تشجب اقوال المتواكلين وتدحض حججهم الباطلة وافتراءاتهم الزائفة وتمنيهم على الله الامانى الكاذبة.

قال صلى الله عليه وسلم : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى "(٢) .

وامر صلى الله عليه وسلم التزام طريق التوكل الصحيح بما فيه دحض للتواكل والمتواكلين حيث روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان فى جنازة فاخذ عودا فجعل ينكت فى الارض فقال : " مامنكم من احد الا كتب مقعده من الجنة او من النار " قالوا : الانتكل قال : " اعملوا فكل ميسر فاما من اعطى واتقى ، الاية "(٣) .

---

١) سنن الترمذى ، ك : الدعاء ، ص ٧٨ .
٢) اخرجه الترمذى ، ج:٤ ، ك: صفة القيامة ، باب : ٢٥ حديث ٢٤٥٩ ، ط:(١٣٨٢هـ - ١٩٦٢) مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر واخرجه ابن ماجة ، ج:٢ ، ك:الزهد ، ص ١٤٢٣ ، رقم (٤٢٦٠)، ط(١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م) دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه .
٣) صحيح البخارى ، ج:٧ ، ك :التوحيد ، باب :٥٤ ، ص ٢١٥ ، وايضا ج:٨ ، ك: الجنائز، باب ، ٨٣ ، ط: المكتبة الاسلامية .

خلاصة القول فى حكم التواكل:

" انه حرام وليس من الدين لانه مخالف لنصوص القرآن والسنة والاجمـــــاع ويؤدى الى الغوضى وسوء التدبير وعدم العدالة "(١) .

---

١) منار الاسلام ، ص ٢٦ .

الفصل الثاني

لوازم التوكل

الفصل الثاني

لوازم التوكل

يتكون من ستة مباحث اساسية وهي كالتالي :-

المبحث الاول : المعرفة بالله وصفاته

المطلب الاول : المعرفة بالله
المطلب الثاني : المعرفة بالاسماء والصفات
المطلب الثالث: الاداب المترتبة على المعرفة بالله وصفاته

المبحث الثاني : **الاخلاص فى التوحيد لله بلا شرك**

المطلب الاول : تعريف الاخلاص وذكره فى القرآن والسنة
المطلب الثاني : مجالات الاخلاص

المبحث الثالث : الاستسلام لله وحسن الظن به

المطلب الاول: الاستسلام لله تبارك وتعالى
المطلب الثاني: حسن الظن بالله تعالى

المبحث الرابع : الاخذ بالاسباب

اولا : التوكل والاخذ بالاسباب
ثانيا : علاقة الاسباب بالمسببات
ثالثا : ترك الاسباب تعطيل للحياة
رابعا : نظرة الناس الى الاسباب
خامسا : آداب الاخذين بالاسباب
سادسا : حكم الاخذ بالاسباب

المبحث الخامس : السعى لكسب الرزق

المطلب الاول : التوكل يدعو لكسب الرزق
المطلب الثاني : التوكل ينافى التسول
المطلب الثالث : حكم السعى للكسب

المبحث السادس : التفويض

اولا : معنى التفويض
ثانيا : التفويض والتوكل
ثالثا : ثمار التفويض

المبحـــث الاول

المعرفة بالله وصفاته

مقدمـــة:

ان التوكل حال مركبة من مجموعة امور لاتتم حقيقته الا بها ، وكل مـــن العلماء اشار الى واحد من هذه الامور او اثنين او اكثر٠

اول هذه الامور " المعرفة بالله تعالى وصفاته " التى سنشير اليها فى هذا المبحث بشيء من التفصيل ،وينقسم الى ثلاثة مطالب اساسية ٠

المطلب الاول : " المعرفة بالله " ويتحدث عن حقيقة المعرفة بالله ووسائل المعرفة التى تزيد الانسان يقينا وثباتا فى طريق الايمان وتجعله متوكلا على الله فـــى جميع الامور٠

اما المطلب الثانى: وهو " المعرفة بالصفات " وتطرقت فيه الى بعض الصفات التـــى ذُكِرَتْ فى القرآن والسنة شارحا كيفية الايمان بهذه الصفات٠

والمطلب الثالث : " يتحدث عن الاداب المترتبة على معرفة الله حق المعرفة ، فمن آمن بالله وبصفاته من قدرة وكفاية وقيومية وانتهاء الامور الى علمه ، الذى احاط كل شيء فى هذا الوجود ، وان الاشياء صادرة عن مشيئته وقدرته لابد ان يتحلـــى باداب سامية ، كالعبادة والطاعة والحياء وغير ذلك٠

وبهذا تكون المعرفة بالله سبحانه وصفاته ، هى اول درجة يخطوها الانسان فى طريق التوكل على الله ٠(١)

المطلب الاول

المعرفة باللـــــه

حقيقة المعرفة بالله:

تتمثل بمعرفة الحق تبارك وتعالى واسمائه وصفاته ، ومن ثم تصديق هـــذه

---

١) انظر بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ،ج: ٥ ،ص ٢٧ ،ط(لايوجد) المكتبة العلمية، بيروت٠

المعرفة فى المعاملات ، وسلوك الافراد فى الابتعاد عن الاثام والتقرب الى الله فى جميع الاحوال ، ولابد لهذه المعرفة ان توجب الحياء والتعظيم وتقدير الله حق قدرة ، عند من عرفه حق المعرفة ، كما توجب التوحيد لله فى الالوهية والربوبية والقوامة، وتكون عند المؤمن الرضا والتسليم والتوكل عليه (١) .

ان اول واجب فرضه الله عز وجل على عباده فى هذه الارض معرفته سبحانه وتعالى باقرار حقيقة التوحيد ، قال تعالى : " وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ " (٢) . وقوله تعالى : " هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " (٣) .

والله سبحانه وتعالى منذ ان خلق الخلق ، اخذ عليهم الميثاق ثم فطرهم شاهدين على انفسهم بالاقرار بوحدانية الله ، قال تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا " (٤) .

ثم ارسل الله سبحانه وتعالى الرسل الى الناس جميعا ، بدعوتهم الى توحيد الله ، ونفى الشرك ونبذ الشركاء ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ " (٥) .

كما ان القرآن الكريم فتح آفاقًا للعقل البشرى لكى يتفكر ويتدبر فى النفس الانسانية وفى هذا الوجود من حوله - ضمن حدود استخلاف الانسان فى الارض - لكى يزداد ايمانا ويقينا ومعرفة بالله ، قال تعالى : " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " (٦) . وقوله تعالى : " وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

---

١) انظر الرسالة القشيرية ،ج:٢ ،ص ٦٠٤ ،ط: (لايوجد) دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
٢) سورة البقرة ، اية : ١٦٣ .
٣) سورة ابراهيم ، اية ٥٢ .
٤) سورة الاعراف ، اية : ١٧٢
٥) سورة الحج ، اية : ٧٣
٦) سورة آل عمران ، اية : (١٩٠ ، ١٩١)

وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ "(١) .

وسائل المعرفة بالله:

لكى تتم حقيقة المعرفة بالله واسمائه وصفاته ، لابد ان نذكر الوسائل التى تقوم عليها معرفة الله سبحانه ، حتى يتسنى للجميع معرفتها ومن ثم السير على هدى ونور فى هذه الحياة الدنيا وهى كالتالى :-

اولا: معرفة الله عن طريق التوحيد :

لقد قرر القرآن الكريم حقيقة التوحيد فى هذه الحياة عند الخلق فى كثير من الايات القرآنية منها :-

قوله تعالى : " وَقَالَ اللَّهُ لاَتَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ "(٢) .

وقال تعالى : " أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ، لاَيُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ "(٣) .

وقال تعالى : " لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "(٤) .

قال تعالى : " قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ "(٥) .

الى غير ذلك من الايات التى تثبت انه سبحانه وتعالى واحد فى صفاته واحد فى افعاله وتصرفاته ، لارب غيره ولا اله سواه وهو على كل شيء قدير ، قال

١) سورة الذاريات اية : (٢١ - ٢٣).
٢) سورة النحل ، اية :(٥١ ، ٥٢).
٣) سورة الانبياء اية : (٢١ - ٢٤)
٤) سورة المائدة اية : ٧٣
٥) سورة المؤمنون اية : (٨٤ ، ٨٥).

تعالى : " قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"(١) .

ومن خلال استقراء هذه الايات القرآنية يتضح ان التوحيد ينقسم الى نوعين :

١) التوحيد العلمي الخبري :

وهو يتضمن الاعتقاد الجازم الكامل باثبات صفات الكمال لله وتنزيهه سبحانه وتعالى عن التشبيه والتمثيل والتعطيل ، وتنزيهه عن صفات النقص ، ويشمل ايضا توحيد الالوهية والربوبية والاسماء والصفات .

٢) التوحيد الطلبي القصدي الارادي:

ويعني عبادة الله تعالى وحده دون شريك له في الخلق والملك والحكم والسلطان ، مع تجريد المحبة لله ، والاخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه في كل امر ونهي(٢) . قال تعالى : " وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ"(٣) . قال صاحب المنار " عبادة الله غاية الشكر له بالقيام بما يجب لالوهيته ، والاستعانة بالله ، هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لربوبيته ، الاول : لانه الاله الحق الذي يعبد ، والثاني : لانه هو المربي للعباد الذي وهب لهم جميع ماتكمل به تربيتهم الصورية والمعنوية ، ومرارا مايذكر القرآن الكريم العباده والاستعانة بعد ذكر اسم الله الاعظم ، والاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحل محله ، وهو كمال التوحيد والعبادة الخالصة ولذلك جمع القرآن بينهما"(٤) كما اتضح من الاية السابقة حيث امر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها اليه سبحانه ،

---

١) سورة الانعام اية : ١٦٤ .

٢) انظر معارج القبول بشرح مسلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد ، ج:١ ، ص ٥٤ ، ط(لايوجد) المطبعة السلفية ومكتبتها .

٣) سورة هود اية : ١٢٣ .

٤) تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار ، مجلد :١ ، ص ٦٠ ، ط:٤ ، مكتبة القاهرة .

واخر الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة للتنبيه على ان التوكل لاينفع دون العبادة لله وحده بلا شريك[١] .

ثانيا : معرفة الله عن طريق العقل:

ان لكل عضو من اعضاء الكائن البشري وظيفة خاصة به ووظيفة العقل الانساني هي : التأمل والتفكير في هذا الوجود والبحث والتحري للوصول الى النتائج التي تزيد الانسان ايمانا ويقينا ومعرفة بالله سبحانه وتعالى .

ولما للعقل من اهمية في هذه الحياة ، قدّر الاسلام العقل ودعا الى النهوض بالعقل البشري لاداء وظيفته في هذا الوجود ، فحث الناس على النظر والتفكير في مخلوقات الله سبحانه ، لكي يزداد الانسان ايمانا مع ايمانه عن طريق التأمل في مخلوقات الله ، قال تعالى : " قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ "[٢] .

اي انظروا وتفكروا ماذا في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانية الله وعجائب صنعه ، لتهتدوا الى كمال قدرته سبحانه وتعالى[٣] .

قال تعالى : " أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ، وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ "[٤] .

---

١) انظر تفسير روح المعاني ، مجلد : ٤ ، ج:١٢ ، ص ١٦٧ .
٢) سورة يونس ، اية : ١٠١ .
٣) انظر تفسير البيضاوي ، ص ٢٨٨ .
٤) سورة ق اية :٦-١١ .

وحث على التفكير في خلق السموات والارض، وتعاقب الليل والنهار، وقال تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الألْبَابِ"(١).

• وذم الذين لايتفكرون ولاينظرون الى الايات الكونية الدالة على عجيب صنعه فقال تعالى: " وَكَأَيِّنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ"(٢).

وبذلك يكون تعطيل العقل عن اداء وظيفته ضمن الحدود التي رسمها القرآن الكريم للعقل، هبوطاً بالانسان الى مستوى اقل من مستوى الحيوان، لانه يصبح في تيه وتخبط واضطراب(٣).

قال تعالى: " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"(٤).

قال حسن البنا* " ومن هنا تعلم ان الاسلام لم يحجر على الافكار ويحبس العقول وان أرشدها الى التزام حدها، وعرّفها قلة علمها وندبها الى الاستزادة من معارفها"(٥).

فالانسان مهما بلغ في العلم والمعرفة فانه لم يعلم الا القليل قال تعالى: " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً "(٦) وعلى الانسان ان يطلب دوما المزيد من العلم لانه ينبوع لاينضب قال تعالى: " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا "(٧).

---

١) سورة آل عمران اية: ١٩٠.
٢) سورة يوسف آية: ١٠٥.
٣) انظر الثقافة الاسلامية في ضوء القرآن والسنة، ص١٨، ط(لايوجد) طبعة دار المريخ، الرياض.
٤) سورة الاعراف اية: ١٧٩.
٥) مجموعة رسائل حسن البنا، كتاب العقائد، ص ٢٩٤، ط(لايوجد) دار الشهاب.
٦) سورة الاسراء اية: ٨٥
٧) سورة طه اية: ١١٤.
* حسن البنا: داعية اسلامي معاصر، ولد سنة ١٩٠٦م حارب الاستعمار الانجليزي في مصر، وخاض حرب عام ١٩٤٨م في فلسطين واستشهد في سنة ١٩٤٩.

ثالثا : المعرفة عن طريق الخلق

اذا تبصر الانسان فى حقيقة الكون من حوله ، اتضح له انه لابد لهذا الكون من خالق ، خلق هذا الوجود الفسيح والخلق الكثير ٠

قال تعالى : " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لَايُوقِنُونَ "(١) ٠

قال ابن عباس :﴿ ام خلقوا من غير شىء : اى من غير رب خالق ﴾ وذلك لا يجوز ان يكون ، لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم ، فالمخلوق لابد له من خالق خلقه ، فمن انكر الخالق من الشيوعيين وغيرهم لم يُجز ان يوجدوا بلا خالق ، " ام هم الخالقون " لانفسهم وذلك فى البطلان اشد لان مالا وجود له فى الاصل كيف يخلق؟! فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليتوكلوا عليه ٠ " ام خلقوا السموات والارض " وهذا فى البطلان اشد واشد لانه اذا بطل خلقهم لانفسهم ، فمن الاولى بطلان خلقهم للسموات والارض وهى اعظم فى خلق الانسان ، ولان المسبوق بالعدم يستحيل ان يوجد نفسه "(٢) ٠

عن جبير بن مطعم * قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الاية " ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لايوقنون ، ام عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون " كاد قلبى ان يطير "(٣) ٠

---

١) سورة الطور ، اية :(٣٥ ، ٣٦)٠

٢) انظر معارج القبول بشرح مسلم الوصول فى علم الاصول فى التوحيد ، ص ٥٦ ٠
وايضا انظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٦ ، ص (٣٣٩٩ ، ٣٤٠٠)٠

٣) متفق عليه اخرجاه فى الصحيحين ، البخارى ومسلم٠

* جبير بن مطعم : هو جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى ، ابو عدى صحابى جليل ، كان من علماء قريش وسادتهم ، ت بالمدينة قبل سنة ٥٧ او ٥٨ او ٥٩هـ ٠
انظر الاعلام للزركلى ، جـ:٢ ، ص ١١٢ ، ط:٦ (١٩٨٤) دار العلم للملايين ٠

المطلب الثانى

المعرفة بالاسماء والصفات

اما المطلب الثانى لمعرفة الله تعالى ، فهو معرفة اسمائه الحسنى وصفاته ، التى جاءت بالخبر القطعى، ولنعلم ان معرفة الانسان لله سبحانه عن طريق الاسماء والصفات ماهى الا نافذة يطل منها المؤمن لمعرفة الله سبحانه وتعالى ، فيزداد ايمانا ويقينا بالله .

ومعرفة الاسماء والصفات الالهية تحرك وجدان المؤمن، وتفتح امام الروح الانسانية آفاقا فسيحة لتشاهد من خلالها نور الله جل جلاله [(١)] . قال تعالى : " اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَاشَرْقِيَّةٍ وَلَاغَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [(٢)] .

دليل الاسماء والصفات فى الكتاب والسنة

قوله تعالى : " وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ" [(٣)] .

وقوله تعالى : " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّامَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى" [(٤)]

وقوله تعالى : " هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا

---

١) انظر الثقافة الاسلامية فى ضوء الكتاب والسنة ، ص ١٨ .

٢) سورة النور ، آية : ٣٥ .

٣) سورة الاعراف ، اية : ١٨٠ .

٤) سورة الاسراء ، آية : ١١٠ .

فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(١).

وروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لله تسعةً وتسعين اسمًا من احصاها دخل الجنة "(٢).

نماذج من الايات التي ذكرت الصفات :

١) الوجه :

قال تعالى : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ "(٣).

وكل اية ذكر فيها الوجه.

٢) العين:

ذكرت العين كثيرا فى القرآن الكريم قال تعالى : " وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي "(٤).

وقال تعالى : " وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ "(٥).

٣) اليد :

قال تعالى : " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ "(٦) وقوله تعالى : " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ "(٧).

وقال تعالى : " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ "(٨).

٤) الاستواء :

قال تعالى : " الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى "(٩).

---

١) سورة الحشر ، اية : ٢٤.
٢) رواه البخارى فى ، ك:الدعوات ، باب : ٦٩ ، ومسلم ، ك: الذكر ، باب : ٢ حديث ٦ ، سنن ابن ماجة ، ك:الدعاء ، ج:٢ ، باب : ١٠ ، ص ١٢٦٩.
٣) سورة الرحمن اية : ٢٦ ، ٢٧ .
٤) سورة طه ، اية : ٣٩.
٥) سورة هود آية : ٣٧
٦) سورة الفتح ، اية : ١٠
٧) سورة المائدة اية : ٦٤.
٨) سورة يس اية : ٧١.
٩) سور طه اية : ٥.

٥) النفس :

قال تعالى حكاية على لسان عيسى عليه السلام : " إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَافِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَافِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ "(١) وقوله تعالى : " وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ "(٢).

نماذج من الاحاديث التي فيها ذكر الصفات:

وردت فى الاحاديث الشريفة الفاظ كالتى جاءت فى الايات السابقة منسوبة الى الله تبارك وتعالى مع ان هذه الاحاديث مذكورة فى الصحيحين ومتفق عليها مما يبرهن على صحة هذه الصفات، واليك هذه الاحاديث :-

١) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على اولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع مايحيونك ، فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الان "(٣).

٢) عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : لاتزال جهنم يلقى فيها ، وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوى بعضها الى بعض ، وتقول قط قط ، بعزتك وكرمك ولايزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة "(٤).

٣) عن ابى حمزة انس بن مالك الانصارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة "(٥).

---

١) سورة المائدة ، اية : ١١٦.

٢) سورة آل عمران اية : ٢٨.

٣) متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم ، فتح البارى ، ج:١ ، ك: الاستئذان ، باب : بدء السلام، ص ٢ ، حديث ٦٢٢٧ ، وايضا فتح البارى ، ج:٦ ، ك: احاديث الانبياء ، باب : ١ ، ص ٣٦٢ ، حديث رقم ٣٣٢٦.

٤) فتح البارى ، ج:١١ ، ك: الايمان والنذور ، باب : ١٢ ، ص ٥٤٥ ، حديث رقم ٦٦٦١ ، وايضا ج:٨ ، ك : التفسير ، باب :١ ، ص ٥٩٤ ، حديث رقم ٤٨٤٨.

٥) فتح البارى ، ج:١١ ، ك : الدعوات ، باب: ٤ التوبة ، ص ١٠٢ ، حديث رقم ٦٣٠٨.

كيفية الايمان بالاسماء والصفات:

ان المؤمنين بالوحي الالهي العارفين باسماء الله تعالى وصفاته يلتزمون حيال اسمائه عز وجل وصفاته، بمبدأين لايجوز الخروج عنهما وهما كالتالي :-

المبدأ الاول :

ان لايسموا الله تعالى باسم لم يسم به تعالى نفسه في كتابه او على لسان رسله عليهم السلام، واذا دعوه دعوه باسمائه الحسنى واذا نعتوه نعتوه بصفاته وعرفوه بافعاله وآياته الدالة عليه جل جلاله وعظم سلطانه كما جاءت في القران والسنة، دون زيادة او نقصان او تحريف او تأويل، وبلا كيف او تعطيل .

المبدأ الثاني :

ان لايشبهوا الله تعالى في ذاته ولا صفاته ولا افعاله بذوات المخلوقين، ولا بصفات المحدثين ولا بافعالهم لاستحالة وجود شبه لله تعالى شرعا وعقلا (١) .

قال تعالى : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيْرُ " (٢) .

الخلاصة:

ان المؤمنين يؤمنون باسماء الله تعالى وصفاته كما جاءت في الشرع، اذ بهما تمت معرفتهم لله تبارك وتعالى، ويدعون الله تعالى باسمائه ويصفونه بصفاته غير مشبهين صفاته بصفات المخلوقين ولا مؤولين لها ولا معطلين بل يؤمنون بها كما جاءت في كتاب الله، او على لسان رسله صلوات الله عليهم، مع اعتقادهم الراسخ بان الله ليس كمثله شيء، وشعورهم بالعجز الكامل في ادراك كنه ذاته تبارك وتعالى او كنه صفاته الذاتية والفعلية (٣) .

١) انظر عقيدة المؤمن لابي بكر جابر الجزائري، ص ٧٩، ط:٤(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار الشروق، جدة وايضا انظر الثقافة الاسلامية في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٩، وايضا انظر ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية، ص ٢٤، لحافظ حكمي، ط(لايوجد) دار الاعتصام القاهرة .

٢) سورة الشورى اية : ١١ .

٣) انظر عقيدة المؤمن، ص ٨٢ .

المطلب الثالث

الاداب المترتبة على المعرفة بالله وصفاته

ان المعرفة بالله وصفاته العليّة السنيّة تعطى المؤمن الاداب الاخلاقية في التعامل مع الخالق عز وجل، والكون والناس والحياة، وتَبرز ثمار هذه المعرفة في حياة المسلم المتوكل على الله في الاتى :-

١) العبادة:

وهى الانقياد والخضوع والتذلل والطاعة لامر الله تبارك وتعالى على وجه التعظيم والاجلال له سبحانه ٠

فالعبادة ليست مقصورة على اقامة الشعائر التعبدية ، كالصوم والصلاة والحج والزكاة ، وانما هى ان يبتغى المسلم فى كل عمل يقوم به مرضاة الله ، وان تنسجم جميع اعماله مع منهج الله فى كل مسلك يسلكه فى هذه الحياة الدنيا ، لذلك جعلت العبادة هى الغاية الاساسية من خلق هذا الوجود باسره (١) ٠ قال تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ " (٢) ٠

فكل عمل يقوم به الانسان بنية تقوى الله وطاعته يكون عباده ويثاب عليه الاجر الاوفى باذنه تبارك وتعالى ٠

فالتعليم من اجل خدمة المسلمين يعتبر عبادة ، عن ابى هريرة ، رضى الله عنه ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم قال : " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا الى الجنة " (٣) ٠ وجاء عن معاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " (٤) ٠

---

١) انظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٤ ، ص (١٩٠٢ ، ١٩٠٣) ٠

٢) سورة الذرايات اية : ٥٦ ٠

٣) اخرجه مسلم ، ج: ٤ باب ١١ ، ص ٢٠٧٤ ، رقم ٢٦٩٩ ، واخرجه البخارى ، ك: علم ، باب : ١ ، مسند الامام احمد ، مجلد : ٢ ، ص ٢٥٢ ، ٣٢٥ ، وجامع الاصول ، ج: ٨ ، ص٧ ، حديث : ٥٨٢٦ ٠

٤) متفق عليه واخرجه مسلم ، ج: ٢ ، باب : ٣٣ ، النهى عن المسألة ، ص ٧١٨ ، حديث: (١٠٣٧) هكذا من حديث طويل ٠

كما ان الجهاد عبادة ، واماطة الاذى عن الطريق عبادة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه "(١) .

٢) الطاعة:

هى اتباع امر الله واجتناب نواهيه وتعنى الاستقامة على منهج الله بتطبيقه فى واقع الحياة ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ "(٢) .
وقال تعالى : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَاتَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "(٣) .

وجاء فى الحديث الشريف عن ابى عمرو وقيل عمرة سفيان بن عبدالله رضى الله عنه قال: قلت :يارسول الله قل لى فى الاسلام قولا لااسال عنه احدا غيرك قال : " قل : آمنت بالله ثم استقم "(٤) .

والطاعة هى دليل صدق التوكل على الله والمحبة له ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(٥) ، وقد وعد الله سبحانه احباءه الطائعين بالجنة فقال تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا "(٦) .

وينبغى على الصادقين فى محبتهم لله تعالى ان يطيعوا الله ورسوله استجابة

---

١) متفق عليه ، واخرجه مسلم فى الصحيح ، ج:٣ ،باب:٤٥ ، ص ٥١٥ (١٥١٦) ، رقم ١٩٠٧ .
٢) سورة الاحقاف اية : ١٣ .
٣) سورة هود اية : ١١٢ .
٤) رواه مسلم ، حديث رقم ٣٨ ، ك:الايمان ، باب : ٦٢ ، وفى مسند الامام احمد ، مجلد :٣ ، ص ٤١٣ ، مجلد ٤ ، ص ٣٨٥ .
٥) سورة آل عمران ، اية : ١٥٩ .
٦) سورة النساء اية : ٦٩ .

لامر الله تعالى، وكسبا فى محبة الله وطمعا فى رضاه والجنة [1].

٣) الحياء :

الحياء من اهم مظاهر التأدب مع الله التى يكتسبها المؤمن من خلال معرفته لله وصفاته، فالذى يعرف الله حق المعرفة، يترك القبيح ويمتنع عن التقصير فى حق ذى الحق، وهذه من اهم نتائج الحياء [2].

والحياء خلق فاضل يأتى دائما بالخير الوفير حيث روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال : " كان رسول الله اشد حياء من العذراء فى خدرها، فاذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه" [3].

وعن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال: " ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت" [4].

والحياء ينقسم الى قسمين :-

١) حياء بين الانسان وبين الله تعالى، ويتمثل فى معرفة نعمة الله تعالى على الانسان، فيستحى ان يعصيه بعد ان انعم عليه هذه النعم التى لاتعد ولاتحصى [5]. قال تعالى : " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَاتُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " [6].

٢) حياء بين الانسان والناس ويتمثل فى غض البصر عما حرم الله من المحرمات والابتعاد عما يضر الناس سواء فى اخلاقهم او اموالهم او اولادهم واعراضهم.

والحياء شعبة من شعب الايمان حيث روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الايمان بضع وسبعون او بضع وستون

---

١) انظر اداب المسلم فى العادات والعبادات والمعاملات، ص ١٣، ط:٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م). دار ابن كثير.
٢) انظر رياض الصالحين، ص ٣٠٧، ط:٣ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) دار المأمون للتراث، دمشق.
٣) متفق عليه، واخرجه مسلم، ج:٤، ك:الفضائل، باب :١٦، ص ١٨٠٩، ١٨١٠.
٤) اخرجه البخارى فى كتاب النبوة، واخرجه ابن ماجة، ج:٢، باب : ١٧ الحياء، ص ١٤٠٠، حديث رقم ٤١٨٣.
٥) انظر ادب المسلم فى العادات والعبادات والمعاملات، ص ١٤، ١٥.
٦) سورة ابراهيم اية : ٣٤.

شعبة افضلها قول لا اله الا الله ، وادناها ، اماطة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان "(١) .

٤) التسليم الكامل لله والرضاء بقضائه وقدره والصبر حين الابتلاء :

ان المعرفة بالله وبصفاته تعطى الانسان الطمأنينة القلبية فى التسليم الكامل لله ، والرضاء بالقضاء والقدر ، مع الصبر على المحن والابتلاء اثناء السير قدما فى طريق الايمان ، طريق اعلاء كلمة الله فى ارجاء الارض .

قال تعالى : " وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ "(٢) .

وبهذا تكون المعرفة بالله وبصفاته من اقوم مقومات التوكل على الله ، ومن ألزم لوازمه ، وبذلك يجب على المتوكل ان يكون أعرف الناس بمن يتوكل عليه حتى لايكون للشيطان عليه سبيل فى هذا الطريق القويم ، طريق التوكل على الله ، وقد صدق الله العظيم حين اخبرنا حكاية على لسان رسله فقال تعالى : " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٣) .

---

١) متفق عليه ، فتح البارى ، ج:١ ، باب :٣ ، ص ٥١ ، حديث رقم ٩ ، واخرجه مسلم ، ج: ١ ك: الايمان ، باب : ١٢ ، ص ٦٣ ، حديث رقم ٥٨ .

٢) سورة البقرة اية : ١٥٦ ، ١٥٧ .

٣) سورة ابراهيم اية : ١٢ .

المبحث الثاني

الاخلاص في التوحيد لله بلا شريك

يتكون هذا المبحث من مطلبين اساسيين هما :

المطلب الاول : تعريف الاخلاص وذكره فى القرآن والسنة .

المطلب الثانى : مجالات الاخلاص .

المطلب الاول

تعريف الاخلاص وذكره في القرآن والسنة

مقدمة :

من لوازم التوكل على الله ومقوماته اخلاص الانسان فى توحيده لله ونفى الشرك بجميع انواعه واشكاله ، وافراد الله فى الالوهية والربوبية والقوامة ، والاخلاص له فى جميع الاعمال فى هذه الحياة الدنيا ، يعتبر مُقَوّم اساسى لتحقيق فضيلة التوكل فى الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم .

حيث ان هذه الفضيلة اذا تحققت فى المجتمع ، اصبح المجتمع بأسره متحررا الى الله لايعبد احدا سواه ، ومن ثَمَّ فان الله سينصره فى جميع مجالات الحياة قال تعالى : " إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ "(١) .

تعريف الاخلاص:

الاخلاص لله ، يعني تصفية الفعل الذى يقوم به الانسان من ملاحظة المخلوقين وافراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعة بالقصد ، اى يبتغى بطاعته التقرب الى الله دون سواه ، بعيدا عن الرياء والسمعة (٢) .

وقال اخرون ، ان الاخلاص عبارة عن الاشياء التى يتصور ان يشوبها غيرها اذا صفت من الشوائب وَخَلُصَتْ سُميت خالصة قال تعالى : " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ

---

١) سورة غافر اية : ٥١ .

٢) انظر القاموس المحيط ، ص ٧٩٧ ، وانظر الرسالة القيسرية ، ج: ٢ ، ص ٤٤٣ .

مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ "(١) وخلوص اللبن في الضرع يعنى ازالة الشوائب العالقة به من الدم او الفرث ، والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا في توحيد الله يكون خالط ايمانه الشرك (٢) قال تعالى : " وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ "(٣) .

وعرفه البعض فقالوا : " هو القوة الالهية الكامنة في اعمال الناس والسر المجهول في انتصار الضعفاء والسلاح الخفي الحاسم في معركة المبادئ والدعوات "(٤) .

وبذلك يعتبر المخلص في ميدان الدعوة الى الله ، جندى العقيدة لا الغنيمة ، وهو الجندى المجهول بحق ، لانه يقاتل ويضحى بوقته وماله مع نفسه في سبيل الله دون ان يبرز نفسه للاخرين ، ولايبالى ان يقتل مجهولا لينال ثواب الله ، ويلقى الله بقلب سليم خالص من كل المكدرات التى تعكر صفو العقيدة والايمان ، قال : سهل بن عبد الله التسترى : " ليس على النفس شيء اشق من الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب "(٥) .

ولاهمية الاخلاص في الدنيا والاخرة للناس جميعا ، نجد انه ذكر في الكتاب الكريم والسنة المطهرة في اكثر من موضع منها :-

١) في القرآن الكريم:

قال تعالى : " وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ "(٦) . نزلت في اهل الكتاب ، توضح انهم أُمروا في التوراة والانجيل بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا في كتبهم فخرجوا عن حقيقة الاخلاص لله سبحانه وتعالى في توحيدهم لان قوله تعالى : " مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ " اى موحدين لايعبدون سواه ، وقوله

---

١) سورة النحل ، اية : ٦٦ .
٢) انظر الخُلُق الكامل ، ج:١ ، ص ٣٤٥ ، ط:٢(١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) .
٣) سورة يوسف ، اية : ١٠٦ .
٤) في ظلال العقيدة ، كلمات واراء ، ص ٨٤ ، ط:١ ، مكتبة وهبة القاهرة .
٥) انظر الاسلام وبناء الشخصية ، ص ٢٦٤ ، ط(لايوجد) دار المنار القاهرة .
٦) سورة البينة اية : ٥ .

(حنفاء) اى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام، الذى هو ملة ابراهيم حنيفا، قال تعالى : " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ "(١) وهو دين الانبياء جميعا (٢).

وقوله تعالى : " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ، قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي "(٣).

ففى هذه الايات امر لكل مسلم ان يعبد الله على التوحيد والاخلاص السالم من اى شرك حتى تكون العبادة خالصة لوجه الله تبارك وتعالى (٤).

والإخلاص من أخلاق الانبياء جميعا وقد أُمر به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ "(٥).

وفى شأن موسى عليه السلام قال تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا "(٦).

وكذلك فى شأن يوسف عليه السلام، وعد الله بصرف السوء والفحشاء عنه لانه من عباده المخلصين ، قال تعالى : " كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ "(٧).

وكذلك ليس للشيطان من سبيل على المخلصين لانهم توكلوا على الله ومن يتوكل عليه فهو حسبه ، حيث جاء فى شأن المخلصين قوله تعالى : " قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ "(٨).

وجاء فى شأن المتوكلين قوله تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى

---

١) سورة الحج اية : ٧٨.
٢) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٩ ، ص ١٩٨ ، وايضا تفسير التسهيل لعلوم التنزيل ، ج:٤، ص ٢١٢ ، ط:٢(١٣٨٣هـ - ١٩٧٣م) دار الكتاب العربى .
٣) سورة الزمر اية : ١١ - ١٤.
٤) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٧ ، ص ١٦٩.
٥) سورة الزمر اية : ٢.
٦) سورة مريم اية : ٥١.
٧) سورة يوسف اية : ٢٤.
٨) سورة ص اية : (٨٢ ، ٨٣).

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(١) .

٢) في السنة النبوية

لقد ركزت السنة النبوية المطهرة على ذكر الاخلاص كثيرا ، لما له من الاهمية القصوى في حياة المسلم في الدنيا والاخرة ، وأنّ بالاخلاص يصلح امر الدين والدنيا وتقبل الاعمال ان كانت خالصة لله ، ويشرق نور العقيدة في قلب المؤمن ان اخلص في توحيده لله سبحانه وتعالى حيث :

- جاء في الحديث الشريف عن انس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لاشريك له واقام الصلاة واتى الزكاة فارقها والله عنه راض "(٢) .
- وروى عن ابى امامة الباهلي رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ارأيت رجلا غزا يلتمس الأجْرَةَ والذكر ماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لاشيء له " فاعادها ثلاث مرات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاشيء له ، ثم قال : ان الله عز وجل لايقبل من العمل إلاّ ما كان خالصا وابتغى به وجهه "(٣) .
- جاء في مسند الامام احمد ، عن ابى هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله تعالى : انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه "(٤) .
- عن ابى هريرة قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله لاينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم "(٥) .

---

١) سورة النحل ، اية : ٩٩ .
٢) اخرجه ابن ماجة ، مجلد : ١ ، المقدمة ، باب : ٩ ، حديث : ٧ ، ص ٢٧ .
٣) سنن النسائي ، ج:٦ ، ك : الجهاد ، باب : (من غزا يلتمس الاجر والذكر) ص ٢٥ ، بشرح الحافظ جلال السيوطي وبحاشيته الامام السندي ، ط: (لايوجد) دار القلم بيروت ، لبنان .
٤) اخرجه الامام احمد في المسند ، مجلد : ٢ ، ص (٣٠١ ، ٤٣٥) .
٥) رواه مسلم في صحيحه ، مجلد : ٤ ، ك: " البر والصلة والاداب ، باب : ١٠ ، ص (١٩٨٦ ، ١٩٨٧) حديث رقم (٢٥٦٤) .

ثانيا :مجالات الاخلاص

للاخلاص فى القرآن الكريم والسنة المطهرة مجالات متعددة سنتحدث عنهـــا بايجاز بعد حصرها فى الاتى :-

١) الاخلاص فى التوحيد

٢) الاخلاص فى التوكل

٣) الاخلاص فى العبادة

٤) الاخلاص فى القول والعمل

٥) الاخلاص فى النصيحة ٠

١) الاخلاص فى التوحيد :

ان الله سبحانه وتعالى فطر الانسان على حب من احسن اليه ، والعمل علــى ارضائه اعترافا بفضله ، وعلى قدر الاحسان يكون الحب والاخلاص ، والانســان يسعى دوما لارضاء والديه لعظيم فضلهما عليه وما قدما له من خير فــى مراحل حياته ، قال تعالى : " فلا تقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهما قــولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانــى صغيرا"[(١)] ٠

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان نبر الآباء وان نحسن صحبتهما عــن ابى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتى قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال: أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : ثم أبوك "[(٢)] ٠

فاذا كان هذا هو شأن الانسان مع والديه لانه نال منهما بعض الخيــر ، فكيف يكون شأن الانسان مع خالقه الذى اعطاه ومنحه الكثير من النعم التــى

---

١) سورة الاسراء ، اية : (٢٣ ، ٢٤)٠

٢) متفق عليه ، اخرجه مسلم ، ج: ٤ ، ك: البر والصلة والاداب ، باب : ١ ، ص ١٩٧٤ ، حديث رقم (٢٥٤٨) ، ط : ٢ (١٩٧٢م)٠ فتح البارى ج: ١٠ ك الآداب ب: من أحق الناس بحسن الصحبة ص: ٤٠١ ، حديث رقم (٥٩٧١) ،

لاتعد ولاتحصى ، قال تعالى : " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَاتُحْصُوهَا "(١) .

فمن نعم الله على الانسان ، نعمة السمع والبصر والعقل واللسان وسائر الاعضاء والحواس بالاضافة الى كثير من الطيبات الحسان فى هذه الدنيا ، ونعمة ارسال الرسل وانزال القرآن الكريم ، فلو ظل الانسان طيلة حياته ساجدا لله على سطح هذه المعمورة فانه لن يساوى قدر نعمة واحدة من النعم الكثيرة ، التى حباها الله للانسان(٢) .

فالله جدير بالحب والاخلاص والتوكل عليه فى كل امر ، لانه اهل لذلك ، ولان نعمه فاقت كل إنعام ، وفضله على العباد زاد كل فضل ، فالايمان به واجب والاعتراف بوحدانيته وقدرته وسائر صفاته دون شريك ، قال تعالى : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ "(٣) .

قال ابن كثير * اى اعبدوا الله وحده ولاتشركوا به شيئا وأقروا له بالوحدانية فانه لا اله الا هو ، وانه لا ولد له ولا والد ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل ، وهو على كل شيء وكيل ، اى حفيظ ورقيب يدبر كل ماسواه ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار(٤) .

وجاء فى افراد الوهيته وبيان قدرته قوله تعالى : " بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ "(٥) .

---

١) سورة ابراهيم اية : ٣٤ .
٢) انظر فى ظلال القران ، مجلد : ٦ ، ص ٣٩٣٧ .
٣) سورة الانعام اية : ١٠٢ .
٤) انظر تفسير ابن كثير ، مجلد ، ٢ ، ص ١٦١ .
٥) سورة الزمر اية : (٦٦ ، ٦٧) .

* ابن كثير : اسمه اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير الحافظ عماد الدين ابو الفداء بن الخطيب شهاب الدين القرشى ، البصرى الدمشقى الشافعى المذهب ، كان عالما حافظا فقيها ومحدثا متقنا ومفسرا ومؤرخا كبيرا . من مصنفاته : " تفسير القرآن العظيم " يقع فى اربع مجلدات ، و " البداية والنهاية " و " طبقات الشافعية " ولد فى دمشق ٧٠١هـ ، ت يوم الخميس ٢٦ شعبان ٧٧٤هـ ، انظر طبقات المفسرين ، ١/(١١٠ ، ١١١) رقم(١٠٣) وشذرات الذهب فى اخبار من ذهب ٢٣١/٦ ، والدرر الكامنه فى اعيان المائة الثامنة ٣٩٩/١ .

وجاء فى نفى الشرك وأن الشركاء لايستطيعون أن يفعلوا شيئا لانفسهم ولا لمن تعلق بهم ، قوله تعالى : " قُلْ أفرأيتم مَا تدعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ إنْ أرادَنِيَ اللّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ؟ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المتوكلون "[١] .

ويتضح من ذلك ان الاصنام مهما كانت اشكالها وانواعها لا قدرة لها على الخير والشر ، فثبت باليقين القاطع ، انه لابد من الاقرار بوجود القادر الحكيم والتوكل عليه وحده[٢] . والاخلاص له فى كل حركة وسكنة ، وقد كان امام الانبياء صلوات الله عليه يغرس معانى التوحيد فى قلوب المؤمنين حين كان يدعو فى تهجده .

عن ابن عباس قال كان النبى اذا قام من الليل يتهجد قال : " اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك "[٣] .

٢) <u>الاخلاص فى التوكل</u>

ان شأن المؤمن الصادق التوكل على الله وحده فى جميع امور حياته ، فلا يصح التوكل على غير الله ، لان الاية الكريمة : " وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "[٤] .تفيد الحصر حيث قدم الجار والمجرور على الجملة الفعلية .

واذا اخلص الانسان فى توكله على الله وحده ، ورضى به وكيلا وشهيدا فان الله سبحانه ييسر عليه امور حياته ، ويرزقه من حيث لايحتسب واليك هذه القصة

---

١) سورة الزمر ، اية : ٣٨ [illegible]
٢) انظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد : ١٣ ، جـ ٢٦ ، ص (٢٨٢ ، ٢٧٣).
٣) اخرجه البخارى فى صحيحه ، جـ: ٢ ، ك : التهجد ، باب : ١ ، ص (٤١ ، ٤٢).
٤) سورة آل عمران ، اية : ١٦٠ .

التى توضح الاخلاص فى التوكل حيث ساقها البخارى* فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم : " ان رجلا من بنى اسرائيل سأل بعض بنى اسرائيل ان يسلفه الف دينار فقال : ائتنى بالشهداء اشهدهم ، فقال كفى بالله شهيداء قال فائتنى بالكفيل ، قال كفى بالله وكيلا ، قال : صدقت ، فدفعها اليه الى اجل مسمى ، فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله ، فلم يجد مركبا ، فاخذ خشبة فنقرها فادخل فيها الف دينار وصحيفة منه الى صاحبه ، ثم زج موضعها ، ثم اتى بها الى البحر فقال اللهم انك تعلم انى تسلفت فلانا الف دينار فيسألنى كفيلا فقلت كفى بالله وكيلا ، فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بك وانى جهدت ان اجد مركبا ابعث اليه الذى له فلم اجد ، وانى استودعكها ، فرمى بها الى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده ، فخرج الرجل الذى كان اسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فاذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لاهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قَدِمَ الذى كان اسلفه فاتى بالالف دينار ، وقال : والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لاتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى اتيت فيه ٠

قال هل كنت بعثت إلىّ شيئا ؟

قال : أُخبرك أنى لم اجد مركبا ، قبل الذى جئت فيه٠

قال : فان الله قد ادى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالالف دينار راشدا "[(١)] ٠

---

١) رواه البخارى ، فتح البارى ، جـ:٣ ، ك : الزكاة ، باب : ٦٥ ، ص ٣٦٢ ، حديث رقم (١٤٩٨)٠ مختصرًا .

* البخارى : اسمه محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برد ابوعبدالله البخارى ، وهو الحافظ للعلم من شيوخه مالك واحمد بن حنبل ومن تلاميذه مسلم والترمذى والنسائى ٠ من مصنفاته : " الجامع الصحيح " وهو من اصح كتب الحديث ويعتبر اصح كتاب بعد كتاب الله ، وله " التاريخ " و " بر الوالدين "٠ ولد يوم الجمعة ١٣شوال١٩٤هـ ببخارى و ت : ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ ، عن ٦٢ سنة ٠ انظر تهذيب التهذيب ٩/٤٧-٥٥ ، وطبقات المفسرين للراودى٢(١٠٠ - ١٠٤)٠ وتاريخ بغداد ، ٢/٤ ، وهدية العارفين ١٦/٢ ، صفة الصفوة ١٦٨/٤ ، رقم (٧١٢)٠

٣) الاخلاص في العبادة:

ان الاخلاص سر النجاح فى كل عمل يقوم به الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، والاخلاص روح العبادة ، اذا خالطها جعلها مقبولة عند الله سبحانه ، واذا خلت من الاخلاص اصبح لاوزن لها ولاقيمة مهما كانت هذه العبادة (١) .

فالزكاة اذا خالطها الرياء او المن والاذى بطلت واصبحت لاوزن لها ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَايُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَايَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " (٢) .

وايضا الصلاة وهى من اسمى العبادات والركن الثانى بعد شهادة ان لا اله الا الله اذا دخلها الرياء كان الويل لصاحبها قال تعالى : " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَايَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ، مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا " (٣) . وكذلك الصيام والحج وسائر العبادات اذا خالطها الرياء والرفث والفسوق والجدال وقول الزور لم تقبل عند الله لانها فى هذه الحالة لم تكن خالصة لله - سبحانه - ويكون قد تعكر صفوها فذهب الاخلاص منها .

حيث روى فى شأن الصيام عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه " (٤) .

وجاء فى شأن الحج قوله تعالى : " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَافُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ

١) انظر تفسير المنار ، مجلد : ٣ ، ص ٣٤٧ .
٢) سورة البقرة اية : ٢٦٤ .
٣) سورة النساء اية : ١٤٢ - ١٤٣ .
٤) اخرجه البخارى ، مجلد : ٤ ، ص (٩٩ ، ١٠٠) وايضا جامع الاصول ، ج: ٦ ، ص ٣٩٠ ، حديث رقم (٤٥٧٢) وسنن ابى داود ، ج: ٢ ، ك: الصوم ، باب : ١٤ (الغيبة للصائم) ص ٣٠٧ حديث رقم (٢٣٦٢) ط (لايوجد) دار الكتب العلمية بيروت .

وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ "(١)

٤) الاخلاص في القول والعمل

ان الاسس السليمة التى يقوم عليها بناء الانسان المسلم والمجتمع المسلم، الاخلاص فى القول والعمل، والسر والعلانية ، فلا يختلف ظاهره عن باطنه، ولا قوله عن فعله ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ "(٢) .

والاخلاص هو الاساس فى صحة الاعمال وقبولها وعلى ضوئه يكون جزاء كل انسان ومثوبته ، فكل عمل يقوم به المسلم، من صدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، مادام اخلص نيته فيه لله فله عليه اجر وثواب كريم، قال تعالى " لَاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً "(٣) .
واى عمل اقوى واعظم من الجهاد فى سبيل الله حيث يقدم المسلم نفسه راضيا ويبذل اغلى مايملكه وهى حياته فى سبيل الله ، ومع هذا اذا خالطه الرياء وحب السمعة حبط عمله ولم يقبل منه هذا العمل،لانه لم يكن خالصا وبنية صادقة ، وروى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، اى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله "(٤) .

واذا توفر الاخلاص وصلحت النية ، ولكن يحول مانع دون بلوغ العمل احيانا

---

١) سورة البقرة اية : ١٩٧.
٢) سورة الصف ، اية : ٢ ، ٣.
٣) سورة النساء ، اية : ١١٤.
٤) متفق عليه ، اخرجه مسلم ، ج:٣ ، ك: الامارة ، باب : ٤٢ ، ص ١٥١٢ ، حديث رقم ١٩٠٤.

فلا يستطيع الانسان القيام به لوجود عذر ، ففى هذه الحالة يقدر الاسلام انعقاد النية الصالحة ، ويجعل لها اجرا ومثوبة عند الله (١) .

روى عن جابر رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال : " ان بالمدينة لرجالا ماسرتم مسيرا ولاقطعتم واديا الا كانوا معكم حسبهم المرض ، وفى رواية الا شاركوكم فى الاجر " (٢) .

والاخلاص فى النية والقول والعمل يجعل العمل صالحا ، والعمل الصالح له من الثمار الدنيوية كما ان له الاجر العظيم يوم القيامة ، حيث اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة رجال دعوا الله بخالص اعمالهم فى احلك الظروف حينما اغلق عليهم باب الكهف ، وكادوا يشرفون على الموت فانجاهم بصالح اعمالهم .

عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خرج ثلاثة يمشون فاصابهم المطر فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بافضل عمل عملتموه ، فقال احدهم اللهم انى كان لى ابوان شيخان كبيران فكنت اخرج فارعى ثم أجيءُ فاحلب بالحلاب فاتى به أبَوَيَّ فيشربان ثم أسقى الصبية واهلى فاحتبست ليلة فجئت فاذا هما نائمان قال : فكرهت ان اوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر ، اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى فيها السماء ، قال : ففرج عنهم ، وقال الاخر ان كنت تعلم انى كنت احب امرأة من بنات عمى كاشد مايحب الرجل النساء فقالت لاتنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار ، فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركتها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ، قال ففرج عنهم الثلثين وقال الاخر ، اللهم ان كنت تعلم انى استأجرت اجيرا بفرق من ذرة

---

١) الاسلام وبناء الشخصية ، لاحمد عمر هاشم ، ص ٢٦٥ ، ط(لايوجد) دار المنار ، القاهرة .

٢) متفق عليه ، اخرجه مسلم فى صحيحه ،ج:٣ ، باب ٤٨ ، ص ١٥١٨ ،حديث رقم (١٩١١) .

فاعطيته وأبى ذلك ان يأخذ فعمدت الى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ثم جاء فقال : ياعبدالله اعطني حقى فقلت انطلق الى تلك البقر وراعيها فانها لك فقال : اتستهزئ بى قال : فقلت ما استهزئ بك ولكنها لك اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم"[١]

٥) **الاخلاص في النصيحة:**

الاخلاص فى تأدية النصيحة للمسلمين عامة هى جزء لايتجزأ عن عقيدة المسلم لذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون يتناصحون فيما بينهم عملا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث روى عن ابى رقية تميم بن اوس الدارى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الدين النصيحة " قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : " لله ، ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم "[٢] .

ولقد لخص الحديث الاخلاص فى النصيحة وبين انواعها التى سنتحدث عنها بايجاز وهى كالتالى :-

أ) الاخلاص لله تعالى :

الاخلاص لله يعنى ان يكمل الانسان ايمانه بالله الواحد الاحد ويحارب الشرك والالحاد وان يصف الله بما وصف به نفسه ، وكما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع صفات الكمال ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن النقائص والعمل بما امر واجتناب نواهيه ، والاستقامة على منهجه ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ "[٣] ؛

والاخلاص يتمثل بالاعتراف بنعمة الله وشكره عليها آناء الليل واطراف النهار والاعتصام بكتاب الله[٤] ، قال تعالى : " إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ

---

١) متفق عليه ، رواه البخارى ،ج:٣ ، ك:البيوع ، باب :٩٨ ، ص ٣٧ ، وك الاجازة ، باب : ١٢ ، ص ١٥ ، ورواه مسلم ، ك:الذكر ، باب : ٢٧ ، حديث(١٠٠) وروى فى مسند احمد ٤/ ٢٧٤.

٢) متفق عليه ، اخرجه البخارى فى الصحيح ، ج:١ ،ك: الايمان ،باب:٤١ الدين النصيحة، ص ٣٨ ، حديث رقم٥٦ ،ط: ٤(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) عالم الكتب ، بيروت واخرجه مسلم فى صحيحه ج:١ ، باب :٢٣ ، ص ٧٤ حديث رقم (٥٥).

٣) سورة فصلت اية : ٣٠.

٤) انظر الاخلاص فى الاسلام لمحمد يوسف موسى ، ص ٩٤ ،ط(١٩٦٠ -١٣٧٩هـ) مؤسسة المطبوعات

وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا"(١) .

ب) الاخلاص لكتاب الله:

الاخلاص لكتاب الله يتمثل فى الايمان بانه " كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته المكتوب فى المصحف الشريف المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس "(٢) .

ويكون الاخلاص لكتاب الله بالتصدى لتأويل المحرفين وطعن الطاعنين والعمل على ابطال مزاعمهم الواهية والتصديق بما فيه، والوقوف مع احكامه، وتفهم علومه وامثاله والاعتبار بما فيه من ايات والعمل على تطبيقه فى واقع حياة الناس اجمعين(٣) .

ج) الاخلاص لرسول الله:

الاخلاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل على نصرته حيا وميتا ومعاداة من عاداه، والعمل على احياء سنته وتطبيقها ونشر دعوته فى ارجاء الارض .

وان نتخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم القرآنية والتأديب بآدابه، وان نحبه اكثر من المال والاهل والولد والانفس(٤) .

قال تعالى : " قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "(٥) .

د) الاخلاص لائمة المسلمين :

الاخلاص لولاة الامور من المسلمين يتمثل فى معاونتهم على الحق، وتذكيرهم به برفق ولطف واسداء النصيحة لهم اذا غفلوا عن مصلحة المسلمين، والصلاة

١) سورة النساء اية :١٤٦ .

٢) انظر مباحث فى علوم القرآن للقطان، ص ٢١، ط: ١٤(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) مؤسسة الرسالة وايضا مناهل العرفان، ج: ١، ص١٢، للزرقانى، ط(لايوجد) دار احياء الكتب العربية .

٣) انظر تفسير المنار، مجلد: ٥، ص ٤٣٨ .

٤) انظر مختصر ابن كثير، مجلد: ١، ص ٢٧٧، ط: ٧(١٤٠٢-١٩٨١) دار القرآن الكريم، بيروت .

٥) سورة آل عمران، اية : ٣١ .

خلفهم والجهاد معهم ، واعطائهم الصدقات ، وعدم الخروج عليهم الا اذا كان منهم كفر[١] بواح[٢] فيه في الله برهان .

والمراد بولاة الامور ، امراء المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده يندرج فيهم الخلفاء والقُضاة وامراء السرايا ومن نُصِّبَ على المسلمين من قبل الحاكم المسلم في اى زمان ومكان يطبق فيه الاسلام .(١)

هـ) الاخلاص لعامة المسلمين :

وهم ابناء المجتمع الاسلامى والنصح لهم يتمثل فى ارشادهم لما فيه مصلحتهم فى الدنيا والاخرة ، وكف الاذى عنهم والعمل على تعليمهم امور الدين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق واخلاص ومحبة ، قال تعالى : " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ "(٢) .

واحترام الكبير والعطف على الصغير والحب لهم كما يحب الانسان لنفسه .

---

١) انظر تفسير البيضاوى ، ص ١١٥ .
٢) سورة آل عمران اية : ١٠٤ .

المبحث الثالث

الاستسلام لله وحسن الظن به

المطلب الاول

الاستسلام لله تبارك وتعالى

الاسلام لغة:

الاسلام مصدر اسلم ، اى بمعنى خضع واستسلم وصار مسلما ، وحين تقول : اسلمت الشيء لفلان بمعنى اعطيته اليه[(١)] واصبح فى حوزته وله حق التصرف به .

وهذا التعريف يوحى بان الاسلام هو الانقياد والاستسلام لما جاء من عند الله او امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى "[(٢)] .

وحينما نتبصر آيات القرآن الكريم ، نجد ان البعض منها قدر ربطت كلمة الدين بالاسلام قال تعالى : " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمَ "[(٣)] .
وقوله تعالى : " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ"[(٤)]

ان كلمة الدين فى هذه الايات الكريمة تطلق على مجموع التكاليف التى يدين بها العباد لله سبحانه فيكون بمعنى الملة والشرع والنظام الذى يحكم الحياة ، قال تعالى حكاية على لسان يوسف عليه السلام : " مَاكَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ "[(٥)] اى لم يأخذه فى حكم ملك مصر ونظامه المعمول به فى البلاد[(٦)] .

وقال بعض العلماء : " إن ماكلف الله به العباد يسمى شرعا باعتبار وضعه وبيانه ويسمى دينا باعتبار الخضوع وطاعة الشارع به ، ويسمى ملةً باعتبار جملة

١) انظر القاموس المحيط ، ص ١٤٤٨ .
٢) سورة النجم ، اية : (٣ ، ٤) .
٣) سورة آل عمران اية : ١٩ .
٤) سورة آل عمران اية : ٨٥ .
٥) سورة يوسف اية : ٧٦ .
٦) انظر مختصر ابن كثير ، مجلد : ٢ ، ص ٢٥٧ ، وايضا انظر تفسير البيضاوى ، ص ٣٢٠ .

التكاليف (1) .

ومما تقدم يكون الدين والشرع والمله مسميات لمسمى واحد وهو الاسلام الذى دعا اليه رسل الله جميعا عليهم صلوات الله وسلامه ، الاستسلام لله من لـــوازم التوكل عليه :-

ينبغى على المتوكل ان يستسلم الى الله ، ويرضى بما جاء من عنده ، لكى يصح توكله ، لان الخضوع والاستسلام لغير الله خروج عن حقيقة التوكل وماهيته ، قـــال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ" (٢) .

فالاية تشترط فى التوكل الاسلام وهو يعنى استسلام القلب الى الله وجعلـــه خالصا لاحظ للشيطان عليه ، لان التوكل لايكون معه تخليط واذا خلص القلب لله حدث فعلا التوكل على الله ، لانه سبحانه اهل لذلك وما سواه محدث تحت تدبيره وقهره (٣) .

وجعل القاشانى* التوكل من لوازم الاسلام فقال : " جعل التوكل من لوازم الاسلام وهو اسلام الوجه لله تعالى اى ان كمل ايمانكم ويقينكم بحيث ظهر اثره فى نفوسكم فجعلها خالصة لله ، لزم التوكل عليه (٤) .

الاستسلام لله يقتضي الالتزام بشرعه:

ان التوكل على الله فى جميع المجالات الحياتية ، يتطلب اولا اخلاص القلـــب لله وحده ، فلا يتوجه الانسان الى غير الله فى دعاء ولا رجاء ولايجعل بينه وبيـــن

---

١) تفسير المنار ، مجلد : ٣ ، ص ٢٥٧ .
٢) سورة يونس ، اية : ٨٤ .
٣) انظر محاسن التأويل ، مجلد :٦ ، ص ٧٢ ، وانظر تفسير الكشاف ، ج:٢ ، ص ٢٠ .
٤) محاسن التأويل للقاسمى ، مجلد :٦ ، ج:٩ ، ص :٧١ .

* القاشانى : هو محمد بن محمد بن يوسف القاشانى المروزى الحسينى ، ابونصر الفقيه المفتى ، كان عالما بالفقه والتفسير وتعلم على يديه خلق كثير ، وسمى بالقاشانى نسبة الى مدينة قاشان ، صنف اخبار العلماء ، توفى سنة ٥٢٩هـ .
انظر هدية العارفين ،ج: ٢ ، ص٨٧ ،ط(لايوجد) منشورات مكتبة المثنى بغداد ، طبعة اوفست وايضا معجم المؤلفين ١١/٣١٢ . وكشف الظنون ، ص ٢٧ .

الله حجابا من الوسطاء ، لانه اخلص فى توحيده لله فلا يرى فى الوجود الا الله ولايطلب شيئا الا من خزائن رحمته ، ولا يأتى بيوت هذه الخزائن الا من ابوابها المشروعة وهى السنن الالهية التى انزلت فى القرآن الكريم ووضحتها السنة النبوية المطهرة (١) .

قال تعالى : " وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (٢) .

وقال تعالى : " وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (٣) .

واقامةُ الوجه للدين واسلامه لله كناية عن توجيه النفس الانسانية بالكلية الى عبادة الله ، والاعراض عما سواه ، لان من اراد ان ينظر الى شيء نظر استقصاء لابد ان يقيم وجهه فى مقابلته ، بحيث لايلتفت يمينا ولا شمالا ، اذ لو التفت بطلت المقابلة ، وكذلك من اسلم وجهه لله فيجب عليه ان يظل دائما موصول القلب بالله فى جميع اعماله فلا يلتفت الى مناهج ارضية هابطة مستورده من هنا او هناك لان فى الالتفات عن منهج الله الى مناهج الشرق او الغرب خروجاً عن الاسلام الذى هو جادة الصواب (٤) .

وينبغى علينا ان نعلم علم اليقين ان الاسلام ليس مجرد دعوى بالاستسلام الى الله وليس مجرد رايه او لافتة مكتوب عليها دين الدولة الاسلام كما ان الاسلام ليس مجرد كلمة تقال باللسان ولاحتى تصورا يشتمل عليه القلب فى سكون دون حركة وعمل ، ولاشعائر وعبادات او اشراقات وسبحات روحية خالية من الاثار العملية لمنهج الله فى واقع حياة الناس.

انما الاسلام هو الاستسلام لله والطاعة لرسوله واتباع لمنهج الله بتحكيمه فى جميع امور العباد (٥) .

ولكى يصح الاستسلام لله لابد ان يأخذ المجالات الاتية :

---

١) انظر تفسير المنار ، مجلد : ٥ ، ص ٤٣٨.

٢) سورة يونس اية : ١٠٥.

٣) سورة لقمان اية : ٢٢.

٤) انظر محاسن التأويل ، مجلد :٦ ، ج:٩ ، ص ٨٧ ، وانظر تفسير المنار ، مجلد : ١ ، ص(٤٢٥ ، ٤٢٦) وانظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٢ ، ج:٣ ، ص ٣٨١.

٥) انظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٢ ، ج:٣ ، ص (٣٨٠ ، ٤٢٣).

١) التسليم لحكم الله الامري:

وهذا يعني ان كل امر او نهي جاء في القرآن الكريم او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وجب على المؤمن المتوكل على الله ان يلتزمه دون تردد قال تعالى : " إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "(١).

وامر باتباع شريعته فقال تعالى : " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ "(٢).

ثم اقسم بان الايمان لايتم الا بعد تحكيم منهج الله في جميع جوانب الحياة قال تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا "(٣).

قال صاحب المدارج عن هذه الاية فيها ثلاث مراتب(٤) وهي كالتالي :-

أ) التحكيم : ويعني تحكيم منهج الله في كل صغيرة وكبيرة مما يعترض سبيل المؤمنين في هذه الحياة ، سواء في مجال السياسة والاقتصاد او الاجتماع ، وغير ذلك قال تعالى : " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "(٥).

ب) سعة الصدر : وذلك يكون بتحمل الشدائد الناتجة عن تطبيق منهج الله وتحكيمه في الحياة ، لان ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الحق المبين ، الذي فيه اسعاد البشرية جميعا الى يوم الدين ، قال تعالى " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ "(٦) فاذا علم الانسان انه على الحق فلا يضره كيد الكائدين ، بل يمضي قدما في الطريق مهما كانت الصعاب والاهوال

---

١) سورة النور اية : ٥١.
٢) سورة الجاثية اية : ١٨.
٣) سورة النساء اية : ٦٥.
٤) انظر مدارج السالكين ، ج:٢ ، ص ١٤٦.
٥) سورة يوسف ، اية : ٤٠
٦) سورة النمل ، اية : ٧٩.

والمخاطر .

ج) التسليم : ان المسلمين يستسلمون لما جاء من عندالله دون تردد ، او نظر في الامر ، لانهم يعرفون ان ماجاء من عند الله هو الحق المبين ، قال تعالى :
" إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا "(١).

٢) التسليم للحكم الكوني:

وذلك يعني ان يقبل المؤمن حكم الله ، ويرضى بقضاء الله وقدره ، ويستسلم لتطبيق شرعه ، ولايجادل في ذلك ، فان ماقدره الله لاتٍ ولو بعد حين ، والمؤمن يتقبل الحكم الكوني بكل رضى واطمئنان ، لان امره كله له خير في الشدة والرخاء او العسر واليسر .

٣) التسليم بالامور الغيبية:

ان المسلم يؤمن ايمانا كاملا بما جاء في القرآن من امور غيبية كالجنة والنار والملائكة والجن والحساب والعذاب وباليوم الاخر الى غير ذلك من الامور الغيبية ، وما اخبرنا عنه صلى الله عليه وسلم من امور الغيب ، قال تعالى:
" الٓمٓ ، ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ، هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ."(٢)

المطلب الثاني

حسن الظن بالله تعالى

ان حسن الظن بالله من اهم مقومات التوكل على الله ، لان من احسن ظنه بالله احسن التوكل عليه سبحانه ، ومن اساء الظن بالله توكل على غيره واعتمد على سواه

---

١) سورة النساء ، اية ١٠٥ .
٢) سور البقرة ، اية : ١ ، ٢ .

من القوى الزائلة "(١).

لقد ارشد القرآن الكريم الناس جميعا الى حسن الظن بالله ، ليتحقق الاخلاص فى التوكل عليه ، وطلب المعونة منه فى السراء والضراء ، مع الاطمئنان الى قدر الله فيما يحصل للمتوكل على الله فى هذه الحياة الدنيا مع توقع الخير ، لان الله لايضيع اجر المحسنين قال تعالى : " إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ "(٢).

وخاصة اذا عمل الانسان من غير اهمال ولاتقصير فى العمل ، بل عمل بجد واجتهاد وسهر بالليل والنهار وتوكل على الله قبل وبعد وأثناء العمل ، واحسن الظن بالله وامل فيه أن يحقق له الخير الوفير "(٣).

لذلك ركز القرآن الكريم على حسن الظن بالله حتى يستقيم المؤمن فى عقيدته ويحسن توكله وبالتالى تصلح الحياة .

شواهد قرآنية:

قال تعالى : " يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ "(٤).

تدل الاية الكريمة على تحريم سوء الظن كما انها تدل بالمخالفة على وجوب حسن الظن بالله ، لان ذلك من واجبات التوحيد فى عقيدة الايمان (٥).

إن المتوكل على الله يستسلم لقضاء الله وقدره لانه يحسن الظن بالله ويعلم ان ذلك من كمال عقيدة التوحيد ، قال تعالى : " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَاكَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٦).

---

١) انظر مدارج السالكين ، ج:٢ ، ص ١٢٠.
٢) سورة يوسف اية : ٩٠.
٣) انظر لواقح الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ، ص ٥٦٥ ، ط:١(١٩٦١م) مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .
٤) سورة آل عمران اية : ١٥٤.
٥) انظر الجديد فى شرح كتاب التوحيد ، ج:٣ ، ص ٣٠٢.
٦) سورة التوبة اية : ٥١.

وقال تعالى : " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "(١) .

وقوله تعالى : " إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "(٢) .

وحث على حسن الظن بالله بعدم اليأس من روح الله ، اى فَرَجِهِ وتنفيسه الكربات ، قال تعالى : " وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ "(٣) .

وامرنا سبحانه بان لانقنط من رحمته ، فهى وسعت كل شيء قال تعالى : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا "(٤) .

وبين ان حسن الظن والتوكل والصبر على المحن من اخلاق الرسل جميعا فى كل حال ، قال تعالى : " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٥) .

<u>شواهد من السنة:</u>

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين فى مواطن متعددة ان يحسنوا الظن بالله فى جميع امور حياتهم ، حيث روى عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم ، وان اقترب الى شبرا اقتربت منه ذراعا وان اقترب الى ذراعا اقتربت اليه باعا وان آتانى يمشى أتيته هرولة "(٦) .

وأوصى صلى الله عليه وسلم بان لايموت المسلم الا وهو يحسن الظن بالله ، لما لحسن الظن بالله من تثبيت على شهادة الحق وحسن الختام .

---

١) سورة التوبة اية : ١٢٣ .

٢) سورة هود اية : ٥٦

٣) سورة يوسف اية : ٨٧

٤) سورة الزمر اية : ٥٣

٥) سورة ابراهيم اية : ١٢ .

٦) اخرجه مسلم ، ك: ذكر ، باب : ١ ، حديث (٢) ، واخرجه الترمذى ، ج: ١٣ ، ك: الدعاء ، ج: ١٣ ، ص ٩١ .

عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لايموت احد منكم الا وهو يحسن الظن بالله " (١) .

واخبر صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى عن رب العزة انه عند ظن عبده به وانه يستجيب الدعاء من عباده الذين يحسنون الظن به .

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله تعالى يقول : انا عند ظن عبدى بِىَّ وأنا معه إذا دعانى " (٢) .

وبين صلى الله عليه وسلم ان حسن الظن بالله هو من حسن العبادة ، عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله " (٣) .

وان الله سبحانه وتعالى مع العبد الذى يحسن الظن بالله ويذكر الله ذكرا كثيرا عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قال الله عز وجل انا عند ظن عبدى بى وانا معه حيث يذكرنى " (٤) .

وربط الحديث الشريف حسن الظن بالله بحسن العمل وانه كلما قوى حسن الظن بالله كان العمل احسن وافضل .

قال صلى الله عليه وسلم " ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل ، ان قوما الهتهم امانى المغفرة وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل " (٥)

---

١) اخرجه مسلم ، ك : زهد ، باب : ١٤ التوكل واليقين ، حديث (١٣٩٥) .
٢) اخرجه مسلم ، ج: ٤ ، ك:ذكر ، باب : ٦ ، ص ٢٠٦٧ ، حديث رقم ٢٦٧٥ ، واخرجه الترمذى ، ج: ٩ ، ك:زهد ، باب : ٤١ ، ص ٢٣٤ ، (عليه شرح الامام ابن العربى) .
٣) سنن ابى داود ، ج: ٢ ، ك:الادب ، باب : ١٨١ ، ص ٢٩٨ ، حديث: ٤٩٩٣ .
٤) متفق عليه ، اخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما . سبق تخريجه ، ص ١٠١ ، واللفظ لمسلم
٥) جمع الجوامع او الجامع الكبير ، ج: ١ ، ص ٦٧٧ ، ط(لايوجد) الهيئة المصرية العامة ، للكتاب ، واخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس ، ج: ٣ ، ص ٤٠٤ ، حديث رقم ٥٢٣٢ ، وقال الميناوى فى فيض القدير ، ص ٧٥٧٠ ، قال العلائى حديث منكر ، ط : ١ ، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) دار الكتب العلمية ، بيروت .

سوء الظن وعواقبه:

ان من اعظم الذنوب عند الله الظن بالله ظن السوء لانه هذا مخالف لكمال الله وجلاله ويتناقض مع اسمائه وصفاته ، ولهذا توعد الله الظانين به ظن السوء بالعذاب الاليم ، قال تعالى :"وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"(١) .

تخبرنا هذه الاية ان اهل الباطل من المشركين والمنافقين يظنون بالله ظن السوء ويتمنون الهزيمة والهلاك للمسلمين ، لكن الله يرد كيدهم فى نحورهم ويعدهم بعذاب فى الدنيا والاخرة .
عذاب الدنيا بايقاع الهزيمة والرعب فى قلوبهم حينما ينتصر المؤمنون عليهم ، وعذاب الاخرة باحلال غضب الله الشديد عليهم وطردهم من رحمته الواسعة ، وادخالهم جهنم التى اعدها لهم ، انها ساءت مصيرا (٢) . وذلك لانهم اساؤا الظن بالله ، فارداهم فاصبحوا من الخاسرين قال تعالى : " وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ "(٣) .

اثار حسن الظن بالله:

١) الاطمئنان النفسى :

قد يظن بعض الناس ان اخلاصه في عبادة ربه لايكفي للفوز بالنعيم الاخروى ، فيدفعه هذا الوهم الى اليأس من رحمة الله فيقصر فى اداء الطاعات او يبالغ فى تأديتها فوق الحد المسنون شرعا،فيتسبب التعب النفسى والارهاق للانسان .

---

١) سورة الفتح اية : ٦.
٢) انظر تفسير البيضاوى ، ص ٦٧٧ ، وانظر ايضا الجديد فى شرح كتاب التوحيد ، ج: ٣ ، ص ٣٠٨.
٣) سورة فصلت اية : ٢٣.

فعندما يحسن الانسان الظن بالله لم يدخل هذا اليأس الى نفسه لانه يعلم قوله سبحانه وتعالى : " يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ "(١) .

ان الاسلام دين يسر فعلا ولن يكلف الله نفسا الا وسعها ، ويراعى بشرية الانسان فلا يكلفه فوق الطاقة البشرية ، حيث جاء فى الحديث الشريف عن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها قال : مه عليكم بما تطيقون فوالله لايَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا ، وكان احبُّ الدين اليه ما دام عليه صاحبه "(٢) .

وروى فى هذا المجال ايضا عن انس رضى الله عنه قال : " دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ماهذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فاذا افترت تعلقت به فقال النبى صلى الله عليه وسلم حلوه ، ليصل احدُكم نشاطه ، فاذا فتر فليرقد "(٣) .

واحيانا البعض من الناس يقع فى المعاصى نتيجة اتباع الشيطان والغفلة عن الله ، فيعتقد ان الله لايقبل التوبة لكثرة المعاصى فيستمر فى عصيانه وسوء الظن ، ولكنه لو علم ان الله يقبل التوبة مهما كانت الذنوب والمعاصى لاحسن الظن بالله ولما حدث له مثل هذا القنوط من رحمة الله ، ولأقبل على الله بالطاعات ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ "(٤) .

وان الله سبحانه يقبل التوبة حتى تقوم الساعة فهل من تائب الى الله ؟

روى عن ابى موسى عبدالله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها "(٥) .

---

١) سورة البقرة ، اية : ١٨٥ .

٢) متفق عليه ، واخرجه مسلم ، ج:١ ، باب :٣١ ، ص ٥٤٢ ، حديث ٧٨٥ .

٣) متفق عليه ، اخرجه مسلم فى الصحيح ج:١ ، باب :٣١ ، ص ٥٤٢ ، حديث ٧٨٤ .

٤) سورة التحريم اية : ٨ .

٥) اخرجه مسلم ، مجلد :٤ ، ك: التوبة ، باب : ٥ ، ص ٢١١٣ ، حديث ٢٧٥٩ ، طبعة دار الفكر .

٢) الرضاء بالقضاء والقدر :

ان الذى يحسن الظن بالله ويتوكل عليه ، لايعرف الجزع طريقا الى قلبه اذا اصابته المصائب ، لانه يعتقد ان ارادة الله هى المسّيرة للاشياء والاحداث ، وقد يكون من ورائها كل الخير وهو لايدرى.

قال تعالى : " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَاتَعْلَمُونَ "(١) .

وروى عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عجبا لامر المؤمن ان امره كله له خير ، وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له "(٢) .

٣) الاقبال على الطاعات:

اذا احسن الانسان ظنه بالله ، وتوكل على الله ، فانه سيقبل حتما على العبادات بحب وراحة بال حبا فى ثواب الله ورضوانه وعملا بقوله تعالى: " وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ "(٣) .

٤) الشجاعة فى قول الحق :

ان حسن الظن بالله يجعل الانسان شجاعا فى قول الحق ، لانه لايخاف الا الله

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "(٤) .

---

١) سورة البقرة ، اية : ٢١٦.

٢) اخرجه مسلم ، ج: ٤ ، ك: الزهد ، ص ٢٢٩٥ ، حديث(٢٩٩٩) باب المؤمن امره كله خير ، واخرجه دى ، مجلد: ٢ ، ك: الرقاق ، باب المؤمن يؤجر على كل شىء ، ص ٣١٨ ، ط(لايوجد) دار الفكر مسند احمد ، ج: ٥ ، ص ٢٤.

٣) سورة ال عمران اية : ١٣٣.

٤) سورة المائدة اية : ٥٤.

المبحث الرابع

الاخذ بالاسباب

ويتكون هذا المبحث من نقاط رئيسية وهي كالاتي :-

أولا : التوكل والاخذ بالاسباب

ثانيا : علاقة الاسباب بالمسببات

ثالثا : ترك الاسباب تعطيل للحياة

رابعا : نظرة الناس الى الاسباب

خامسا : اداب الاخذين بالاسباب

سادسا : حكم الاخذ بالاسباب •

كما يتضمن شرح كل نقطة من هذه النقاط بشيء من التفصيل ، مستعينا بكتب التفسير ، والكتب الاسلامية القديمة التي هي امهات المراجع لهذا المبحث الذي يعتبر ركن اساسي في مقومات التوكل على الله ومن لوازمه ، قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (١) •

اولا : التوكل والاخذ بالاسباب :

ان الاخذ بالاسباب في الحياة الدنيا من مقومات التوكل بل ومن لوازمه الاساسية لان الاسلام يدعو الى الحركة والسعي والعمل والاخذ بالاسباب التي تؤدي الى تحقيق الاهداف الاسلامية النبيلة ، وهو دين التوكل والاعتماد على الله ، الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير واليه المصير •

ولايعني التوكل عدم الاخذ بالاسباب والقعود عن الحركة والسعي والنشاط ، كما يظن البعض من الجهلة بحقيقة الاسلام ، بل ان نظرة هؤلاء تتنافى مع اهداف ومقاصد الشريعة الاسلامية الغراء ، ومع السنن الكونية التي فطر الله سبحانه هذا الوجود عليها •

---

١) سورة آل عمران ، آية : ١٥٩ •

وليس معنى التوكل ، ان ينام الانسان فى هذه الحياة عن الاخذ بالاسباب، ويقول سيأتينى رزقى ، ليس هذا من التوكل فى شيء بل هذا ضعف وعجز وخمول وكسل منهى عنه فى شريعة الاسلام (١) .

انما التوكل هو الاخذ بالاسباب كما جاء فى قوله تعالى : " وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (٢) .

دلت الاية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل ، بل ان التوكل هو ان يأخذ الانسان بالاسباب الظاهرة التى شرعها الله للانسان ليصل الى المطلوب (٣) .

والاية الكريمة تأمر النبى صلى الله عليه وسلم وكل من ينطبق عليه الخطاب ان يبذل اقصى جهده لمعرفة ماهو صواب ، بان يستشير اهل الخير واذا استقر على رأى يشرع فى التنفيذ معتمدا على الله وحده لانه هو الخالق للاسباب والمسببات وهو القادر على تغييرها (٤) .

القراءة: يوجد فى الاية قراءتان ، الاولى : " فاذا عزمتَ فتوكل على الله " على الفتح بمعنى اذا عزمت انت على امر بعد المشاورة ، ورأيت فيه السداد فامضى فى التنفيذ متوكلا على الله ، وهذه القراءة ، عليها جمهور القراء .

والثانية : قرأ بها جعفر الصادق وجابر بن زيد : (فاذا عزمتُ) بضم التاء بنسبة العزم الى الله تعالى : اى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل على الله (٥) .

والقراءة الثانية ضعيفة من وجهين هما :-

الاول : وصف الله بالعزم غير جائز ، ويمكن ان يقال : هذا العزم بمعنى الايجاب والالزام ، ولكن الاصح عدم وصفه سبحانه بالعزم لانه يأتى بعد التردد

---

١) انظر المستطرف فى كل فن مستظرف ، ج:٢ ، ص ٥٤٧ ، ط(لايوجد) دار الكتب العلمية .

٢) سورة آل عمران ، اية ١٥٩ .

٣) انظر تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، مجلد : ٥ ، ج:٩ ، ص ٦٩ ، ط: (لايوجد) دار الفكر .

٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، لمحمد سيد طنطاوى ، مجلد : ١ ، ص ٤١٩ ، ط(١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) مطبعة السعادة .

٥) انظر فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى ، مجلد : ١ ص ٣٩٤ ، ط(لايوجد) دار المعرفة .
وانظر ايضا تفسير الكشاف ، ج:١ ، ص ٢٣٦ .

والحيرة فى الامر ، وذلك محال فى حق الله ٠

الثانى : ان القراءة التى لم يقرأ بها احد من الصحابة لايجوز الحاقها بالقرآن[(١)] ٠

وخلاصة القول ان القراءة الاولى على الفتح هى الصواب لتواترها وعمل جمهور القراء بها ٠

ان الله سبحانه وتعالى امر باتخاذ الاسباب ، دون الاعتماد عليها ، فى الكثير من الايات القرآنية منها :-

انه سبحانه وتعالى امرنا بان نأخذ حذرنا فى اوقات الصلاة اثناء حالة الحرب وان لانترك مراقبتنا للاعداء لحظة واحدة ، قال تعالى : " وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً "[(٢)] ٠

وامر باعداد العدة عند ملاقاة الاعداء ، لكى نرهبهم ونكسر شوكتهم ، قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ "[(٣)]

وامر الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام ان تأخذ بالاسباب وهى فى حالة الضعف والمخاض قال تعالى : " وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا "[(٤)] ٠

وارشدنا القرآن الكريم للاخذ بالاسباب فى تخزين الحبوب وهى فى سنابلها لان ذلك افضل ، ومانع لها من العطل ، قال تعالى : " فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي

---

١) انظر الفخر الرازى ، مجلد : ٥ ، ج:٩ ، ص ٠٧٠

٢) سورة النساء ، اية : ٠١٠٢

٣) سورة الانفال اية : ٦٠

٤) سورة مريم اية : ٠٢٥

سُنبلة إلا قليلا مما تأكلون"(١).

وحينما ندرس سيرة الانبياء من خلال الايات القرآنية نجدهم جميعا اخذوا بالاسباب وهم ائمة المتوكلين على الله.

فنوح عليه السلام صنع بيده السفينة له ولقومه، فأنجاهم الله بها، وكان قادرا على نجاتهم بدونها ولكن ليكون درسا وعبرة للمؤمنين على مدى الاجيال بان يأخذوا بالاسباب وهم متوكلون على الله تعالى: "وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ"(٢).

وداود عليه السلام صنع الدروع لاستعمالها في طرد الاعداء، قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"(٣).

ورسول الله صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ الاسباب فقال صلى الله عليه وسلم: "احرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز"(٤). وعمل بها في حياته كثيرا فقد ظاهر صلى الله عليه وسلم في الحرب بين درعين ولبس على رأسه المغفر واقعد الرماه على الشعب، وخندق حول المدينة، واذن في الهجرة الى الحبشة والمدينة، واستأجر دليلا مشركا على دين قومه، يدله على طريق الهجرة، وذهب الى الغار مع صاحبه متخفين عن اعين المشركين، وقد هدى الله به العالمين، وعصمه من الناس اجمعين، وهو سيد المتوكلين ومع ذلك كان يأخذ بالاسباب في حياته، لتكون دليلا ساطعا وحجة بالغة للناس اجمعين(٥).

خلاصة القول:

ان الذي يحقق التوكل هو القيام بالاسباب المشروعة المأمور بها، فمن

---

١) سورة يوسف اية ٤٧.

٢) سورة هود اية: ٣٨

٣) سورة سبا اية: ١٠، ١١.

٤) اخرجه ابن ماجة في كتابه السنن، ج:١، ك:المقدمة، باب: ١٠، ص ٣١، حديث رقم ٧٩.

٥) تفسير الطبري، ج:١، ص ٢١١، ٢١٢، وانظر مدارج السالكين، ج:٢، ص ١٣٤، ١٣٥، وانظر المستطرف في كل فن مستظرف، ج:٢، ص ٥٤٧.

عطلها لم يصح توكله ، كما ان القيام بالاسباب الداعية لحصول الخير يحقق رجاء المتوكل ، الذى لايضره مباشرة الاسباب بحيث لا يركن اليها ويعتمد عليها ، كما لاينفع المتوكل على الله قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه اليه وثقته به (١) .

ثانيا : علاقة الاسباب بالمسببات:

ان للاسباب علاقة قوية ومتينة بالمسببات اذ الثانية مرتبطة بالاولى ارتباطا وثيقا ، لكن كثيرا من الناس يرتاب من هذه الحقيقة ، وهى ارتباط الاسباب بالمسببات ، ووقوع النتائج بعد المقدمات ، والبعض من الناس يؤمن ايمانا كاملا ان اسباب الهزيمة رغم توفرها الا انه لاتقع الهزيمة ، وان النصر قد يتم جزافا دون مقدمات ، وحجتهم على ذلك ، ان الامور متعلقة بارادة الله ، ومعنى هذا ان ارادة الله تتعلق بالمستحيل ، ولم يقل بهذا الرأى عاقل ولا نطق به عالم من علماء المسلمين (٢) .

ومن العبث ان نترك الاسباب ، وننتظر السماء بين الحين والاخر ان تفعل لنا مالا يجوز فعله ، او نتدخل فى شؤون العالم بما يحيل نظمه الى فوضى واضطراب ، فعلينا ان نعرف مداخل الامور ونسلكها من ابوابها الصحيحة ، فلا نتنكب الطريق ونأتى البيوت من ظهورها ، فالله سبحانه جعل الاسباب وسائط ، وامرنا باتباعها لتحقيق الاهداف من غير الاعتماد عليها ، بل يكون الاعتماد والتوكل على الله سبحانه (٣) .

وما الاسباب الا وسائط نحو تحقيق الاهداف السامية ، هكذا ينظر المسلم المتوكل على الله الى الاسباب والمسببات ، لانه من اراد النبات والزرع فعليه

---

١) انظر الفوائد ، ص ١١٣ ، ط:١ (١٣٩٠هـ - ١٩٧٩م) دار النفائس ، بيروت .

٢) انظر تأملات فى الدين والحياة ، ص ٣٩ ، ط:٣ (١٣٨١ هـ - ١٩٦٢م) .

٣) انظر تفسير المراغى ، مجلد : ٧ ، ج:١٨ ، ص ٥٣٧.

الاشتغال بالزراعة ، ومن اراد النجاح والتفوق فعليه الجد والبحث والتحرى فى الدراسة ، ومن أراد الاولاد عليه الزواج وهكذا يوجد لكل هدف منشود سبب مقصود .

ولايسمح الدين للناس ان يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله ان يخرج لهم الحب بدون ان يعملوا اخذا بظاهر ، قوله تعالى : "أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ"(١) . وانما على الانسان ان يقوم بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزرع ، وان يتكل على الله وحده فيما ليس له قدرة عليه ، كانزال المطر وغير ذلك ، فانه على كل شئ قدير .

وكذلك يرفض الاسلام من الناس ان ينفروا الى الحرب وملاقاة الاعداء ، وهم عزل من السلاح ، او معهم سلاح دون سلاح الاعداء اتكالا على الله بان النصر بيده يؤتيه من يشاء ، بل يأمر الاسلام أَنْ يُعِدَّ المسلمون للاعداء كل قوة ويتكلوا بعد ذلك فى هجومهم واقدامهم على عناية ورعاية الله فى تحقيق النصر (٢) .

ومن خلال ذلك يتضح ان ارتباط الاسباب بالمسببات حقيقة لاينبغى اغفالها ، واذا اغفلت من تفكير المسلمين حتما سيتأخروا ويرجعوا الى الوراء وبالعمل والمثابرة وربط الاسباب بالمسببات ووقوع النتائج بعد المقدمات والتوكل على الله فى تحقيق الاهداف بعد الاخذ بالاسباب يحدث النجاح ويتحقق النصر باذنه تعالى .

ثالثا : ترك الاسباب تعطيل للحياة

" ان من اسوأ السوء ترك الاسباب الطبيعية وعدم الاخذ بها فى التوصل الى النتائج "(٣) .

ولنعلم يقينا ان فى ترك الاسباب الطبيعية تعطيلا وشللا للحياة البشرية ، وجعلها

---

١) سورة الواقعة اية : ٦٤ .

٢) انظر تفسير المنار ، مجلد : ٢ ، ص ٦٦ .

٣) تفسير المنار ، مجلد : ٢ ، ص ٨٩ .

ركودا وخمولا وكسلا ، وهذا مانهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث روى عن عوف بن مالك رضى الله عنه انه حدثهم ، ان النبى صلى الله عليه وسلم، قضى بين رجلين فقال المقضى عليه لما ادبر : حسبى الله ونعم الوكيل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم " ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ، فاذا غلبك امرؤ فقل : حسبى الله ونعم الوكيل "[1] .

ويوم ان انحرف المسلمون عن حقيقة ومعنى التوكل الصحيح فظن البعض منهم ان ترك الاسباب من التوكل وظن البعض الاخر ان ترك العمل فى تغيير المنكرات من الرضاء بقضاء الله والتسليم له ، يوم ان اعتقدوا هذا الظن الخاطىء ، اخذ المجتمع المسلم فى الضياع والانحلال وبدأت قوة تأثيره على الحياة تقل الى ان اصبح الناس فى بعد كامل عن حقيقة وجوهر الاسلام.

ولقد نهى رسول الله عن ترك العمل وامر بالاخذ بالاسباب ، حيث روى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انه كان فى جنازة فأخذ عودا فجعل ينكت فى الارض ، " فقال : مامنكم من احد الا كتب مقعده من الجنة او من النار قالوا: الا نتكل قال : اعملوا فكل ميسر ، فأما من اعطى واتقى وقرأ الاية "[2] .

وحينما يترك الفرد عمله فى المجتمع فحتما سيحدث الضرر ، وكلما كثر العاطلون عن العمل ، كان الحرمان اشمل والضرر اشد ، فلا نجد الامة من يسهر على شئونها الزراعية والصناعية والتجارية ، ولانجد من يسد حاجتها من المنتجات وضروريات الحياة ، فبالتالى يعم الغلاء ويكثر النهب وتنتشر السرقات والجرائم وتفشو الامراض فتتعطل مصالح الامة وتكون اقرب الى الفناء والضياع[3] .

من اجل ذلك نَفَّرَ الدين من ترك الاسباب ، وامر بالاخذ بها ، وحث على

---

١) اخرجه ابوداود ،ج: ٣ ،ك: الاقضية ، باب : ٢٨ (الرجل يحلف على حقه) ص ٣١٣ ، حديث رقم ٣٦٢٧ ، ط(لايوجد) دار الفكر .

٢) صحيح البخارى ، ج: ٢ ،ك: الجنائز ،باب: ٨٣ ،ص ٩٩ ، وايضا ج: ٧ ، ك: التوحيد ، باب: ٥٤ ، ص ٢١٥ ، ط(لايوجد) المكتبة الاسلامية.

٣) انظر المرشد فى الدين الاسلامى ،ج: ٣ ، ص١١٤ تأليف وزارة المعارف ، ط: (لايوجد)

العمل ودعا اليه ، قال تعالى : " هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "(١) .

وحث الحديث الشريف على الاخذ بالاسباب ثم التوكل على الله ، عن انس بن مالك قال : قال رجل يارسول الله اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل قال : اعقلها وتوكل"(٢)

رابعا : نظرة الناس الى الاسباب

انقسم الناس في نظرتهم الى الاسباب والاخذ بها الى درجات ومراتب ، فمنهم من اخطأ فى تصوره فتنكب الطريق وضل السبيل ، وقعد عن الاخذ بالاسباب ، ومنهم من غالى فى الاسباب حتى تعلق قلبه بها فخرج عن حقيقة التوكل ، ومنهم من فهم حقيقة التصور الايمانى فى الاخذ بالاسباب ، فعمل وسعى وتحرك فى هذه الحياة على هدى ونور وبصيرة من الله متوكلا عليه ، فتحقق له الفلاح والنجاح وسار بخطى متوازنة فى هذه الحياة ، وهم كالاتى :-

١) المتوكلون :

هم الذين اقاموا الاحكام الشرعية فى واقع حياتهم ورضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لحكمه فيهم ، وافق ذلك منهم هوى او خالفه ، وعملوا بالاسباب قدر طاقتهم لتحقيق الخير للناس جميعا ولم يقصروا فى ذلك جهدا ، لانهم ادركوا ان المسببات مرتبطة بالاسباب ، وان هذا الارتباط لم يكن الا بتسخير الله تعالى ، وان ما يحصل عليه المتوكل نتيجة سعيه وعمله فهو فضل من الله الذى سخر هذه الاسباب وجعلها سببا لتحقيق الاهداف الخيرة(٣) .

ولايعتقد المتوكل على الله ان هذه الاسباب مؤثرة فى حد ذاتها ، بل يعتقد ان هناك قوة غيبية فوق كل القوى المادية الظاهرة ، وارادة فوق كل ارادة وهى ارادة الله سبحانه وتعالى ، الذى نتوكل عليه ونطلب منه التوفيق والسداد

---

١) سورة الملك اية : ١٥ .

٢) اخرجه الترمذى ، ك:القيامة ، باب : ٦٠ ، ج: ٩ ، ص ٣٢٠ .

٣) انظر تفسير المراغى ، مجلد : ٣ ، ج: ١٩ ، ص ٦ ، ١٦٥ ، وانظر الامد الاقصى ، ص ١٠٦ ، طبعة دار الكتب العلمية .

بعد الاخذ بالاسباب [١] ٠

٣) المتواكلون :

هم الذين ابطلوا الاخذ بالاسباب فقعدوا عن السعى والعمل ، ولا يرون ارزاقهم الا من اموال الناس فيتكففونهم بالسؤال ، فهم شر الناس لانهم اماتوا روح الاسلام في نفوسهم وفى نفوس الناس بمظهرهم المخالف لحقيقة الدين الذى يحث على العمل والسعى من اجل كسب الرزق الحلال ومن ثم بناء واعمار المجتمع ٠

فابطالهم للاسباب وعدم اخذهم بها ، يكونون عالة على المجتمع ياكلون ويشربون من عرق وجهد الاخرين ، فمن يترك العمل للحصول على الرزق له ولاولاده باسم التوكل فهو جاهل بالتوكل ، ومن يترك الطعام والشراب باسم التوكل على الله فى حفظ حياته ، فهو جاهل ، ومن يترك اعداد العدة للدفاع عن الوطن واعلاء كلمة الله باسم التوكل على الله وباسم ان الله يدافع عن الذين آمنوا فهو جاهل بالله [٢] ٠

عن ابن عباس قال : " كانوا يحجون ولايتزودون ، قال ابن مسعود : كان اهل اليمن- اناس من اهل اليمن- يحجون ولايتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون فأنزل الله سبحانه : " وتزودوا فان خير الزاد التقوى " [٣] ٠

خامسا : اداب الاخذ بالاسباب:

ان الاخذين بالاسباب يحتاجون الى عاملين اساسيين عند القيام بفعل الاسباب فى هذه الحياة وهما :-

---

١) انظر التفسير الواضح ، مجلد : ١ ، ج: ٤ ، ص ٤٣ ، ط: ٦ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة٠

٢) انظر تفسير القرآن الكريم ، لشلتوت ، ص ٧٥٢ ، ط: ٤(١٩٦٦م) ط دار العلم ٠

٣) اخرجه البخارى ، ج: ٢ ، ك:الحج ، باب : وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، ص ١٦٤ ، واخرجه ابو داود فى السنن ، ج: ٢ ، ك:مناسك ، باب : ٤ (التزود فى الحج) ص ١٤١ ، حديث رقم ١٧٣٠ ٠

أ) العلـــم:

لكي يعلم به الحلال من الحرام فاذا علم الحلال سعى اليه بالطرق المشروعة وحصله ببذل الجهد ، واذا علم الحرام اجتنبه ، وأمامافيه شبهة كان من الافضل اتقائه بالابتعاد عنه ، حيث روى عن ابى عبدالله النعمان بن بشير (رضى الله عنه) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه ، الا وان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت ، صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب "(١) .

ب) التقوى :

يحتاج المتسبب الى تقوى الله لكى يصده عن ارتكاب الاثام ومافيه حرام او شبهه من حرام ، والتقوى عامل اساسى فى السعى لكسب الحلال بطرقه المشروعة فى الكتاب والسنة قال تعالى : " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ "(٢) .

لقد ذكرابنعطاء السكندرى* آداباً للمتسببين فى كتابه (٣) نوجزها فى الاتى:-

١) ينبغى على المتسبب قبل خروجه من بيته ان يتوضأ ويصلى ويسأل الله السلامة فى مخرجه لانه لايدرى ماذا يحصل له .

٢) ان يعقد العزم كل العزم على ان يعفو عن المسيئين له اذ الاسواق واماكن العمل غالبا ماتكون محلاً للمخاصمات والمشاحنات ، قال تعالى : " وَلَمَنْ صَبَرَ

---

١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، الفتح البارى ، ج: ٤ ، باب: ٢ ، ك: البيوع ، ص٢٩٠ ، حديث ٢٠٥١ .

٢) سورة البقرة اية : ١٩٧ .

٣) انظر التنوير فى اسقاط التدبير ص ٥٤ ، ٥٥ ، ط(١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، مطبعة محمد على صبح واولاده بالقاهرة .

* السكندرى : هو تاج الدين عطاء الله السكندرى ، عالم زاهد كبير القدر ، شيوخه ، ابو العباس المرسى والشيخ ياقوت ، كان لكلامة حلاوه وتأثير فى النفوس ، مصنفاته :التنوير فى اسقاط التدبير ، والحكم ، ولطائف المنن ، ومفتاح الفلاح ، ت سنة ٧١٧هـ . انظر جمهرة الاولياء ، ج: ٢ ، ص (٢٣٦ ، ٢٣٧) ط(١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر

وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ "(١) وقوله تعالى : " الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ "(٢) .

٣) يُستحب لمن خرج من بيته للاخذ بالاسباب ان يدعو الله متوكلا عليه كما يفعل سيد الخلق وامام المتوكلين صلى الله عليه وسلم حيث روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى كان اذا خرج من بيته قال : " بسم الله لاحول ولاقوة الا بالله التكلان على الله "(٣) .

او يدعو بحديث ام سلمة ام المؤمنين حيث قالت : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال : " بسم الله توكلت على الله اللهم انى اعوذ بك من ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل على "(٤) .

٤) اذا خرج من منزله عليه ان يستودع الله اهله ومسكنه ومافيه وليذكر قوله تعالى : " فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ "(٥) .

٥) ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى اثناء العمل ويجعل ذلك شكرا على نعمة القوة فى السعى والتقوى الذين وهبهما الله تبارك وتعالى، وليذكر قوله تعالى : " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ "(٦) .

٦) لاينشغل بالبيع اوالشراء والكسب عن النهوض الى الصلاة فى اوقاتها اذا سمع النداء ، وقدكان بعض السلف الصالح يكون فى صنعته ، فربما رفع المطرقة فاذا سمع المؤذن رماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلا بعد ان دُعِىَ الى طاعة الله .

---

١) سورة الشورى اية : ٤٣ .
٢) سورة آل عمران اية : ١٣٤ .
٣) اخرجه ابن ماجه ، مجلد : ٢ ، باب : ١٨ ، ص ١٢٧٨، حديث رقم (٣٨٨٥) .
٤) اخرجه ابن ماجة فى السنن ، مجلد : ٢ ، ك:الدعاء ، ص ١٢٧٨ ، حديث (٣٨٨٤) .
٥) سورة يوسف اية : ٦٤ .
٦) سورة آل عمران اية : ١٠٤ .

قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ "(١)

وقوله تعالى : " رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ "(٢) .

٧) ان لايستعمل الحلف والاطراء لسلعته ، قال تعالى : " وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ "(٣)

٨) كف اللسان عن الغيبة والنميمة اثناء العمل لان هذه الافة تكثر فى اماكن العمل وخاصة فى الاسواق ولنذكر قوله تعالى : " وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ "(٤) .

٩) ان النساء فى هذا الزمان يكثرن فى الاسواق والحوانيت فعلى البائع وغيره ان يغض من بصره لان البصر نعمة من الله فلا نكن لها من الكافرين ، قال تعالى : " قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ "(٥) .

١٠) ان يتصدق بجزء من كسبه الحلال الطيب حتى يكتمل الاجر وتعم الفائدة قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ "(٦) .

سادسا : حكم الاخذ بالاسباب :

ان الحكم على القيام بالاسباب او تركها يتوقف على نوعية الاسباب حيث انها تنقسم الى اربعة انواع ، واليك هذه الانواع والحكم على كل منها وهى كالاتى :-

١) الاسباب المقطوع بها :

وهى تتمثل فى الاسباب التى تدفع الضرر سواء عن الفرد او الجماعة ، فانه

---

١) سورة الانفال اية : ٢٤ .
٢) سورة النور اية : ٣٧ .
٣) سورة القلم اية : ١٠ .
٤) سورة الحجرات اية : ١٢ .
٥) سورة النور اية : ٣٠
٦) سورة البقرة اية : ٢٦٧ .

لايجوز تركها ، كما لايجوز النوم والعدو يسعى فسادا فى الاهل والوطن ويمتص خيرات البلاد والعباد ، ففى هذه الحالة وجب على ابناء الامة العمل بالاسباب التى تؤدى لطرده وتحرير البلاد والناس من ظلم الاستعمار ، ومن يترك الاسباب الدافعة لاى ضرر وهو قادر كمن ينام فى الارض المسبعة او مجرى السيل او تحت جدار مائل فكل ذلك منهى عنه ، ومن تركها باسم انه متوكل فعليه اثم ويحاسب على تقصيره فى مثل هذه الاسباب التى هى من طاعة الله ، فمن قصر فيها كمن قصر فى طاعة ربه يؤثم ويحاسب ومن اداها على اكمل وجهها فله الاجر الاوفى عند الله تبارك وتعالى (١) ٠

٢) الاسباب المباحة:

ننظر الى السبب الذى فيه الاباحة ، ان كان القيام به يضعف التوكل على الله ويفرق القلب يكون تركه اولى ، وان لم يضعف القلب فتكون مباشرته من باب اولى والله اعلم٠

٣) الاسباب المظنونة:

وهى كالفصد والحجامة وشرب المسهلات من الادوية والذهاب الى الطبيب فى حالة المرض فتركها لايناقض التوكل عند البعض من العلماء ولكن الذى نصره الاغلبية من العلماء هو الذى نؤيده فى الاسباب المظنونة ، ان التداوى افضل وان الادوية اسباب مسخرة باذن الله تعالى حيث روى عن اسامة بن شريك قال : قالت الاعراب : يارسول الله الا نتداوى ؟ قال نعم ياعباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او قال دواءً الا داءً واحداً ، قالوا : يا رسول الله وماهو ؟ قال : الهرم" (٢) ٠

٤) الاسباب الموهومة:

وهى تتمثل فى الكى وغيره ، قال البعض انه يخرج من التوكل لان النبى صلى الله

---

١) انظر مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣١٩ ، للامام احمد بن قدامة المقدسى ، خرج احاديثه وعلق عليه ، عبد الله الليثى الانصارى ، ط(١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) طبعة دار الفكر ، بيروت٠

٢) اخرجه الترمذى فى ج:٨ ، ك: الطب ، باب : ٢ ، ص ١٩٢ وعليه شرح ابن العربى ٠

عليه وسلم وصف المتوكلين بانهم لايكتوون حيث جاء عن العقار بن المغيرة بن شعبه عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من اكتوى او استرقى فقد برئ من التوكل "(١) ٠

وقد حمل بعض العلماء قوله : " لايكتون" في هذا الحديث وغيره عن الفعل الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية ، فانهم كانوا يكتوون ويسترقون في زمن الصحة والعافية خوفا من المرض ، وعليه فالنهي في الحديث يكون عن الفعل في الجاهلية ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقى الرقية بايات من القرآن بعد نزول المرض وقد كوى اسعد بن زراده(٢) ٠

خلاصة القول :

ان الله سبحانه وتعالى امر باتخاذ الاسباب ، وهي من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها السلف الصالح رضوان الله عليهم دون التعويل والاعتماد عليها ، فان الاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد منها بالكلية طعن في الشرع الالهي وقدح في السنة النبوية ، وان المتقاعد عن الاخذ بها مخالف للحكمة ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عليه سلف وخلف هذه الامة ويحاسب على تقصيره ومخالفته للشرع الاسلامي(٣) ٠

---

١) اخرجه الترمذي في ، ج:٨ ، ك: الطب ، باب : ١٤ ، ص ٢١٢ ، وايضا في مسند الامام احمد ، مجلد : ٤ ، ص ٢٥٣٠

٢) انظر مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٢٠ ، وايضا الاخلاق ، ص ٢٧٦ ، ط(١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م) مطبعة النعمان النجف الاشرف ٠

٣) انظر احياء علوم الدين ، ج:٤ ، ص ٢٣٨ ، وايضا انظر في ظلال القرآن ، مجلد :٣ ، ص ١٤٧٧٠

المبحث الخامس

السعي لكسب الرزق

تعريف السعي ومشتقاته

أ) لغة : السعي مأخوذ من الفعل سعى ، ومضارعه يسعى ، ومصدره سعيا ، وتعني قَصَدَ ، وعَمِلَ ومشىٰ وكَسَبَ عن طريق مباشرة العمل ، واصل السعي الاسراع في المشي وهو دون العدو (1) .

ب) مشتقاته: ذكر المفسرون ان السعي جاء في القرآن على ثلاثة اوجه (2) وهي كالتالي:-

١) المشي : وهو مأخوذ من قوله تعالى : " ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا " (3) .

وقوله تعالى : " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى " (4) .

٢) المبادرة بالنية والعزم: حيث جاء في قوله تعالى : " فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ " (5) .

٣) العمل : قال عكرمة والضحاك ان المراد بالسعي العمل ومنه قوله تعالى: في بني اسرائيل : " وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا " (6) .

ويمكن ان نُعَرِّفَهُ اصطلاحا من خلال تعريفه اللغوي ومشتقاته الواردة في القرآن الكريم بالاتي :-

" السعي : هو مباشرة الاعمال المشروعة بعد عقد النية في النفس" .

---

١) انظر القاموس المحيط ، ص ١٦٧٠ .
٢) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٨ ، ص (٢٦٤ ، ٢٦٥) وايضا نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ط: (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٣) سورة البقرة اية : ٢٦٠ .
٤) سورة يس اية : ٢٠
٥) سورة الجمعة اية : ٠٩
٦) سورة الاسراء اية : ١٩ .

المطلب الاول

التوكل يدعو لكسب الرزق

ان التوكل على الله يعني الاعتماد عليه سبحانه فى كل شأن ، والاعتماد لايكون مجرد كلمة ينطق بها الانسان فى هذه الحياة ، وانما باتباع منهج الله المستقيم الذى دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام الذى يحض على العمل وكسب الرزق ، لان فيه تدريبا على الصبر والمصابرة والامانة والطاعة ، واعمالا للفكر وترقية للافراد وتقوية للامة ، لكى تستطيع ان تقف فى وجه الاعداء (١) .

ان الاسلام امر بالسعى والعمل لكسب الرزق فى كثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة نلخصها فى الاتى :-

اولا : القرآن الكريم:

قال تعالى : " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ " (٢) ، وتعنى ان على الانسان السعى والتحرك فى مرتفعات الارض وسهولها وبطاحها ويعمل لكسب الرزق فان الله سبحانه ذلل الارض وجعل السير فيها سهلا لكى يحصل الانسان على رزقه (٣) .
ويقول جل شأنه : " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ" (٤) ففى الاية اطلاق لما حَذَّرَ عليهم من البيع والشراء عند النداء الى الصلاة وفيها الاباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد تأديتها (٥) . ويبين سبحانه ان العمل مصدر القوة ومصدر الحياة ، قال تعالى : " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (٦) .

---

١) انظر من اخلاق النبى ، للحوفى ، ص ٣٢٧ ، ط (١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م) .
٢) سورة الملك اية : ١٥ .
٣) انظر فى ظلال القرآن ، مجلد ٦ ، ص (٣٦٣٨ ، ٣٦٤٠) .
٤) سورة الجمعة ، اية : ١٠ .
٥) انظر تفسير البيضاوى ، ص ٧٣٦ ، وايضا تفسير زاد المسير ، ج:٨ ، ص ٢٦٨ .
٦) سورة التوبة اية : ١٠٥ .

ووضح القرآن الكريم ان عمل الانسان وسعيه هو الذى ينفعه فى الاخرة قال تعالى : " وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى "(١) .

وحث الاسلام على العمل للدين والدنيا معا ، قال تعالى : " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَاتَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَاتَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ "(٢) .

وامر الله سبحانه وتعالى رسله الكرام بالعمل الصالح فقال تعالى : " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ "(٣) .

ولاهمية العمل والسعى للحصول على الرزق جاء العمل الصالح مرتبطا بالايمان فى الكثير من الايات القرآنية(٤) منها قوله تعالى : " الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ "(٥) وقال تعالى : " وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا "(٦) . واخبر جل شأنه انه يوفيهم اجورهم على العمل الصالح ويزيدهم من فضله قال تعالى : " فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ "(٧) .

ثانيا السنة النبوية:

جاءت السنة النبوية توضح وتأمر بالعمل والسعى لتحصيل الارزاق وان العمل لايتنافى مع حقيقة التوكل بل من لوازمه ومقوماته .

فالنبى صلى الله عليه وسلم وهو امام المتوكلين يامر بالعمل ويشجع عليه ، روى عن ابى عبدالله الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لان يأخذ أحدكم أحبُلَهُ ثُمَّ يأتى الجبل فيأتى بحُزْمَةٍ من حطبٍ على ظهره

---

١) سورة النجم اية : ٣٩ .
٢) سورة القصص اية : ٧٧.
٣) سورة المؤمنون اية : ٥١.
٤) انظر الاسلام فى حياة المسلم ، ص ١٤٢ ، ط:٥ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) مطبعة الاستقلال الكبرى .
٥) سورة الرعد اية : ٢٩.
٦) سورة طه اية : ١١٢.
٧) سورة النساء اية : ١٧٣.

فيبيعها فيكُفّ اللهُ بها وَجْهَهُ خيرٌ له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه "(١) .
واخبر صلى الله عليه وسلم ان العمل وتحصيل الرزق من كسب اليد من دأب الانبياء عليهم الصلاة والسلام .
حيث روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كان زكريا عليه السلام نجارا "(٢) .
وجاء فى شأن نبى الله داود عليه السلام، انه كان يكسب ويأكل من عمل يده عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبى الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده "(٣) .

فداود عليه السلام الذى منحه الله الملك وسخر له الجبال والطير واتاه الخلافة قال تعالى : " يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ "(٤) .
مع هذا الملك والسيطرة وما تبعهما فى الغنى والثروة لم يستنكف من ان يعمل بيده عليه السلام .

وياليت اغنياء وأُمراء ووزراء هذا العصر يعتبرون فلا يشمئزون من العمل والكسب باليد !!

يتضح لنا من خلال عرض الايات والاحاديث ان الاسلام يأمر بالعمل ويرغب فى السعى لكسب الرزق ومن ثم التوكل على الله ، فلو كان التكسب والسعى يُنقص التوكل او يُضعفه ، لم يختر عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه العمل فى السوق حينما خيره سعد بن الربيع مشاطرته ماله وعياله ، وكذلك ابو بكر الصديق رضى الله عنه لما بويع بالخلافة اخذ اثواب تحت ذراعة ودخل السوق ينادى وهو فى اتم احواله حينما اقيم مقام النبوة ، حتى اجتمع اليه المسلمون فكرهوا له ذلك

---

١) اخرجه البخارى ، فتح البارى ، ج: ٤ ، ك: البيوع ، باب : ١٥ ، ص ٣٠٤ ، حديث رقم ٢٠٧٥ .
٢) اخرجه مسلم ، ج: ٤ ، باب : ٤٥ ، ص ١٨٤٧ ، حديث ٢٣٧٩ ، واخرجه الامام احمد فى المسند ، مجلد : ٢ ، ص ٢٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٨٥ .
٣) اخرجه البخارى ، فتح البارى ، ج: ٤ ، ك: البيوع ، باب : ١٥ كسب الرجل من عمل يده ، ص ٣٠٢ ، حديث رقم ٢٠٧٢ .
٤) سورة ص اية : ٢٦ .

فقال قولته المشهورة " لاتشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع " حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فترك السوق لشغله بامور المسلمين "(١) .

المطلب الثاني

التوكل ينافي التسول

ان فضيلة التوكل خلق سامي ورفيع ، تدفع الانسان لان يكون كريما في هذه الحياة ، يعمل بكلتايديه ليكسب ولينفع نفسه ومجتمعه الاسلامي الذي يعتز بالانتماء اليه .

الاسلام يرفض الذلة والمهانة والمسكنة وما أسوأها من ذلة ان يمد الانسان يده على قارعة الطريق للناس هذا يعطيه وهذا يمنعه وخاصة اذا كان قادرا على الكسب والعمل ، والأسوأ من ذلك إذا ادعى انه متوكل على الله ، او انه مشتغل بالعلم وحاله يخالف ذلك فأمثال هؤلاء لايفقهون حقيقة التوكل ولو توكلوا على الله لعملوا وسعوا في هذه الحياة لنفع انفسهم والناس من حولهم ولاعمار بلادهم. ولقد نهى صلى الله عليه وسلم عن المسألة لانها تذهب مروءة الايمان عند الانسان ، ولامروءة لمن يسأل الناس وليس له عذر يدفعه لذلك(٢) .

وجاء في الحديث الشريف ان المسألة تذهب حياء الوجه ،عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لاتزال المسألة باحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم "(٣) .

والعاقل المتفهم لحقيقة التوكل لايسأل الناس شيئا فيردوه ولا يُلحف في المسألة فيحرموه ، ويلزم التعفف والتكرم ولايطلب الامر مدبرا ولا يتركه مقبلا "(٤) .

---

١) انظر قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ص ٢٩ ، ٣٣ .

٢) انظر الواقح الانوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، ص ٧٠٥ ، ط:١ ، (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) طبعة مصطفى البابي الحلبي .

٣) متفق عليه ، اخرجه مسلم ، ج:٢ ، باب : ٣٥ ، (كراهية المسألة للناس) ص ٧٢٠ .

٤) الخلق الكامل ، ج:٤ ، ص ٤٧٢ ، ط (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) المطبعة العثمانية المصرية.

ان فضيلة التوكل ما ان تمس قلب وروح الانسان إلاّ وترفعه عن المسألة ولو كان من الفقراء ، قال تعالى : " لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا "(١) .

جاء في الحديث الشريف الحث على التعفف عما في ايدى الناس وان اليد التي تعطى خير من اليد التي تأخذ ، عن حكيم بن حزام رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنيه الله "(٢) .

وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايسألون الناس شيئا وكان لهم الباع الطويل فى التوكل على الله جاء فى الحديث عن ابى عبد الرحمن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال : " الاتبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا حديثى عهد ببيعه فقلنا : قد بايعناك يارسول الله ، ثم قال : " الاتبايعون رسول الله" فبسطنا ايدينا وقلنا : قد بايعناك يارسول الله فعلام نبايعك ؟ قال : " على ان تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا، واسر كلمة خفية ولاتسالوا الناس شيئا ، فلقد رأيت اولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه "(٣) .

واما من يدعى التوكل ولايكتسب فانه يعد ملوما عقلا وشرعا حيث سأل عبدالله بن الامام احمد -رضى الله عنهم- قال : قلت لابى هؤلاء المتوكلون يقولون : نقعد وارزاقنا على الله عز وجل ، قال : ذا قول ردىء خبيث يقول الله عز وجل : " إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ"(٤) .

---

١) سورة البقرة اية : ٢٧٣ .
٢) متفق عليه ، اخرجه مسلم فى صحيحه ، ج:٢ ، باب: ٣٢ ، ص ٧١٧ ، حديث رقم ١٠٣٤ .
٣) اخرجه مسلم فى صحيحه ، ج:٢ ، باب : ٣٥ ، ص ٧٢ .
٤) سورة الجمعة اية : ١٠ .

وقال ايضا : سألت ابى عن قوم يقولون : نتكل على الله ولانكتسب ، قال : ينبغى للناس كلهم ان يتوكلوا على الله ولكن يُعَوِّدُونَ انفسهم الكسب فمن قال بهذا اى انه لايكتسب فهو انسان احمق (١) .

ان الدارس لحقيقة وطبيعة المنهج الاسلامى يتضح له التنافر الشديد بين حقيقة التوكل وظاهرة التسول التى تريق ماء الوجه ، فتذهب حياءه فيضعف الفرد وتذهب صحته ، وبالتالى يكون عالة على المجتمع لانه اتخذ التسول حرفة وقعد عن السعى للكسب .

ولقد نهى احمد بن حنبل عن المسألة حيث قال : " ما احسن الاتكال على الله ولكن لاينبغى لاحد ان يقعد ولايعمل شيئا حتى يطعمه هذا وهذا ، ونحن نختار العمل ونطلب الرزق ونستغنى عن المسألة ، والاستغناء عن الناس بالعمل احب إلىّ من المسألة " (٢) .

ولعظم خطر ظاهرة التسول على الفرد والمجتمع ، فلا بد من محاربتها حتى يتم استئصالها بشتى الطرق والوسائل المشروعة ، لذلك نقترح لاستئصال هذا الداء بالاتى مستعينين بكتاب حديث الاسلام (٣) .

١) نطالب السلطة الحاكمة فى البلد ان تلتزم احكام الاسلام وتعمل على تحريم التسول عملا بروح الشريعة الاسلامية التى تدعو الى تقويض آفة التسول .

٢) جمع اموال الزكاة من المجتمع والاستفادة منها فى القضاء على الفقر وانهاء التسول بالعمل على سد حاجة المعوزين من اموال الزكاة ، قال تعالى " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (٤) .

٣) عمل مسح اجتماعى لطائفة المتسولين من قبل رجال متخصصين بالخدمة الاجتماعية ، فمن وُجِدَ انه ليس فى احتياج الى مساعدة الاخرين يفرض عليه

---

١) تفسير المراغى ، مجلد : ٢ ، ج: ٤ ، ص ١١٧ .

٢) كتاب الحث على التجارة والصناعة والعمل لابى بكر الخلال ، ص ٣ ، ط(١٣٤٨هـ) مطبعة الترقى بدمشق .

٣) انظر حديث الاسلام ، ج:١ ، ص ٢٣٧ ، ط:١(١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م) طبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

٤) سورة التوبة اية : ١٠٣ .

عقاب تعزيري ثم يُلزَم بالعمل والكسب من طريق شريف.

والذي يتبين انه في احتياج وخاصة من ذوي العاهات والاضرار ولايستطيع العمل والكسب ، يفرض لهم جزءا شهريا من اموال الزكاة ، او من صناديق الاحسان التي توضع على ابواب المساجد وفي الاماكن العامة.

وبذلك يكون قد تم القضاء على ظاهرة التسول الخطيرة .

المطلب الثالث

حكم السعي للكسب

يوجد ثلاثة آراء مختلفة حول حكم السعي من اجل الكسب ، الاول منها يعتبر السعي للكسب واجب وفريضة على الانسان لابد ان يقوم به على الارض لكي يسد حاجته ويتحقق معنى استخلاف الانسان في الارض .

والثاني من هذه الاراء اعتبر السعي للكسب مباحًا ومرخصًا فيه ، والثالث اعتبر السعي من اجل الكسب حرام ، ولايحل الا عند الضرورة القصوى .

واليك هذه الاراء مع نسبتها الى اصحابها مع ترجيح الصحيح منها بالادلة الشرعية:

الاول : رأي اهل السنة والجماعة .

يرى جمهور الفقهاء من اهل السنة والجماعة ان السعي من اجل الكسب الحلال لابد منه وهو واجب ، وفريضة على المسلم في هذه الحياة.

الثاني : رأي الكرامية* .

قالوا ان الكسب مباح بطريق الرخصة لانه إما ان يكون فرضا في كل وقت ، او يكون فرضا في وقت مخصوص .

---

* الكرامية : نسبة الى محمد بن كرام ، الملقب بابي عبد الله ، من سجستان ، اغتر بما كان عليه من زهد جماعة من الناس في خراسان ، بلغ عددهم اكثر من عشرين الف ، وكان يؤمن بفكرة التجسيم للخالق تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، حيث زعم ان معبوده له جسم وله حد ونهاية ووصف الخالق بانه جوهر كما زعمت النصارى ، وهو يعتبر من الصفاتيه لانه كان يؤمن بالصفات الا انه ينتهي بها الى التجسيم والتشبيه ، ت ٢٥٥هـ ، انظر الملل والنحل للشهرستاني ، ج: ١ ، ص ١٠٨ ، ط(لايوجد) دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت.

الثالث : رأي الجهلة من اهل التقشف

قالوا : ان الكسب حرام لايحل الا عند الضرورة بمنزلة تناول الميتة (١) .

وزعموا ان الكسب ينفي التوكل او ينقص منه وقد امرنا بالتوكل ، لذلك فلا يصح لنا ان نأتي ما ينفي الامر بالتوكل ، ويقصدوا بذلك السعي من اجل التكسب في هذه الحياة .

ولم يكن للقوم اى دليل شرعي في تجريمهم للكسب ، او عقلي سوى اراء مغلوطة ليس لها من الكتاب والسنة برهان .

حيث زعم شقيق البلخي* انه لما ضمن الله تعالى الرزق والكفاية كانت الحركة شكا فيما ضمن ، فحمل الامر في ذلك على رأيه عند القوم وهذا مخالف للكتاب والسنة وما عليه اكابر الصحابة والتابعين من بعدهم (٢) .

ويرى علماء الامة ان تحريم السعي للكسب مخالف للكتاب والسنة ، وعليه يكون ذلك الرأي خاطيء لانه ينافي قوله تعالى : " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" (٣) ولكثير من أدلة الكتاب والسنة النبوية ، وسوف نتطرق لدحض هذا الرأي الخاطيء في الفصل الخامس بتوسع باذنه تعالى :

الرد على الكرامية:

اولا : ان قولهم ان الكسب مباح لانه اما ان يكون فرضا في كل وقت باطل ، لان رأيهم هذا يؤدي ان لايتفرغ احد عن اداء هذه الفريضة الى غيرها من

---

١) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب للشيباني ، ص ٢١ ، ط١١(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .
٢) انظر الرزق الحلال وحقيقة التوكل للمحاسبي ، تحقيق محمد الخشن ، ص ٥٩ ، طبعة (لايوجد) مكتبة القاهرة .
٣) سورة التوبة اية : ١٠٥ .

* شقيق البلخي : هو شقيق بن ابراهيم بن علي الازدي البخلي يكنى بابي علي زاهد صوفي ، من مشاهير المشايخ في خراسان ، وكان من كبار المجاهدين استشهد في معركة كولان وقال التوكل : اربعة ، توكل على المال ، وتوكل على النفس ، وتوكل على الناس ، وتوكل على الله ، قال : وتفسير التوكل على المال : ان يقول مادام هذا المال في يدي فلا احتاج الى احد ، ومن كان على هذا فهو جاهل .
انظر الاعلام للزركلي ، ج:٣ ، ص ١٧١ ، وطبقات الصوفية ، ص ٦١ - ٦٦ وحلية الاولياء ، ٥٨/٨ ، ترجمه (٣٩٥) الشعراني ٦٥/١ . وايضا جمهرة الاولياء ، ج:١/ ١٣٤٠ وجامع كرامات الاولياء ، ج: ٢/ ١٢٢ ، ط:٢(١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) .

الفرائض والواجبات الاخرى ، اذا كان الكسب مفروضا في جميع الاوقات على حد زعمهم .

ثانيا: ان رأيهم هذا مغلوط ، لانه لايعقل ان يفرض الكسب في كل وقت ، لان الانسان يحتاج الى اوقات يرتاح فيها جسميا ليعيد نشاطه من جديد حينما يذهب ليكتسب الحلال .

ثالثا: رأي الكرامية هذا باطل لان الله سبحانه وتعالى كيف يفرض الكسب في كل وقت وقد امر بترك الكسب في وقت صلاة الجمعة وامر بالسعي لتأدية العبادة. قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ "(١) .

رابعا: وقولهم : واما ان يكون فرضا في وقت مخصوص ، فهو باطل ايضا لان الذي يكون فرضا في وقت مخصوص شرعا يكون مضافا الى ذلك الوقت كالصلاة لها اوقات معلومة قال تعالى : " إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا "(٢) وكالصوم تحددت فريضته في شهر رمضان قال تعالى : " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ، فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ "(٣) . ولم يرد في الشرع اضافة الكسب الى وقت معلوم او مخصوص(٤) .

<u>ادلة اهل السنة والجماعة</u>

يوجد ادلة شرعية كثيرة لهذا الرأي نذكر منها الاتي :-

١) قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ "(٥)

فالانفاق على الاولاد والزوجات والمعتدات واجب ولايتصور الانسان الانفاق الا

---

١) سورة الجمعة اية : ٩ .
٢) سورة النساء اية : ١٠٣
٣) سورة البقرة اية : ١٨٥ .
٤) انظر الاكتساب في الرزق المستطاب ، ص ٢٨ .
٥) سورة البقرة اية : ٢٦٧ .

الا بعد التحصيل والكسب ٠

والقاعدة الفقهية تقول : " مالايتم الواجب الا به فهو واجب "[(١)] ٠ اذاً فالكسب واجب لكى يتم وجوب الانفاق ٠

٢) قال تعالى : " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ "[(٢)] اى فانتشروا للكسب من التجارة وغيرها من الاعمال المشروعة والامر حقيقة للوجوب[(٣)] ، واما ماروى عن الحسن وابن جبير (رضى الله عنهما) انهما قالا : المراد طلب العلم فى الاية السابقة هذا رأى مرجوح من ناحيتين :-

الاولى : ان ماذكره بعد الانتشار فى الارض التجارة حيث قال تعالى : " وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً "[(٤)] ٠

الثانية: جاء فى الحديث الشريف " طلب الكسب بعد الصلاة المكتوبة هى الفريضة بعد الفريضة "[(٥)] ٠ وعليه فيكون الامر بالسعى للكسب بعد تأدية الصلاة فريضة بعد تأدية الصلاة[(٦)] ٠

٣) قوله تعالى : " إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ "[(٧)] ٠ فترك الورثة اغنياء خير من تركهم فقراء ، وتركهم اغنياء لا يكون الا بالسعى اذاً السعى واجب فى حق المسلم المتوكل على الله ٠

وبذلك يكون رأى جمهور فقهاء اهل السنة والجماعة هو الاصوب والافضل الذى ينبغى للامة ان تطبقه فى حياتها لانه تعبير صادق لما فى القرآن الكريم والسنة النبوية ٠

---

١) اصول التشريع الاسلامى لعلى حسب الله ، ص ٣٥٦ ، ط:٥(١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) دار المعارف بمصر ٠
٢) سورة الجمعة ، اية : ١٠٠
٣) انظر تفسير التنوير والتحرير ، ج: ٢٨ ، ص ٢٢٧٠
٤) سورة الجمعة اية : ١١٠
٥) اورده السيوطى فى جمع الجوامع او الجامع الكبير بنحوه ، ج:١ ، ص ٥٦٧٠
٦) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٨ ، ص ٢٦٨٠
٧) سورة البقرة اية : ١٨٠٠

المبحث الســـــادس

التفويـــــــض

أولا : معنى التفويض

لقد عرّف الامام الغزالى* التفويض فقال : " ان التفويض هو إرادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لاتأمن فيه الخطر "(١)

وقال ابن القيم ** " التفويض هو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو القاء الامور كلها الى الله وانزالها به طلبا واختيارا "(٢) .

وعليه يكون المعنى الحقيقى للتفويض ، ان يستسلم الانسان فى جميع امـــوره لحكم الله ، ويرضى بقضائه وقدره فيما يواجهه من احداث مع العمل الجاد الدأوب والسعى المتواصل فى الاخذ بالاسباب المشروعة دون التراخى او الكسل او الخــــوف او الرهبة من الاحداث الصعاب التى قد تواجه المفوض امره الى الله مهما كانــــت خطورتها ، فهى فى نظر المفوض امره الى الله خير ، لان ما يحدث لمن فوض امره الى الله واستسلم لحكمه يُعتبر خيرا فى كلتا الحالتين قال تعالى : " وَعَسَــــى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُــــمْ لَاتَعْلَمُونَ "(٣) .

---

١) منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية ، ص ١٠٢ .

٢) مدارج السالكين ، ج:٢ ، ص ١٢٢ .

٣) سورة البقرة : آية : ١١٦ .

* الغزالى : هوحجة الاسلام الامام ابو حامد ، محمد بن محمد بن احمد الطوسى الغزالى ، ولد بقرية غزالة من قرى طوس بخراسان سنة (٤٥٠هـ ـ ١٠٥٨م) توفى يوم الاثنين ١٤ جمادى الاخرة سنة ٥٠٥هـ .
شيوخه احمد الطوسى ، اسماعيل بن مسعده ، امام الحرمين الجوينى والامام ابو سعد محمد النيسابورى ، تلاميذه ، القاضى ابو نصر احمد ، وابو منصور القاسم وغيرهم ، مصنفاتـــــه المنخول من تعليقات الاصول ، شفاء الغليل ، احياء علوم الدين ، منهاج العابدين ، المستصفى فى علم الاصول وغيرها كثيرة .
انظر طبقات الشافية الكبرى ١٩١/٦ ، شذرات الذهب ٤(١٠-١٤) وفيات الاعيان ٢/(٢٤٦-٢٤٧) المنتظم ١٦٨/٩ ، البداية والنهاية ١٧٣/١٢ ، الاعلام للزركلى ٢٢/٧ الكامل فى التاريخ ٤٩١/١٠ .

ولنا العبرة والعظة من قصة يوسف عليه السلام ، حينما ألقى فى الجب فظاهره شر ، ولكن ماذا حدث ليوسف عليه السلام ، لقد جاءته الوزارة والتمكين فى الارض ، قال تعالى : " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ، وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ "(١) .

ولقد ذكر التفويض فى كتاب الله الكريم فى موضع واحد قال تعالى : " فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ "(٢) .

فالاية الكريمة توصي بان مؤمن ال فرعون هُدد من قبل قومه بالقتل ، ففوض امره الى الله لانه على الحق المبين ، وخوفهم بقوله (فستذكرون ما اقول لكم) حيث تحداهم بانهم ان اعرضوا عن امره فسيندمون حين يرون العذاب الاليم إما فى الدنيا كما اقتضاه تهديده لهم " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ "(٣) ، وإما فى الاخرة كما اقتضاه قوله : " وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ "(٤) .

ثم لجأ فى دفع كيدهم ومكرهم وتخويفهم الى فضل الله بتفويض امره اليه ، فان الله سبحانه وتعالى كافى من فوّض الامر الى الله ، وبذلك يكون مؤمن ال فرعون تعلم ذلك من موسى عليه السلام حينما خوفه فرعون بالقتل ، فرجع موسى عليه السلام فى دفع ذلك الشر الى الله ، قال تعالى : " إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ "(٥) .

ثم علل تفويضه الامر الى الله بان الله عليم باحوال الناس بصير بالعباد(٦) .

---

١) سورة يوسف ، اية ٥٥ ، ٥٦ .
٢) سورة غافر اية ٤٤ .
٣) سورة غافر اية : ٣٠ .
٤) سورة غافر اية : ٣٢ ، ٣٣ .
٥) سورة غافر اية : ٢٧ .
٦) انظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد : ١٤ ، ج: ٢٧ ، ص ٧٢ ، وايضا انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج: ٢٤ ، ص ١٥٦ ، وايضا انظر المسائل فى اعمال القلوب والمكاسب والعقل ، ص ١٤٣ ، تحقيق عبدالقادر عطا ، ط(لايوجد) عالم الكتب ، القاهرة .

خلاصة القول :

ان التفويض يعنى ان يلجأ المؤمن من قلبه باخلاص الى الله فى جميع الامور الدنيوية والاخروية مع ترك اختيار مافيه المخاطرة بعد الاخذ بالاسباب المشروعة الى الله المدبر العالم بمصلحة الخلق، لا اله الا هو العليم القدير ، وهو على كل شيء وكيل .

ثانيا التفويض والتوكل:

لقد ذُكِرَ التفويضُ فى كتاب الله بقوله تعالى : " وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ "(١) وذكر فى الحديث فى مواضع قليلة منها ، حديث عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل : اللهم انى اسلمت وجهى اليك وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لاملجأ ولامنجا منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت ، واجعلهن من اخر كلامك فان مُتَّ من ليلتك مُتَّ وانت على الفطرة "(٢) .

ورغم ذلك فان بعض العلماء قال ان التفويض اشمل من التوكل لانه ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل، لان التوكل يأتى بعد وقوع السبب اما التفويض فانه قبل وقوعه وبعده وهو عين الاستسلام لله والتوكل شعبه من شعب التفويض، والمفوض يتبرأ بالكامل من الحول والقوة ويفوض الأمور الى الله وعليه يكون التفويض اعظم من التوكل(٣) .

والبعض الاخر من العلماء قال أن التوكل فوق التفويض، واعتمد الاتى من الاقوال :

ما جاء عن سهل بن عبدالله التسترى، موضحا مقام التوكل وسموه بين المقامات

---

١) سورة غافر اية : ٤٤.

٢) اخرجه ابن ماجة ، مجلد :٢ ، باب :١٨ ، ص ١٢٧٨ ، حديث ٣٨٨٥.

٣) انظر مدرج السالكين ، ج:٢ ، ص ١٣٨ ، تحقيق محمد الفقى ، ط(١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) السنة المحمدية ، القاهرة.

الخلقية حيث قال : " العلم كله باب من التعبد ، والتعبد كله باب من الورع ،
والورع كله باب من الزهد ، والزهد كله باب من التوكل ".
وجاء عن ابى تراب النخشبى حينما سئل عن التوكل فقال : " التوكل طرح البدن
فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والاطمئنان الى الكفاية فان اعطى شكر وان منع
صبر راضيا موافقا للقدر .
وقال سهل ايضا : " ان التوكل هو الاسترسال مع الله تعالى على مايريد "(١) .

والراجح عندنا والذى ننصره ان التوكل فوق التفويض ومن قال بذلك كان
مصيبا فى رأيه لانه اعتمد الاتى :-
ان القرآن مملوءا بالامر بالتوكل ، واخبرنا عن رسل الله واوليائه وصفوة المؤمنين
بان حالهم التوكل .
فجاء حكاية عن رسل الله قوله تعالى : " وَمَالَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا
سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٢) .
وجاء فى توكل المؤمنين قوله تعالى : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ "(٣) .
وأُمِرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدة آيات منها :
قوله تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "(٤)
وقوله تعالى : " فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا "(٥)
وقوله تعالى : "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "(٦) .
واسماه الله تبارك وتعالى بالمتوكل حيث روى فى الحديث الشريف عن عطاء بن

---

١) اللمع فى التصوف لابى نصر الطوسى ، صححه نيكلسون ، ص ٥١ ، ط (١٩١٤م) فى لندن ،
وانظر قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، ج:٢ ، ص ٤ .
٢) سورة ابراهيم اية : ١٢.
٣) سورة التغابن ، اية : ١٣.
٤) سورة آل عمران اية : ١٥٩.
٥) سورة النساء اية : ٨١.
٦) سورة الانفال اية : ٦١.

يسار قال : " لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال : اجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ، ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ، انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب فى الاسواق ولايدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يُقيمَ به الملة العوجاء ، بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا "(١) .

واما من قال التفويض قبل وقوع السبب وبعده ويعنى بالسبب الكسب اى بمعنى ان المفوض فوّض امره الى الله قبل اكتسابه وبعده بينما التوكل يكون بعد وقوع السبب فصار التفويض اوسع .

فُيَرد عليهم بان التوكل قد يكون قبل السبب واثناءه وبعده ، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتوكل عند الخروج من البيت للاكتساب وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من بيته قال : " بسم الله لاحول ولا قوة الا بالله ، التكلان على الله "(٢) .

وبذلك يتضح ان التوكل اعم واشمل من التفويض والله اعلم .

موضع التفويض

يوجد ثلاثة مواضع تواجه المفوّض فى حياته وهى كالتالى :-

١) موضع يعلم الانسان يقينا انه فساد وجاهلية وطغيان وباطل بدون شك او ارتياب البته ، كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى التفويض فى ذلك اذ ان شأن المؤمن المتوكل انه مبتعد عن هذه الامور كلية بل انه يحاربها .

٢) موضع واضح وضوح الشمس انه صلاح وخير كالجنة والايمان والسنة والاحسان الى

---

١) اخرجه البخارى ، ج: ٣ ، ك: البيوع ، باب : ٥٠ ، ص ٢١ .
٢) اخرجه ابن ماجة ، مجلد : ٢ ، باب : ١٨ ، ص ١٢٧٨ ، حديث ٣٨٨٥ .

غير ذلك ، فهذه الامور لاموضع للتفويض فيها لان المؤمن المتوكل يفعل هذه طاعة وتقربا الى الله وابتغاء مرضاته.

٣) موضع لايعلم الانسان يقينا أنّ له فيه خيرًا وصلاحا او شرا وفسادا فهذا يكون موضع التفويض كمن أراد ان يحج نفلا وقد سمع فى الحجاز بعض الامراض فهنا مكان التفويض على طلب تيسيره من الله ، ان كان فيه الخير والنفع وهذا على سبيل المثال لا الحصر (١).

ثالثا : ثمار التفويض

١) طمأنينة القلب :

بتفويض الامور الى الله بعد الجد والاجتهاد ، تزول الهموم الدنيوية ويذهب الخوف من العباد ، ويزول الرجاء لاحدٍ منهم ، اذ المفوّض امره الى الله فى الامور التى لايدرى صلاحها من فسادها ، لا يصيبه الاضطراب ، لانه فوض الامر الى الله ، وعمل مايظن ان فيه الخير والصلاح فبذلك يطمئن القلب ويامن الخطر.

والطمأنينة والراحة والامن فى القلب غنيمة عظيمة ، ناتجة عن تفويض الانسان امره الى الله ، وهذه الطمأنينة القلبية حدثت مع مؤمن ال فرعون حينما خوفوه بالقتل فتحداهم وهو مطمئن القلب لوعد الله لانه فوض الامر اليه وانه سبحانه كافى من توكل عليه وهو حسبه (٢).

٢) حصول الصلاح :

ان المفوض امره الى الله يحصل له الصلاح والخير فى مستقبله وذلك لان الامور بخواتيمها فقد يكون الشر فى صورة خير والخير فى صورة شر ، وحينما يفوض المؤمن امره الى الله سبحانه ويسأله ان يختار له مافيه الخير والصلاح لم يلق الا الخير باذن الله.

ألم تر مؤمن ال فرعون حينما فوض امره الى الله وقاه الله سيئات مامكروا ، وهذا نصر لمؤمن ال فرعون على الاعداء ، ناتج عن تفويضه الامر لله سبحانه (٣).

قال تعالى " وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ " (٤).

---

١) انظر منهاج العابدين ، ص ١٠١.

٢) انظر تفسير زاد المسير فى علم التفسير ، ج: ٧ ، ص ٢٢٦ ، وانظر ايضا المسائل فى اعمال القلوب والمكاسب والعقل ، ص ١٤٩.

٣) انظر منهاج العابدين ، ص ١٠٠ (٤) سورة غافر اية : ٤٤ ، ٤٥.

الفصل الثالـــث

منزلة التوكل والمتوكلين

الفصـــــل الثالـــــث

منزلة التوكل والمتوكليـــن

مقدمـــــة:

المبحث الاول : اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا

١) بالايمان
٢) باسماء الله الحسنى
٣) بالعبادة
٤) بالتقوى
٥) بالصبر
٦) بالعزيمة
٧) بالعمل الصالح
٨) بالحكم
٩) بالجهاد

المبحث الثاني : مكانة المتوكلين بين اهل الايمان وصفاتهم

مقدمة
المطلب الاول : مكانة المتوكلين بين اهل الايمان
المطلب الثانى : صفات المتوكلين

المبحث الثالث: اثار التوكل فى الدنيا والاخرة

مقدمة
المطلب الاول : اثار التوكل فى الدنيا
اولا : على الفرد
ثانيا : على المجتمع
المطلب الثانى : آثار التوكل فى الاخرة

الفصل الثالث

منزلة التوكل والمتوكلين

مقدمة

ان المتتبع للمواضع التى ذكر فيها التوكل والمتوكلون فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، يتضح له كل الوضوح الذى لايقبل الشك ، ان للتوكل منزلة عالية وسامية ،ومقاماً من ارفع مقامات هذا الدين ، لارتباطه مباشرة بعقيدة التوحيد ، وانه خلق من اعظم اخلاق النبيين والمرسلين وسائر المؤمنين ، ومنزلته من افضل المنازل التى اعدها الله لعباده الصالحين ، وهو من ابرز شعب الايمان ، وعروة من اوثق عرى هذا الدين ، حيث جعل التوكل على الله فى هذه الحياة الدنيا مفتاحاً لكل خير وبركة وباباً لكل سعادة فى الدنيا والاخرة .

وتتضح منزلة واهمية التوكل على الله من خلال انها فضيلة مشتركة لجميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، قال تعالى : " وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(1) وقوله تعالى : " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "(2) .

وهى من تمام مكارم اخلاق رسولنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم حيث انه امر بها فى ايات كثيرة من سور متعددة ، قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا "(3) . وقوله تعالى : " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ "(4) . والامر بالتوكل لرسول

---

١) سورة ابراهيم اية : ١٢
٢) سورة الملك اية : ٢٩
٣) سورة الفرقان اية : ٥٨
٤) سورة النمل اية : ٧٩ .

الله صلى الله عليه وسلم الذى جاء فى هذه الايات ، هو امر لجميع المؤمنين لكى يتخلقوا بهذه الفضيلة والدرجة العالية .

وهى خلق عام لاولياء الله ، قال تعالى : " رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "(١) . وبذلك يتضح ان التوكل والانابة من اخلاق اولياء الله المقربين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

وكذلك فان فضيلة التوكل خلق رفيع لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث جاء فى قوله تعالى : " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "(٢) .

ولضرورة واهمية هذه الفضيلة وعلو منزلتها وسمو قدرها بين سائر الفضائل الاسلامية ، جعلت خلقاً عاماً للمؤمنين جميعا ، حيث جاء فى حق المؤمنين ، قوله تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٣) .

المبحث الاول

اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا

ان القرآن الكريم ربط بين التوكل على الله وبين قيم الاسلام العليا ومثله الروحية الفضلى واخلاقه النبيلة السنية ، وهذا الربط جاء ليكون دليلا على تثبيت هذه المعانى السامية فى النفوس التى آمنت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن الكريم دستورا للبشرية جمعاء الى يوم الدين وهذا الربط يعتبر أداة من ادوات القرآن الكريم الرائعة فى توضيح المعانى وتسهيلها على الناس وتثبيتها فى نفوسهم ، وذلك لانه قرن التوكل بالمعانى الروحية الاتية:

١) سورة الممتحنة اية : ٠٤
٢) سورة آل عمران اية : ١٧٣ .
٣) سورة الانفال اية : ٠٢

١) بالايمان:

جاء فى قوله تعالى : " قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ"[١] .
وقوله تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "[٢] . وقوله تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "[٣] ، وجاء حكاية على لسان موسى عليه السلام قوله تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ"[٤] .

جاء هذا الربط بين الايمان والتوكل ليعطى دليلا واضحا ، ان التوكل على الله لايمكن فصله عن الايمان بل هو بالنسبة للايمان كالروح بالنسبة للجسد مما يدل على اهمية التوكل فى حياة المسلمين[٥] .

٢) باسماء الله الحسنى:

لقد ربط القرآن الكريم بين التوكل على الله وبين اسماء الله الحسنى فى آيات كثيرة ، مما يفسر اهمية ومكانة التوكل ، وانه من اعم المقامات الخلقية تعلقا بالاسماء الالهية الحسنى ، حيث ان له تعلقا خاصا بعامة اسماء الافعال واسماء الصفات . لذا فسره بعض الائمة ،"بان التوكل يعتبر هو المعرفة بالله لتعلقه باسماء الله الحسنى وبقدر معرفة العبد لله يصح له مقام التوكل فكلما كان بالله اعرف كان توكله عليه اقوى "[٦] .

ويوجد له تعلق باسماء الافعال التى منها الغفار ، والتواب ، والمانع ، والرحيم ، والرؤوف ، والفتاح ، والوهاب ، والرازق ، والمعطى وغيرها كما ان

---

١) سورة الملك اية : ٢٩.
٢) سورة التغابن اية : ١٣
٣) سورة المائدة اية : ٢٣
٤) سورة يونس اية : ٨٤
٥) انظر تفسير محاسن التأويل ، مجلد : ٦ ، ج:٩ ، ص ٧١ وايضا انظر تفسير روح المعانى ، مجلد : ٤ ، ج:١١ ، ص١٧ .
٦) مدارج السالكين ،ج:٢ ، ص ١٢٥.

للتوكل تعلقاً باسماء الصفات ، مثل «القدرة والارادة» كأن يتوكل المؤمن على الله لكي يساعده فى إذلال اعداء الله وخفضهم وتحقيق النصر عليهم (١) ، قال تعالى: " إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " (٢) .

وجاء التوكل مرتبطا باسماء الله التى منها العزيز الحكيم فى قوله تعالى: " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (٣) .

فانه سبحانه وتعالى " عزيز " لايُذل ولايُضام من إلتجأ اليه وتوكل عليه واستجار به فانه عظيم السلطان قاصم الجبارين ومعز المتوكلين ، كما انه " حكيم " فى افعاله يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار فى فهمه الباب الفحول فينصر من يستحق النصر ويخذل من هو اهل لذلك (٤) .

وجاء التوكل ايضا مرتبطا باسمه تبارك وتعالى : " الوكيل ":
قال تعالى : " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " (٥) . وقوله تعالى : " وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا " (٦) .

والوكيل هنا فى الايات تعني الحافظ اى حافظ ما فى السموات والارض من الموجودات وغيرها من العوالم الغيبية ، فهو الذى ينبغى ان يتوكل عليه لان « كفى » تفيد العموم اى يكفى كل احد يتوكل عليه ، فلا تتكلوا على غيره لان ماسوى الله زائل وكائن الى نهاية (٧) .

---

١) انظر الموسوعة الخلقية ، ج:٢ ، ص ٢٧٤ .
٢) سورة آل عمران اية : ١٦٠ .
٣) سورة الانفال اية : ٤٩
٤) انظر تفسير ابى السعود ، ج:٤ ، ص ٢٦ ، وايضا انظر تفسير ابن كثير ، مجلد : ٢ ، ص ٣١٩ .
٥) سورة النساء اية : ١٣٢ .
٦) سورة الاحزاب اية : ٤٨ .
٧) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج:٦ ، ص ٥٩ .

ولذلك كان من اسمائه تبارك وتعالى "الوكيل" ، كما جاء في قوله تعالى: " وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ "(١) • وهو القيم بارزاق العباد وحقيقته انـــه سبحانه يستقل بالامر الموكول اليه فهو الكافي لمن توكل عليه وصدق في توكله(٢) قال تعالى : " اَلَّا تَتَخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً "(٣) •

رأي المعتزلة في الوكيل

قال المعتزلة لايجوز تسمية الله بالوكيل ، لان الوكيل أقل وأدون مــــن الموكل ، فاستبعدوا تسمية الله بالوكيل ، ولم يكن معهم اى دليل شرعى ســوى التحليل العقلى •

ونحن نعلم ان اسماء الله توقيفية لا اجتهاد فيها ، نؤمن بها كما جاءت في الشرع الاسلامى ، فالله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالوكيل كما مر معنا فــى الايات السابقة ، فهذه حجة عليهم ، وشبهتهم واهية ، لان الوكيل قد يوكـــل للترفع ، وقد يوكل للعجز ، والله وكيل عباده لعجزهم عن التصرف(٤) •

وحمل الزمخشرى اسم الوكيل على مايشمل قوله تعالى : " وَهُوَ عَلَى كُـــلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ "(٥) فقال انه يعنى مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب علـــى الاعمال ، وان اسم الوكيل جامع يدل على إسمي " الرقيب والحافظ" فى الامــور التى يعتنى الناس بحفظها ورقابتها وادخارها(٦) •

وجاء التوكل مقترنا باسم " الحى ":

ولا يوجد ادنى شك فى عدم صحة التوكل على من لم يتصف بالحيـــاة

---

١) سورة آل عمران : اية ١٧٣•

٢) انظر تفسير روح المعانى ، مجلد : ٢ ، ج:٥ ، ص ١٤٢•

٣) سورة الاسراء اية : ٢•

٤) انظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد : ١٣ ، ج:٢٥ ، ص ٢١٩•

٥) سورة الانعام اية : ١٠٢•

٦) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج:٤ ، ص ١٧١ ، وانظر ايضا عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبدعين ، ج:٢ ، ص ٩٤ ، ص ٩٤ ، ط:٢(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)•

كالاصنام وغيرها ، وأما الذى لم يتصف بالبقاء لانه يموت ولانه عاجز وضعيف فلا يصح ايضا التوكل عليه بأى حال من الاحوال ، لانه اذا مات ضاع من توكل عليه ، لذا فلا يصح التوكل الا على الحى القيوم ، الذى لاتأخذه سنة ولانوم (١) .

قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا " (٢) .

فالاية الكريمة تعبير صادق عن التوجه الى الله وحده ، وتفويض الامر اليه والاستسلام له وحده ، والصبر على مايواجهه الانسان فى هذه الحياة فانه سبحانه وتعالى كافى وناصر من صدق فى توكله عليه ، ونزهه عما يقول المشركون من الصاحبة والولد والاصنام الى غير ذلك ، فالله سبحانه هو الواحد الاحد الفرد الصمد الحى الذى لايموت ، والشركاء والانداد والاصنام الى زوال وانتهاء (٣) .

وجاء فى الاثر عن عقبة بن ابى زينب قال : " مكتوب فى التوراة لاتوكل على ابن آدم ، فان ابن آدم ليس له قوام ، ولكن توكل على الحى الذى لايموت " (٤) .

٣) اقترانه بالعبادة:

لقد جاء التوكل مقرونا بالعبادة فى آيات منها قوله تعالى " وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ " (٥) .

التوكل بدون العبادة لايجدى نفعا ويكون من التمنى الكاذب ، والعبادة ذاتها لاتكمل الا بالتوكل لان به يكمل التوحيد والاخلاص لله (٦) قال تعالى : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

---

١) انظر تفسير روح المعانى ، مجلد : ٥ ، ج:١٥ ، ص ٣٧ .
٢) سورة الفرقان اية : ٥٨ .
٣) انظر تفسير المراغى ، مجلد : ٤ ، ج:١٠ ، ص ١٤ .
٤) اخرجه ابن ابى الدنيا فى كتابه " التوكل على الله" ص ٦٤ ، تحقيق مجدى السيد ، ط(لايوجد) مكتبة القرآن .
٥) سورة هود اية : ١٢٣ .
٦) انظر تفسير المراغى ، مجلد : ٤ ، ج:١٢ ، ص ١٠١ .

وَكِيلٌ "(١) ولقد امر الله عباده المؤمنين،ان يقولوا فى صلواتهم مرات كثيرة " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ "(٢) حيث انها تربط بين العبادة والتوكل ، اذ الاستعانة هى عين التوكل الذى هو ثمرة التوحيد ، واختصاص الله بالعبادة دون شريك له فى الملك والحكم والتشريع(٣) .

وجمع القرآن الكريم بين هذين الاصلين ايجابا فى قول النبى الصالح شعيب عليه السلام قال تعالى : " وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "(٤) ، وفى قول ابراهيم والذين معه ، فى قوله تعالى : " رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "(٥) ، وكذلك فى قوله تعالى : " وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ "(٦) .

وكان صلى الله عليه وسلم فى دعائه اذا قام من الليل يجمع بين العبادة والتوكل حيث جاء عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند قيامه من الليل : " اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت ، اللهم انى اعوذ بعزتك ، لا اله الا انت ، ان تضلنى انت الحى الذى لايموت ، والجن والانس يموتون "(٧) .

٤) بالتقوى :

مثل قوله تعالى : " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٨) وقوله تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "(٩) .

---

١) سورة الانعام اية : ١٠٢ .
٢) سورة الفاتحة اية : ٥
٣) انظر تفسير ابن كثير ، مجلد : ٢ ، ص ٤٢٨ .
٤) سورة هود اية : ٨٨ .
٥) سورة الممتحنة اية : ٤ .
٦) سورة الرعد اية : ٣٠ .
٧) متفق عليه واخرجه ابن ماجة ، ج: ١ ، باب: ماجاء فى الدعاء اذا قام الرجل من الليل ، ك: الاقامة ، ص ٤٣٠ ، ٤٣١ ، حديث رقم (١٣٥٥) .
٨) سورة المائدة اية : ١١ . (٩) سورة الطلاق اية : ٢ ، ٣ .

وفي الايات تنبيه على انه سبحانه وتعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل ، مما يدل على ان التقوى والتوكل معنيان ، كلاهما منوط بالاخر، ولايتم كل واحد منهما الا بصاحبه ، فمن كان التقوى مقامه كان التوكل حاله لتلازمهما مع بعضهما البعض ، وبذلك يكون التوكل افضل الاحوال لارتباطه بالتقوى ، الذى هو اعلى المقامات الخلقية ، اذ الاتقى هو الاكرم عند الله ، قال تعالى : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "(١) .

وجاء فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كان اهل اليمن يحجون ولايتزودون ويقولون نحن المتوكلون ، فاذا قدموا مكة سألوا الناس فانزل الله تعالى : " وتزودوا فان خير الزاد التقوى "(٢) ، وقد قيل انها نزلت فى ردع اهل اليمن الذين يحجون بلا زاد، فبرهنت على ان التقوى هو خير زاد كما ان التوكل هو الاخذ بالاسباب(٣) .

٥) بالصبر

جُمع بين الصبر والتوكل فى قوله تعالى : " نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٤) وقوله تعالى : " وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِمَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٥) .

جاء هذا الربط القرآنى بين التوكل والصبر لان نجاح المؤمن فى تحقيق اهدافه يتوقف على امرين :-

---

١) سورة الحجرات اية : ١٣ .
٢) اخرجه البخارى ، ك: الحج ، باب : ٦ ، ج:٢ ، ص ١٤١ ، واخرجه ابوداود فى كتابه السنن ، ج:١ ، ك: المناسك ، باب : ٤(التزود فى الحج) ص: ٤٠١ ، ط:١(١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م) مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .
٣) انظر تفسير البيضاوى ، ص ٤٣ .
٤) سورة العنكبوت اية : ٥٨ ، ٥٩ .
٥) سورة النحل اية : ٤١ ، ٤٢ .

الاول :- أمر من جانبه كانسان وفى وسعه ، وفى حدود طاقته البشرية ، وهو ان يبذل ما عنده من جهده وبتحمل الصعاب الثقال التى تواجهه فى حياته فهذا يحتاج الى صبر ومصابرة فى الطريق الايمانى للوصول الى الهدف ويتم النجاح والفلاح ، بعد الاخذ بالاسباب المفضية لذلك النجاح والسداد .

ولقد صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم منذبداية الدعوة وصابر على لأواء الطريق ، وتحمّل عناد المشركين ، حتى اظهره الله ، قال تعالى : " لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا "(١) .

الثانـى :- ما لايملكه الانسان وليس فى وسعه من الامور وهو عبارة عما تجىء به الاقدار و مما يضمره الغيب من احداث ومفاجأت غير متوقعه ولامحسوبة ، فهذه الامور لايملك المؤمن ازاءها الا ان يتوكل على الله ، ويلجأ اليه ويثق بتدبيره سبحانه وتعالى (٢) .

قال صاحب " قوت القلوب " التوكل والصبر من امهات الصفات التى يجب ان يتحلى بهما الداعى الى الحق المدافع عنه ، وان يكونا خُلقًا له اذ لاظفر بغاية بدونهما (٣) .

قال تعالى : " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ "(٤) . وقال تعالى : " وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا "(٥) .

٦) بالعزيمة :

مثل قوله تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(٦) .

قال بعض المفسرين ان الاية عبارة عن ثمرة وجوب التمسك بمكارم الاخلاق

---

١) سورة المزمل اية : ٩ ، ١٠ .
٢) انظر الصبر فى القرآن الكريم ، ص٦١-٦٢ ، ط(لايوجد) دار المعرفة الدار البيضاء .
٣) انظر قوت القلوب لابى طالب المكى ، ج: ٢ ، ص ١٦ .
٤) سورة الاحقاف اية : ٣٥ .
٥) سورة الاحزاب اية : ٤٨ .
٦) سورة آل عمران اية : ١٥٩ .

وخصوصا لمن يدعو الى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفيها ترغيب بالتوكل على الله بعد المشورة والعزيمة المترتبة الصادقة على اخذ الاستعداد بما أوتيه الانسان من الحول والقوة البشرية (فاذا عزمت) اى بعد المشاورة على امر واطمأنت به نفسك " فتوكل على الله " فى الاعانة على امضاء ما عقدت العزم عليه لا على المشورة واصحابها(١) .

وقال صاحب المنار : " ان العزم على الفعل وان كان بعد الفكر وإحكام الرأى والمشاورة واخذ الاهبة فذلك كله لايكفى للنجاح الا بمعونة الله وتوفيقه ، لان الموانع الخارجية له والعوائق دونه لايحيط بها الا الله تعالى ، فلا بد للمؤمن من الاتكال عليه والاعتماد على حوله وقوته "(٢) .

٧) بالعمل الصالح:

فى قوله تعالى حكاية على لسان شعيب عليه السلام : " قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "(٣) .

لاريب ان اصلاح المجتمع بالعمل الصالح لايتحقق الا بالتوكل على الله ، قبل وبعد القيام بالعمل مع اخلاص النية لوجه الله ، والابتعاد عن الرياء حتى يكون العمل صالحا ومقبولا عند الله.

والتوكل على الله اثناء العمل بعقد النية والعزم على اتمامه بالصورة التى ترضى الله ورسوله والمؤمنين ، قال تعالى : " وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ "(٤) .

---

١) انظر تفسير محاسن التأويل ، مجلد : ٢ ، ج: ٤ ، ص ٢٧٩ وايضا انظر تفسير المراغى ، مجلد : ٢ ، ج: ٤ ، ص ١١٧ وايضا انظر جامع البيان فى تفسير القرآن ، مجلد : ٣ ، ج: ٤ ، ص ١٠١ .
٢) تفسير المنار ، ج: ٤ ، ص ٢٠٥ .
٣) سورة هود اية : ٨٨ .
٤) سورة التوبة اية : ١٠٥ .

والتوكل على الله بعد اتمام العمل يكون بشكر الله على توفيقه والانابة اليه ، حتى لايكون هناك مجالا للغرور والعُجب ، ونحو ذلك من المفسدات للاعمال الصالحة ، كما قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ "(١) .

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى "(٢) .

٨) بالحكم:

في مثل قوله تعالى : " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٣) وفي قوله تعالى : " وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "(٤) .

إنّ الحكم بما انزل الله واجب اسلامي وهو جزء لايتجزأ عن عقيدة المؤمن في هذه الحياة ، واذا حدثت الزحزحة عن الحكم بما انزل الله الى الاحتكام الى المناهج الارضية الهابطة المستوردة من الشرق او الغرب يعني ذلك الكفر والفسوق والظلم في حياة الفرد والجماعة.

ايضا التوكل على الله هو جانب اساسي من عقيدة المؤمن واذا خرج عنه الى التوكل على غيره يعني الشرك وهو الظلم بعينه قال تعالى : " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ "(٥) .

لذلك جاء التوكل مرتبطا مع اقامة الحكم لكي يسكب في الانسان المؤمن الطمأنينة الى طريقه والثقة في منهجه الالهي فلا يتشكك ولايتردد ولايحتار اذا ما واجهته الاهوال والاخطار في الطريق ، بل يشعر ان الله حاميه وراعيه

---

١) سورة محمد اية : ٠٣٣

٢) سورة البقرة اية : ٠٢٦٤

٣) سورة يوسف اية: ٠٦٧

٤) سورة الشورى اية : ١٠

٥) سورة لقمان اية : ٠١٣

ومسدد خطاه وناصره في هذا الاتجاه [(١)] .

قال تعالى : " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ " [(٢)] . واقسم سبحانه بان الايمان لايتم الا بتحكيم الله ورسوله في كل صغيرة وكبيرة من حياة الناس ، قال تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " [(٣)] .

٩) بالجهاد :

جُمع بين التوكل والجهاد في قوله تعالى : " وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " [(٤)] .

وقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " [(٥)]

وقوله تعالى : " ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [(٦)] .

وقوله تعالى : " إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " [(٧)] .

ان اعداء الاسلام من المستعمرين وغيرهم يعملون دوما على محاربة الاسلام والمسلمين ويكيدون ليلا ونهارا معتمدين في ذلك على سلاحين هما :-

١) انظر في ظلال القرآن ، مجلد : ٥ ، ص ٣٨٤٦ .
٢) سورة غافر اية : ٥١ .
٣) سورة النساء اية : ٦٥ .
٤) سورة آل عمران اية : ١٢١ - ١٢٣ .
٥) سورة المائدة اية : ١١ .
٦) سورة المائدة اية : ٢٣ .
٧) سورة آل عمران اية : ١٦٠ .

١) سلاح الشهوات والشبهات: لافساد سلوكنا في الحياة بابعادنا عن حقيقة عقيدتنا الاسلامية ، وبالتالي خلق جيل يجري ويلهث وراء الشهوات لايفقه من الاسلام شيئا .

٢) السلاح المادي : لقهرنا عسكريا والسيطرة على بلاد المسلمين او الاجزاء الهامة منها ، كما حدث ويحدث في فلسطين قلب العالم الاسلامي وافغانستان المسلمة.

وعلى المؤمن بالله ان يقف بالمرصاد لهذا الغزو ، ويعمل على صده عن بلاد المسلمين ، ويجاهد هؤلاء الاعداء بسلاحين امضى واقوى وهما :-

١) سلاح التوكل على الله: ليجاهد به الاهواء والشهوات والشكوك والشبهات الشيطانية التي يطلقها ويُروّجُ لها اعداءُ الاسلام من شياطين الانس والجن ، قال تعالى : " إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ "(١) .

٢) السلاح المادي : باعداد العدة والاخذ بالاسباب المؤدية لتحقيق النصر على الاعداء ، قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتُظْلَمُونَ "(٢) .

ومعلوم من الدين ان الجهاد هو ذروة سنام الاسلام ، كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الا أُخْبِرُكَ برأس الامر وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يارسول الله ، قال : رأس الامر الاسلام ،وعموده الصلاة ، وذروةُ سنامه الجهاد "(٣) .

---

١) سورة النحل اية : ٩٩ - ١٠٠ .

٢) سورة الانفال اية : ٦٠ .

٣) اخرجه الترمذي في كتابه السنن ، ج:٥ ، باب:٨ (ماجاءفي حرمة الصلاة) ص ١١ ، ١٢ ، حديث رقم (٢٦١٦) هكذا من حديث طويل ، ط:٢(١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) تحقيق ابراهيم عوض ، طبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

من خلال ذلك يتضح اهمية التوكل فى تحقيق النصر على الاعداء وضرورة الجهاد فى الحفاظ على هوية الامة الاسلامية لذا جُمع بينهما فى كثير من الايات القرآنية

المبحث الثانى

مكانة المتوكلين بين اهل الايمان وصفاتهم

مقدمة

لقد نوه القرآن الكريم والسنة النبوية بمكانة المتوكلين وفضلهم على غيرهم من اهل الايمان فى الكثير من الايات الكريمة والاحاديث الشريفة موضحا انهم الفائزون فى الدنيا والاخرة.

وذلك لان المتوكل صادق مع الله فى طاعته وخضوعه واستسلامه لله الواحد القهار ، فهو لايخضع لمخلوق مثله لان قلبه مملوء بالثقة بضمان الله ، واصبح الاخلاص ديدنه فى كل تصرف يسلكه فى هذه الحياة ، قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(١).

والمتوكل على الله هو من التزم تقوى الله ، فجعل له مخرجا من كل ضيق وعسر ، ورزقه من حيث لايحتسب ، قال تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ "(٢).

والمتوكل على الله استغنى بالله سبحانه فأغناه الله لانه المعطى المانع واهب الارزاق للناس جميعا ، فهو غنى بالله لايتطلع الى سواه مطمئن لقدر الله ووعده فان وعده الحق ، قال تعالى : " إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "(٣).

---

١) سورة الانفال اية : ٠٢

٢) سورة الطلاق اية : ٢ ، ٣

٣) سورة هود اية : ٠٥٦

وللمتوكل على الله منزلة عالية ودرجة رفيعة فى الدنيا والاخرة ، ففى الدنيا يحظى بالطمأنينة على ارزاقه والراحة النفسية الكاملة فى مواجهة الاحداث الحياتية مهما كانت وبلغت من الخطورة فهى فى تصوره من قدر الله ، والله يقدر الخير للمتوكلين قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "(١).

وفى الاخرة لهم الاجر الاكبر والاعظم عند الله ، وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٢).

المطلب الاول

مكانة المتوكلين بين اهل الايمان

لقد وضح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مكانة المتوكلين وبيّنا موضعهم من اهل الايمان والتقوى بانهم الفائزون بالجنة بغير حساب والناجون من العذاب.

واخبر سبحانه وتعالى ان لكل عمل من اعمال البر جزاءً معلوما فجعل للمتقين مخرجا من كل ضيق وشدة ، قال تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا "(٣) وكفر عنهم سيئاتهم وأجزل لهم فى الأجر ، قال تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا "(٤) ، وجعل لهم من امرهم يسرا قال تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا "(٥).

---

١) سورة الطلاق اية : ٣.
٢) سورة النحل اية : ٤١ ، ٤٢.
٣) سورة الطلاق ، اية : ٢.
٤) سورة الطلاق اية ٥.
٥) سورة الطلاق اية ٤

واخبر سبحانه وتعالى عن اهل الاحسان ، انه مع المحسنين قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ "(١) ، وانه تبارك وتعالى لايضيع اجرهم قال تعالى : " إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ "(٢) . وجعل لمن يطيع الله ورسوله درجة عالية فى الجنة ، قال تعالى : " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا "(٣) .

وجاء فى الصابرين انهم يُوفّون اجرهم بغير حساب ، قوله تعالى : " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ "(٤) ، وانه تبارك وتعالى يجازيهم بأحسن الذى كانوا يعملون ،قال تعالى : " وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ "(٥) . وجعل لهم الجنة بما صبروا ولباسهم فيها حريرا ، قال تعالى : " وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا "(٦) .

وجاء فى التوكل انه اعلى مقامات المقربين واشرف احوال المتقين لان الله سبحانه جعل من نفسه كافيا وحسيبا لعباده المتوكلين ، وهذه المنزلة لم يحصل عليها غيرهم قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ "(٧) .

وقال بعض السلف : " جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه ، فجعل جزاء المتوكل عليه نفس كفايته وانه حسبه ، فلم يقل له كذا وكذا من الاجر كما قال فى الاعمال الاخرى ، بل جعل نفسه سبحانه كافى عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والارض ومن

---

١) سورة النحل اية : ١٢٨ .
٢) سورة يوسف اية : ٩٠ .
٣) سورة النساء اية : ٦٩
٤) سورة الزمر اية : ١٠
٥) سورة النحل اية : ٩٦ .
٦) سورة الانسان اية : ١٢ .
٧) سورة الطلاق اية : ٠٣

فيهن لجعل الله له مخرجا وكفاه رزقه ونصره "(١).

وللمتوكلين مكانة بالغة بين سائر اهل الايمان وذلك لانه سبحانه وتعالى اخبر انه يحبهم فجاء قوله تعالى : " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ"(٢) فجعل المتوكل حبيبه والقى عليه محبته ، ومن احبه الله ادخله الجنة وكفاه مما سواه.

ورفع الله سبحانه المتوكلين في قوله : " وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"(٣) بان جعل توكلهم عليه وحده دون غيره . ووقاهم بتفويضهم اليه ، السيئات والذنوب(٤) ، قال تعالى : " وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُوا "(٥)،

وايضا ان للمتوكلين منزلة رفيعة ودرجة عالية ، من خلال ما جاء في السنة المطهرة، انهم يدخلون الجنة بغير حساب وما اعظمها من منزلة ان يدخل الانسان الجنة بغير حساب ، حيث جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه احد حتى رفع لي سواد عظيم قلت ماهذا ؟ امتي هذه ! قيل هذا موسى وقومه قيل انظر الى الافق فاذا سواد يملأ الافق ثم قيل لي انظر هاهنا وهاهنا في افاق السماء فاذا سواد قد ملأ الافق ، قيل هذه امتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون الفا بغير حساب ، ثم دخل ولم يبين لهم ، فأفاض القوم وقالوا نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم ، او اولادنا الذين ولدوا في الاسلام فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فقال : هم الذين لايسترقون ولايتطيرون ولايكتون وعلى ربهم يتوكلون ، فقال عكاشة بن محصن أمنهم انا يارسول الله

---

١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص ٣٥٦.
٢) سورة آل عمران ، اية : ١٥٩.
٣) سورة ابراهيم اية : ١٢.
٤) انظر قوت القلوب ، ج: ٢ ، ص ٣.
٥) سورة غافر اية : ٤٤.

قال : نعم فقام آخر فقال : امنهم انا قال : سبقك بها عكاشة "(١) .

واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله متكفل لعباده المتوكلين بارزاقهم ان هم اخذوا بالاسباب وسعوا مبكرين الى اعمالهم ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لو انكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا ، وتروح بطانا "(٢) .

وتظهر اهمية ومكانة المتوكلين من خلال قوله تعالى : " ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ "(٣) .

قالها محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ثقة بالله وتوكلا عليه حينما خوفهم بعض الناس بابى سفيان ومن معه من المشركين فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل يعنى اى يكفينا الله فى دفع شر الاعداء وحصول الخير(٤) .

ومما ورد فى فضل هذه الكلمة (حسبنا الله ونعم الوكيل) انها كلمة المؤمنين الصادقين « ان ام المؤمنين زينب وعائشة رضى الله عنهما انهما تفاخرتا ، فقالت زينب : زوجنى الله ، وزوجكن اهاليكن وقالت عائشة : نزلت براءتى من السماء فى القرآن فسلمت لها زينب ثم قالت : كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل ؟ قالت : قلت : حسبى الله ، ونعم الوكيل ، قالت زينب : قلتِ كلمةَ المؤمنين »(٥) .

وما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : " حسبنا الله ونعم الوكيل "قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : " ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا

---

١) متفق عليه ، وهذا اللفظ للبخارى ، سبق تخريجه ص : ١٨

٢) اخرجه الترمذى ، ج:٩ ، ك:الزهد ، باب : ٣٣ ، ص ٢٠٧ وقال عنه حسن صحيح ، اخرجه ابن ماجة فى كتابه السنن ، مجلد : ٢ ، ك:الزهد ، باب : ١٤ ، ص ١٣٩٤ ، واخرجه الامام احمد فى المسند ، ج:١ ، ص ٥٢ .

٣) سورة آل عمران اية : ١٧٣ .

٤) انظر جامع البيان للطبرى ، مجلد : ٢ ، ج:٤ ، ص ١١٨ ، ١١٩ وايضا انظر فتح المجيد ص ٣٥٦ - ٣٥٨ .

٥) انظر تفسير ابن كثير ، مجلد : ١ ، ص ٤٣١ .

وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل "(١) ٠

المطلب الثانـــي

صفات المتوكلين

ان المتوكل على الله اكثر الناس مثابرة واصراراً وحبا في السعي والحركة من اجل تحقيق الاهداف الاسلامية النبيلة وذلك لان قلبه ارتبط مع الله فتوكل عليه وحده وتفاعل بوجدانية مع آيات القرآن الكريم ، فظهرت فضيلة التوكل في اخلاقه وشملت مسلكيته في الحياة لذا فهو يعمل ليلا ونهارا ابتغاء مرضاة الله وكسب رضوانه ٠

والمتوكل على الله يؤمن ان السعي والحركة والعمل الصالح ركن اساسي لاتمام الهدف الذي وجد من اجله الانسان الا وهو عبادة الله ، بتأدية الشعائر التعبدية واعمار الارض وبنائها باقامة حكم الله وتحرير الناس كل الناس من عبودية العباد الى عبادة الله ، ولقد وضح ذلك ربعي بن عامر * حينما وقف مخاطبا قائد الفرس رستم : " ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعتها وسعة الاخرة "(٢) ٠

ووضح الرسول صلى الله عليه وسلم ان المتوكل على الله هو الذي يعمل وأمّا من يترك العمل ويتواكل ، فهو لايمت الى صفات المتوكلين وشيمهم النبيلة العليا واخلاقهم السامية الرفيعة باى صلة من الصلات ، عن علي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في جنازة فأخذ عودا فجعل ينكت في الارض فقال : " مامنكم من احد الا كتب مقعده في الجنة او في النار قالوا :

---

١) اخرجه البخاري في الفتح الباري ، ج: ٨ ، باب : الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ، ص ٢٢٩ ، حديث رقم ٤٥٦٣٠

٢) في ظلال القرآن ، مجلد : ٣ ، ص ١٤٤٠٠

* ربعي بن عامر : هو ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو صحابي جليل كان من اشرف العرب وللنجاشي الشاعر فيه مديح وكان رضى الله عنه سيفا في الفتوح الاسلامية ، وخاض معركة نهاوند وولاه الاصنف لما فتح خراسان على طخارستان ، انظر الاصابة في تمييز الصحابة ومعه الاستيعاب في اسماء الاصحاب ، ج : ١ ، ص ٤٩١ رقم الترجمة ٢٥٧٢ ، ط(١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م) طبعة مصطفى محمد بمصر ٠

الاتتكل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر فاما من اعطى واتقى الاية"[(١)] .

ولقد اوضحت بعض التفاسير ان للمتوكلين خصالاً ومزايا خاصة بهم ، ذكر البعض منها القاسمي في تفسيره[(٢)] نلخصها في الاتي :-

١) ان المتوكل يعد العدة ، ويأخذ بالاسباب ويعمل بالليل والنهار وهو متوكل على الله قال تعالى : " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ "[(٣)] ، وجاء حكاية على لسان نوح عليه السلام قوله تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا "[(٤)] .

٢) انه يسعى لجلب مصالح دنياه من الوجه الذي اتيح له ، ولايطلب شيئا محرما ، واذا حُرِم من الرزق الحلال لايعدل الى الحرام ، بل انه اذا إشتم شبهة الحرام ابتعد عنها ، كما جاء في الحديث الشريف عن ابى عبدالله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه ، الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه ، الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب "[(٥)] .

٣) لايُظهر الجزع عند الضيق بل يسلك طريق الصبر وما فيه مصلحة له ولغيره

---

١) اخرجه البخاري ، ك:الجنائز ،ج:٢ ،باب : ٨٣ ،ص ٩٩ ،وك التوحيد باب : ٥٤ ،ص ٢١٥ .
٢) انظر تفسير محاسن التأويل ،مجلد : ٥ ، ج:٨ ، ص ١٢ .
٣) سورة الانفال اية : ٦٠
٤) سورة نوح اية : ٥ .
٥) متفق عليه ، اخرجه البخاري ، فتح الباري ، ج:٤ ،باب : ٢ ،ك : البيوع، ٢٩٠ حديث رقم ٢٠٥١ .

ويرضى بما جاء به القدر ، وهو يعلم ان مايصيبه من هم ولا اذى الا كفر الله به من خطاياه ، جاء في الحديث الشريف عن ابى سعيد وابى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا اذى ولاغم ، حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه "(١) .

٤) رجاؤه فى الله كبير فى مساعدته لتحقيق ما يصبو اليه ، وهو متوكل على الله ويحسن الظن به ، عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تعالى : انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاء ، ذكرته فى ملاء خير منهم "(٢) .

٥) الايسرف فى النفقة من كسبه الحلال ولايقتر ، بل يأخذ جانب الاعتدال فى ذلك ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا "(٣) وقال تعالى : " وَلَاتَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَاتَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا "(٤) .

٦) تفويض امره الى الله وحده مع اليقين بانه معينه ، وناصره ، وهذا قلب التوكل ، قال تعالى : " فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ "(٥) وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من تفويض امره الى الله ،

---

١) " متفق عليه ، اخرجه مسلم ، ج: ٤ ، ك:البر والصلة ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ، ص ١٩٩٢ ، ١٩٩٣ ، حديث رقم (٢٥٧٣) طبعة دار احياء التراث العربى وايضا اخرجه الترمذى ، ج:٣ ، ك:الجنائز ، باب : ماجاء فى ثواب المريض ، ص ٢٨٨ ، حديث رقم (٩٦٥) واخرجه الامام احمد فى المسند ،ج:٢ ، ص ٣٠٣ ، ج:٣ ، ص ١٨ ، ٢٤ .

٢) متفق عليه ، واخرجه ايضا الترمذى ، ج:٥ ، ك:الدعوات ، باب: فى حسن الظن بالله ، ص ٥٨١ ، حديث رقم(٣٦٠٣) ط(لايوجد) مصطفى البابى الحلبى وايضا ابن ماجة ،ج:٢ ، باب : فضل العمل ، ك: الاداب ، ص ١٢٥٥-١٢٥٦ ، حديث رقم (٣٨٢٢) مسند احمد ،ج:٢ ، ص ص ٢٥١ .

٣) سورة الفرقان اية : ٦٧ .

٤) سورة الاسراء اية : ٢٩ ، ٣٠

٥) سورة غافر اية: ٦٧ .

عن ابى عمارة البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضجع على شقك الايمن ثم قل : اللهم انى اسلمت وجهى اليك ، وفوضت امرى اليك والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك ، لاملجأ ولامنجأ منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت واجعلهن من آخر كلامك ، فان مُتّ من ليلتك مُتّ وانت على الفطرة "(١).

١) اخرجه البخارى ، مجلد : ١ ، ك: الطهارة ، باب : فضل من بات على الوضوء ، ص ٥٥، واخرجه ايضا مسلم ، ج: ٤ ، ك:الذكر والدعاء ، باب : مايقول عند النوم واخذ المضجع ، ص ٢٠٨١ ، ٢٠٨٢ ، حديث رقم (٢٧١٠) ، واخرجه ابن ماجة ، ج: ٢ ، باب: ٥ مايدعو به اذا اوتى الى فراشه ، ك : الدعاء ، ص ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، حديث رقم (٣٨٧٦).

المبحث الثالث

آثار التوكل في الدنيا والاخرة

مقدمة :

ان لفضيلة التوكل على الله ميزة وخاصّية تنفرد بها عن سائر الفضائل الخلقية ، تظهر اثارها واضحة كل الوضوح على الفرد والمجتمع من حيث انها تعطى الفرد املا بكفاية الله وانه معينه وحسبه وتعطى المجتمع املا بالفوز والاطمئنان وطريقا الى العزة والنصر ، ومن كان الله ناصرهم ومعينهم فلا يضرهم كيد الكائدين والشياطين لان سنة الله اقتضت ان ينصر الحق على الباطل قال تعالى : " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا "(١) .

ان عناية الله ورعايته تتدخل لنصرة المتوكلين المعتمدين على نصرة الله وتأييده لهم ، وان كانوا قلة فى العدد والعدة بالنسبة لاعدائهم فان الله ناصرهم قال تعالى : " كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ "(٢) وتدخلت ارادة الله لنصرة الفئة المؤمنة القليلة العدد والعدة فى غزوة بدر قال تعالى : " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "(٣) .

والتوكل الحقيقى يجلب الخير الكثير للانسان والمجتمع ويُحدث الاطمئنان النفسي وذلك لان المتوكل على الله مستسلم لقدر الله فى جميع امور حياته وهو يعمل بمقتضى الايمان ، فهو مرتاح الضمير لما يحدث من نتائج ويواجهه من احداث فى هذه الحياة الدنيا .

كما ان التوكل الصادق القائم على الاخلاص يورث الرضا والحب الالهى

---

١) سورة الاسراء اية : ٨١ .
٢) سورة البقرة اية : ٢٤٩
٣) سورة آل عمران اية : ١٢٣

المتوكلين عليه ومن احبه الله ورضى عنه ادخله جنات عدن تجرى من تحتهـا الانـهار (١) ، قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ" (٢) .

المطلب الاول

اثار التوكل في الدنيـا

أولا : على الفرد

لقد رتب القرآن الكريم والسنة النبوية خيرات دنيوية كثيرة على فضيلة التوكل ، فالنجاح فى الدنيا والفلاح فى الاخرة وكل خير يحرص عليه المؤمن فى دنياه منوط بصدق التوكل والاعتماد على الله ، لذلك كانت آثار التوكل ايجابية بالنسبة للفرد سواء فى بناء شخصيته المتوازنة خلقا ودينا ، واحياء قلبـه بالاطمئنان النفسى لما تجرى به المقادير وهذه الاثار هى كالاتى:-

١) احياء القلب :

ان اول اثر من اثار التوكل على الله ، هو احياء قلب المتوكل عليه ونماء ملكة الضمير فى نفسه ، وتوجيهه نحو فعل مافيه الخير ، وترك ما فيـه الشر ، وذلك لان المتوكل على الله يعلم علم اليقين ان الله يسمع ويـرى ولايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء، جاء قوله تعالى : مخاطبا موسـى عليه السلام وأخاه هارون قال تعالى : " اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ، قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ، قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" (٣) .

---

١) انظر موسوعة اخلاق القرآن ،ج:٢ ، ص ٢١٥.
٢) سورة البينة اية : ٨.
٣) سورة طه اية : ٤٣ ، ٤٦.

ولقد سمع الله قول المرآة التى جاءت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زوجها فأنزل الله سبحانه وتعالى : " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ "(١) .

قال صاحب الظلال " فهذا هو الشأن الذى سمع الله مادار فيه من حوار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرأة التى جاءت تجادله فيه ، وهذا هو الشأن الذى انزل فيه حكمه من فوق سبع سموات ، ليعطى هذه المرأة حقها ، ويريح بالها وبال زوجها ويرسم للمسلمين الطريقة فى مثل هذه المشكلة العائلية اليومية "(٢) .

وتقول عائشة رضى الله عنها : " الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت ، ما اسمع ماتقول : فأنزل الله عز وجل "قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله ...الاية("(٣) .

فالمتوكل على الله يعيش هذه الحياة بقلب حى وضمير مرهف حساس لانه يدرك ان يد الله تنقل خطاه ، وعينه ترقب اعماله واقواله ، وتزداد ملكة الضمير عنده كلما قرأ قوله تعالى : " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ "(٤) ومثل قوله تعالى : " وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ "(٥) .

---

١) سورة المجادلة اية : ١ .

٢) فى ظلال القرآن ، مجلد : ٦ ، ص ٣٥٠٥ .

٣) اخرجه البخارى ، ج:٨ ، ك: التوحيد ، باب:٩ ، ص ١٦٧ ، ط(لايوجد) المكتبة الاسلامية استانبول ، تركيا، وج : ١ ، ك: المقدمة ، باب: ١٣ ، ص ٦٧ ، حديث رقم(١٨٨) ومسند احمد ج:٦ ، ص ٤٦ .

٤) سورة ق اية : ١٦ - ١٨ .

٥) سورة الانفطار اية : ١٠ - ١٢ .

٢) الاطمئنان النفسي

ان التوكل على الله يملأ النفس المؤمنة طمأنينة وسكينة واذا اطمأن قلب المؤمن وسكنت نفسه ، شعر ببرد الراحة وحلاوة العقيدة الايمانية ، فلا يتحسر على الماضي باكيا ، ولايلقى الحاضر بجزع ، ولايخاف المستقبل ، ولايعرف الفزع الى قلبه سبيلا ، لانه اخذ بالاسباب وتوكل على الله بعد ان عمل جهده.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن قصة ام مؤمنة اوحى الله اليها ان تلقى بوليدها - فلذة كبدها - وهو رطب طرى في عرض البحر ، ووعدها سبحانه برده اليها فاستجابت لنداء الله ، وصدقت بكلمات ربها ووعده الحق ، فوضعته فى التابوت ثم القته فى اليم ليلقيه اليم بالساحل ليأخذه عدوه المتربص ، كل هذا وقلبها مطمئن لكفاية الله ورعايته لمن آمن به وتوكل عليه[(1)] ، قال تعالى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَاتَخَافِي وَلَاتَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ "[(2)].

ويصور القرآن الكريم الحالة التى وصل اليها فؤاد ام موسى قوله تعالى : " وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ "[(3)] . وكانت النتيجة " فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَاتَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ ، وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ "[(4)].

ويتحقق ايضا الاطمئنان النفسى لدى المتوكل على الله لان التوكل يدعوه

---

١) انظر تفسير البيضاوى ، ص ٥١١.
٢) سورة القصص اية : ٧.
٣) سورة القصص اية ١٠ ، ١١.
٤) سورة القصص اية : ١٣ ، ١٤.

الى الاخذ بالاسباب والقيام بمباشرة الاعمال بنفسه فلا يتكل على غيره وهذا يحقق له الاتى: -

أ) النجاح : مثال ذلك الباحث الذى يحل مشاكل بحثه بنفسه ويجتهد فى البحث فى امهات الكتب عن الكلمات والمسائل التى لايعرفها فيطمئن نفسيا ، ويصل الى غايته فى النهاية من الفوز والنجاح.

ب) اتقان الاعمال : مثال ذلك المزارع الذى يباشر زراعة ارضه بنفسه فيحافظ عليها ولايبخل ببذل الجهد متوكلا على الله فتعطيه اجود الثمار.

ج) سرور النفس : فمن طبيعة الانسان وفطرته ان يسر بعمل نفسه ،ويغتبط بالمال الذى يكسبه من تعب يده اكثر من الذى يرثه لان الاول جاء بتعب وكد وكدح فى هذه الحياة.(١)

وبذلك يتضح ان التوكل عامل اساسى فى تحقيق الطمأنينة النفسية لابناء المجتمع المسلم ، ولهذا وجدنا القرآن الكريم يأمرنا بالتزام هذه الفضيلة بين الحين والاخر اثناء قراءتنا لسوره سواء المكية او المدنية .

٣) القوة والعزيمة

ان من آثار التوكل انه يبعث فى نفس المؤمن القوة والعزيمة والثبات فى طريق الايمان مهما كانت التضحيات وتطاولت السنوات لانه يدرك انه سيفوز باحدى الحسنيين قال تعالى : " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ، قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ "(٢).

والمتوكل على الله يدرك ان القوة الحقيقية ليست قوة البدن وحدها ، وانما

---

١) انظر الخُلق الكامل ، ج: ٤ ، ص ١٩٢.

٢) سورة التوبة اية : ٥١ ، ٥٢.

قوة الروح الايمانية لها الدور الاكبر فى صقل شخصية الفرد، وعلى ذلك يكون معيار القوة ، هو قدرة العبد فى استغنائه بالله عن المخلوقين ، ومن يتوكل على الله فهو اقوى الناس لتحرره من سيطرة الغير ولعلمه ان الله تعالى معه وانه هو المحيي والمميت الخالق البارئ القوى العزيز .

وبهذا التصور الاعتقادى لحقيقة التوكل ، يستطيع المتوكل على الله ان يقف امام اعتى الناس جبروتا ، لانه يشعر بانه اقوى منهم روحا وخلقا ، وان الله معه ، ومادام الله معه فلن يضره كيد العبيد ، ولا يؤثر عليه تعرضه للاضطهاد والمصادرة والحرمان من قبل الطاغوت الحاكم طالما هو متوكل على الله ويعمل من اجل الحق ، فهو يخوض المعركة ضد الباطل والظلم فى اى مكان وهو صلب العود متين البنيان ، لاتلين له قناه ولاتهن له عزيمة(١) .

قال تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ "(٢) . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله "(٣) .

٤) الشجاعة والاقدام:

ان التوكل الصادق يبعث فى النفس المؤمنة روح الشجاعة والاقدام ، وعدم الخوف من الموت والرغبة فى الاستشهاد من اجل اعلاء كلمة الاسلام ، فالحياة بيد الله يمنحها لمن يشاء من عباده ، لذلك لايخاف المتوكل من الاصنام البشرية والاوثان التى تنسج حولها التقاليد والاوهام ولايرهب المتألهين من البشر ، الذين تذل لهم الاعناق مهما كان جبروتهم وسطوتهم ، لانهم فى

---

١) انظر الثقافة الاسلامية فى ضوء الكتاب والسنة ، ص ٢٣ .

٢) سورة آل عمران ، اية : ١٥٩ .

٣) جمع الجوامع او الجامع الكبير للسيوطى ، ج:١ ، ص ٧٨٣ ، عن ابن ابى الدنيا ، ط(لايوجد) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، واخرجه ابن ابى الدنيا فى ك: التوكل على الله ، ص ٢٥ تحقيق وتعليق مجدى السيد وايضا كنز العمال ، ج:٣ ، باب: التوكل ، ص ١٠١ ، حديث (٥٦٨٦) ، ط (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) مؤسسة الرسالة .

اعتقاده لايملكون شيئا الا باذنه تبارك وتعالى ، فالجبن لايزيد من العمر والاقدام لاينقص منه شيئا قال تعالى : " وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا " (١) . وقوله تعالى : " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ " (٢) .

وبهذه الايات وغيرها ، يتم للمؤمن اليقين القاطع ، بانه يأوى الى ركن شديد ويسير على الطريق السديد ويصدق توكله وتخلص عزيمته فيتقدم الى الامام مطمئن البال يسعى متواصل وعمل دؤوب ، لايحجم اذا تعسرت عليه الاسباب وغالبته العوائق ، لعلمه بان الله وليه فى الدنيا والاخرة ، فلا يبالى بالذين يضعون السدود والحواجز من امامه ليصدوه عن سبيل الله ، ولايفتننه منهم اغراء ولايستخفه استرهاب ، لانه يتمسك بحبل الله المتين الذى لايبلى وبالتالى يندفع للاقدام والمجاهدة بقوة تعاند العوائق وتقتحم العقبات (٣) .

ولنا فى هود عليه السلام الاسوة الحسنة حيث جابه قومه بدون خوف او وجل من قوتهم لوثوقه بربه وتوكله عليه ، فقال لهم فكيدونى جميعا انتم والهتكم ان كانت كما تزعمون ، أنّ لها القدرة على الاضرار بى ، فانها لاتستطيع ان تفعل شيئا به وبمن آمن معه لانهم توكلوا على الله العزيز الحكيم (٤) ، قال تعالى : " قَالُوا يَا هُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ، إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ، قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَاتُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٥) .

---

١) سورة آل عمران اية : ١٤٥ .
٢) سورة النساء اية : ٧٨ .
٣) انظر الايمان واثره فى حياة الانسان ، ص(٤٠-٤٥)، ط:٢ ، منشورات العصر الحديث.
٤) انظر تفسير فتح القدير ، مجلد :٢ ، ص ٥٠٥ ، وايضا انظر الطبرى ، مجلد : ٧ ، ج: ١٢ ، ص ٣٧ .
٥) سورة هود اية : ٥٣ - ٥٦ .

وحينما ادرك المسلمون الاوائل حقيقة التوكل فاعتمدوا على الله وحده في جميع امور حياتهم ، انطلقوا بقوة ايمانية عظيمة ، يفتحون البلاد شرقا وغربا وهزموا اعظم امبرطوريتين في ذلك الوقت ، الفرس والرومان ، وتوسعت بلاد الاسلام في اقل من مائة عام.

٥) التواضع:

كما ان التوكل على الله يبعث في النفس الشجاعة والاقدام فهو ايضا يبعث على التواضع والرحمة بخفض الجناح للمؤمنين ، قال تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واستغفر لهم وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(١).

ومن آثار التوكل الصحيح ان يتواضع المسلم لاخوته المسلمين لقوله تعالى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ "(٢) ولقوله تعالى : " فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى "(٣).

ولنا في رسول الله اسوة حسنة حيث كان القدوة في تواضعه مع المؤمنين ومع اهل بيته ، حيث جاء في الحديث الشريف عن الاسود بن يزيد قال : سئلت عائشة رضي الله عنها ، ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت: كان يكون في مهنة اهله - يعني خدمة اهله - فاذا حضرت الصلاة ، خرج الى الصلاة "(٤).

وكان صلى الله عليه متواضعا في عمله قبل الرسالة ، قال ابو هريرة رضي

---

١) سورة آل عمران اية : ١٥٩.
٢) سورة الحجرات اية : ١٣.
٣) سورة النجم اية : ٣٢.
٤) اخرجه البخاري ، واخرجه الامام احمد في مسنده ، مجلد :٦ ، ص ٤٩ ، ١٢٦ ، ٢٠٦.

الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ما بعث الله نبياً الا رعى الغنم؟ قال اصحابه : وانت ؟ فقال : نعم كنت ارعاها على قراريط لأهل مكة "[(١)] .

وبالمقابل نهى الاسلام عن التكبر والخيلاء قال تعالى : " وَلَاتُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَاتَمْشِ فِى الْاَرْضِ مَرَحًا اِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ "[(٢)] .

وجاء فى الحديث الشريف عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاينظر الله يوم القيامة الى من جرّ ازاره بطرا "[(٣)] .

٦) <u>القدرة على الشيطان</u> :

ان التوكل على الله يمنح المؤمن من القوة مايستطيع ان يقهر سلطان الشيطان قال تعالى : " اِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "[(٤)] وقوله تعالى : " اِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً "[(٥)] .

قال بعض المفسرين ، ان نفى سلطان الشيطان مشروط بامرين هما :

أ) الايمان : حيث ذكر (الذين آمنوا) وذكر (ان عبادى) فنسبهم اليه دليل ايمانهم بالله ، وهذا يعنى أن الايمان مبدأ اساسى لتوهين سلطان الشيطان فى نفس المؤمن .

ب) التوكل : فاذا انضم الى الايمان التوكل على الله ، اندفع سلطان الشيطان ولم يكن له من سبيل على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون "[(٦)] .

وبهذا يثبت انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

---

١) اخرجه البخارى فى صحيحه ، ج:٢ ، ص ٣٣ ، باب : رعى الغنم على قراريط ،ط(لايوجد) دار احياء الكتب العربية ، واخرجه ابن ماجة ، ج:٢ ، ك: التجارات ، باب : الصناعات ، ص ٧٢٧، حديث رقم ٢١٤٩ .

٢) سورة لقمان اية : ١٨ .

٣) إخرجه البخارى ،ج: ٧ ،ك: اللباس ،باب: من جر ثوبه من الخيلاء ،ص ١٤١ ،ط١(١٣٢٠هـ) المطبعة الخيرية ،واخرجه مسلم ،ج: ٣ ،ك: اللباس والزينة ،باب: تحريم جر الثوب خيلاء ، حديث رقم(٢٠٨٥) بنحوه ، واخرجه الترمذى ،ج: ٤ ،ك: اللباس ،باب: ماجاء فى كراهية جر الازار ، ص ٢٢٣ ، حديث رقم (١٧٣٠) .

٤) سورة النحل اية : ٩٩ .

٥) سورة الاسراء اية : ٦٥ .

٦) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج: ١٤ ، ص ٢٧٨ .

وربما يقول البعض في تفسير قوله تعالى : " إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ "(١) ، فهذه الاية تثبت ان له سلطاناً على الذين يتولونه فكيف نوفق بينها وبين قوله تعالى : " وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي "(٢) ، وقوله تعالى : " وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ "(٣) .

الجواب من وجهين :

أ) ان السلطان الثابت للشيطان عليهم ، هو سلطان تمكنه منهم ، وتلاعبه بهم ، لانهم مكنوه من انفسهم وذلك بطاعتهم له وموالاتهم له ، والسلطان الذى نفاه في الايات الثانية هو سلطان الحجة ، حيث لم يكن لابليس عليهم من حجة يتسلط بها عليهم غير انه دعاهم فاستجابوا له بدون دليل ولا حجة ولا برهان.

ب) ان الله لم يجعل له عليهم سلطانا البتة يوم ان خلقهم حيث ولدوا مؤمنين بالله على الفطرة كما علمنا سابقا بانه ليست له سلطان على الذين امنوا ولكنهم سلّطوه فيما بعد على انفسهم بطاعته ودخولهم في حزبه جنودا له ، فهو لم يتسلط عليهم بقوته فان كيده ضعيف وانما تسلط عليهم باختيارهم ومحض ارادتهم(٤) .

وجاء عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " اذا خرج الرجل من باب بيته كان معه ملكان موكلان به فاذا قال بسم الله ، قالا : هديت ، واذا قال : لاحول ولاقوة الا بالله ، قالا : وقيت ، واذا قال :

---

١) سورة النحل اية : ١٠٠

٢) سورة ابراهيم اية : ٢٢.

٣) سورة سبأ اية : ٢١.

٤) انظر التفسير القيم للامام ابن القيم ، ص ٣٤٣ ، ط(١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م).

توكلت على الله ، قالا : كفيت ، قال : فيلقاه قريناه فيقولان : ماذا تريد من رجل هدى وكفى ووقى "[١] .

وهكذا يستطيع الانسان الانتصار على الشيطان بالاستعانة بالله والتوكل عليه .

٧) الاطمئنان على الرزق :

ان من آثار التوكل على الله ، ان يجلب الطمأنينة على الرزق عند المتوكل لانه يعتقد ان الله تبارك وتعالى هو الرازق ، وانه تكفل به للعباد ، بشرط ان يسعوا فى طلب تحصيله بالطرق المشروعة ، قال تعالى : " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ "[٢]

ولما كان الانسان حريصا على الرزق ، فقد اقسم الله سبحانه بذاته العلية ان هذا الرزق مضمون اذا تحرك الانسان لكسبه بالطرق المشروعة ، قال تعالى: " وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ "[٣] .

والمتوكل على الله اكثر الناس اطمئنانا على رزقه فهو يؤمن ان الله لن يهلكه جوعا ولقد كان المؤمن يذهب الى ميدان الجهاد متوكلا على الله راجيا الشهادة فى سبيل الله ، وخلفه ذرية ضعاف لايخاف عليهم الجوع لانه يؤمن انه تاركهم لمن هو ابر بهم منه ، تاركهم الى الرزاق واهب النعم ، الذى لاينسى احدا من فضله ، قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ "[٤] .

ثانيا : على المجتمع:

ان للتوكل الاثار الكبيرة الطيبة فى حياة المجتمع المسلم من حيث كفاية الله ورعايته للمجتمع باسره ، وضمان النصرة والعون لهم على اعدائهم ومحبته تبارك

---

١) سنن ابن ماجة ، مجلد : ٢ ، باب : ١٨ ، ص ١٢٧٨ ، حديث رقم (٣٨٨٥) .
٢) سورة هود اية : ٦ .
٣) سورة الذاريات اية : ٢٢ ، ٢٣
٤) سورة الذاريات اية : ٥٨ .

وتعالى لهم ، لانهم توكلوا على الله واحتكموا الى كتاب الله وجاهدوا في سبيل الله ولاعلاء كلمة الله في كل مكان ، وسنتناول بالشرح المقتضب كل اثر من هذه الاثار وهى كالتالى :-

١) محبة الله لهم:

ان الله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين كما انه يحب المتوكلين وهذه الخصال يمتاز بها ابناء المجتمع المسلم قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(١) ، وتحققت محبة الله لهم لانهم توكلوا على حوله وقوته وعملوا بمقتضى سننه ، ومن احبهم الله عصمهم من الاغترار باستعدادهم والركون الى قوتهم وعدتهم وعتادهم ٠

واذا احب الله عباده المؤمنين المتوكلين عليه ، فانهم غالبون باذن الله في هذه الحياة ، لانهم اذا بطشوا يبطشون بيد الحق تبارك وتعالى (٢) ٠

مصداقا للحديث القدسى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله تعالى قال : من عَادَى لى وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدى بشىء أَحَبّ الىّ مما افترضته عليه ولايزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أُحِبَّه ، فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه "(٣) ٠

٢) كفاية الله وعنايته بهم:

ان لفضيلة التوكل من الاثار العظيمة على المؤمنين اذا صدقوا في توكلهم على الله فانهم بالتوكل يستطيعون دفع مالايطاق من الاذى والظلم والعدوان

---

١) سورة آل عمران اية : ١٥٩٠

٢) انظر تفسير المنار ، ج:٤ ، ص ٢٠٥ ، وايضا انظر احياء علوم الدين ، ج:٤ ، ص ٢٣٨ ، وايضا انظر موسوعة اخلاق القرآن ، ج:٢ ، ص ٢١٩٠

٣) اخرجه البخارى في الصحيح فتح البارى ، ج:١١ ، ك:الرقاق ، باب : التواضع ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، حديث رقم (٦٥٠٢)٠

لان الله حسبهم اى كافيهم وواقيهم،ومن كان الله كافيه وواقيه فلا يضره كيد الكائدين وحقد الحاقدين من اعداء هذا الدين ٠

قال بعض السلف : " جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده ، فقال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " (١) ٠ ولم يقل نؤتيه كذا من الاجر وكذا ، كما قال فى الاعمال الاخرى بل جعل نفسه سبحانه كافى لعباده المتوكلين وحسبهم وواقيهم فى هذه الحياة ٠

فلو توكل المجتمع على الله حق توكله ، وكادته السموات والارض ومن فيهن لجعل الله له مخرجا وكفى اهله ، ونصرهم باذنه تعالى (٢) ٠

وقال اهل التفسير فى سبب نزول الاية السابقة انها نزلت فى عوف ابن مالك الاشجعى حيث اسر العدو ابنا له فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة ، فقال له : " اتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله ، ففعل الرجل ذلك ، فبينما هو فى بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب إبلاً وجاء بها الى ابيه (٣) ، فهذه كانت من ثمار التوكل على الله ٠

وقال صاحب الكشاف فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل ، غفل عنها العدو فاستاقها (٤) فذلك قوله :"وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (٥)

فاذا اتقى المجتمع باسره الله،وآثر الحلال والصبر وتوكل على الله فان الله

---

١) سورة الطلاق اية : ٠٣

٢) انظر التفسير القيم لابن القيم ، ص ٥٨٧٠

٣) انظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد :١٥ ، ج:٣ ، ص ٣٤ وايضا انظر تفسير زاد المسير ج:٨ ، ص ٢٩١٠

٤) انظر تفسير الكشاف ، ج:٤ ، ص ١٠٩ ، ١١٠٠

٥) سورة الطلاق اية : ٠٣

يفتح عليهم ويخرجهم من كل ضيق ٠

٣) ضمان النصرة والعون لهم:

لقد شهد التاريخ منذ زمن بعيد ان المؤمنين العاملين بالايمان المتوكلين على الله هم المنصورون على اعدائهم فى كثير من المعارك وان ابطأ النصر عليهم فى بعض المواقف فهو تمحيص واختبار لهم والعاقبة فى نهاية المطاف لهم باذن الله٠

وان اعداء الله مهما زاد عددهم وقويت شوكتهم على اولياء الله ، فانهم يُهزمون لامحالة امام المؤمنين المتوكلين على الله (١) ، قال تعالى : " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ " (٢) ٠

فنوح عليه السلام حينما تحدى قومه بقوة العقيدة والايمان وتوكله على الله أنجاه الله ومن معه فى الفلك ، واغرق القوم الكافرين بالطوفان ، قال تعالى: " فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ " (٣) ٠

وفرعون الذى تجبّر فى الارض بغير الحق وظن انه قادر على كل شئ حتى قال انا ربكم الاعلى ، كانت نهايته الغرق فى اليم ، ونجاة موسى عليه السلام والفئة المؤمنة ، قال تعالى : " وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " (٤) ٠

ولقد نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حينما كان طريداً لاهل مكة فاختفى

---

١) انظر جامع الرسائل لابن تيميه ، المجموعة الاولى ، ص: ٩٤ ، ط: (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) مطبعة المدنى ، القاهرة٠

٢) سورة الروم اية : ٤٧٠

٣) سورة يونس اية : ٧٣٠

٤) سورة يونس اية : ٩٠ ، ٩١٠

مع صاحبه ابى بكر فى غار ثور ، وكانت قريش تبحث عنهما وتختـــرق لفقدهما وتغرى من يأتى بهما حيين او ميتين بأموال كثيرة حتى ان وصلوا الى الغار ، اعمى الله ابصارهم وذلل قوى الطبيعة لتموه فم الغار ، فلـــم يصلوا اليهم باذن الله تبارك وتعالى (١) وجاء القرآن الكريم مصورا هذا الحدث العظيم فى تاريخ الاسلام والمسلمين ، بقوله تعالى : " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (٢) .

ولقد انتصر المؤمنون فى بدر مع انهم كانوا قلة فى العدد والعـــدة بالنسبة للمشركين وذلك بفضل الله وقوة الايمان والتوكل على الله ، فاستغاثوا الله ربهم فاغاثهم ، قال تعالى : " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ" (٣) .

قال صاحب الظلال :" ان موقعة بدر بظروفها التى صاحبتها تحمل بينـــة ودلالة لاتنكر على ان تدبيرا خفيا وراء تدبير البشر ، وعلى قوة وراءهـــا غير قوة البشر تثبت ان لهذا الدين ربا يتولى اصحابه متى اخلصوا لـــه وتوكلوا عليه وجاهدوا فى سبيله " (٤) .

ونصر الله المؤمنين فى غزوة الاحزاب التى تجمّع فيها الأعداء على رســـول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من كل حدب وصوب وحاصروا المدينـــة حصارا مريعا حتى بلغت القلوب الحناجر جاء نصر الله للمؤمنين ، قال اللــه

---

١) انظر تفسير البيضاوى ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
٢) سورة التوبة اية : ٤٠
٣) سورة الانفال اية : ٩ .
٤) فى ظلال القرآن ، مجلد : ٣ ، ص ١٥٣٢ .

تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا" (١) .

ويوم حنين اغتر المؤمنون بكثرتهم مما ادى الى نقص فى توكلهم على الله ، فأذاقهم شيئا من الهزيمة ومرارتها ليعطيهم درسا يعيدهم فيه الى جنابه ، وحقيقة الاعتماد والتوكل عليه ، قال تعالى : " لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ" (٢) .

٤) الجهاد

ان التوكل على الله يعطى شحنة نفسية تغمر ابناء المجتمع المسلم بروح الجهاد وتملؤهم بروح التحدى والاصرار وتشحذ فيهم العزم الصارم والارادة القوية الشماء .

وبالجهاد تحيا الامة ، وهو الذى يحقق لها عزتها وكرامتها وكلما كانت الامة متوكلة على الله عرفت عظمة الجهاد ، وسارت فى طريقه لتحرير البلاد والعباد ، قال تعالى : " وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ" (٣) .

والجهاد هو الفريضة الماضية الى يوم القيامة ، واول مراتبه انكار القلب واعلاها القتال فى سبيل الله ويتخللها جهاد اللسان والقلم ، جاء فى الحديث الشريف عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله

---

١) سورة الاحزاب اية : ٩ .
٢) سورة التوبة اية: ٢٥ ، ٢٦ .
٣) سورة الحج اية : ٧٨ .

عليه وسلم يقول : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان "[١] .

ويقصص القرآن الكريم اثار التوكل فى بث الروح الجهادية فى نفوس الانبياء المرسلين الذين هم الاسوة الحسنة لنا فى هذه الحياة والذين ينبغى ان نقتفى آثرهم ونسير على دربهم حتى نصل الى ما وصلوا اليه من الاخلاق الفاضلة فى جميع مجالات الحياة .

فنبىّ الله هود عليه السلام ، فى جهاده لاصلاح قومه " عاداً " يجد فى التوكل حصنا حصينا يلجأ اليه حيث جاء حكاية على لسان هود عليه السلام قوله تعالى : " إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَامِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ "[٢] .

ونبى الله شعيب عليه السلام يجاهد قومه ويصبر ويصابر متوكلا على الله قال تعالى : " قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "[٣] .

ونبى الله موسى عليه السلام جاهد فرعون وقومه وتميز بالفئة المؤمنة معه عن معسكر الفراعنة كان متوكلا على الله وكان يأمر من آمن معه بالتوكل ، قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُّسْلِمِينَ ، فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "[٤] .

---

١) متفق عليه ، واخرجه ابوداود ايضا ، ج: ٢ ، ك: الملاحم ، باب : الامر والنهى ، ص٤٣٧ ، ط: ١ (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) طبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر .

٢) سورة هود اية : ٥٦ .

٣) سورة هود اية : ٨٨

٤) سورة يونس اية : ٨٤ - ٨٦ .

ونبى الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام جاهد قومه وحطم اصنامهم لم يخش في الله لومة لائم فقالوا حرقوه وانصروا الهتكم فقال عليه السلام كلمته المشهورة حسبى الله ونعم الوكيل ، وكذلك قالها محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه حينما قالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ٠

جاء في الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : " حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل "(١) ٠

المطلب الثاني

آثار التوكل في الاخرة

التوكل يعنى الرجوع الكامل الى الله عز وجل والاعتماد عليه والاخلاص له فى كل امر وفعل والاحتكام الى منهجه الكريم فى جميع مجالات الحياة سواء فى المجال السياسى او الاخلاقى او الاجتماعى او الاقتصادى ٠

واذا ظهرت آثار التوكل على الفرد والمجتمع فانه سيورث الرضا الالهى ومن رضى الله عنه واحبه فانه سيفوز بالفوز الاكبر ، ويدخل الجنة باذن الله بغير حساب ، وذلك جزاء المتوكلين العاملين بمقتضى الايمان فى هذه الحياة٠

ومن توكل على الله ورضى به ربا حكما مشرعا وهاديا ووليا ونصيرا ، فان الله سيرضى عنه ، ولقد اعد الله لمن رضى عنهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار٠

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ، جَزَاؤُهُمْ

---

١) سبق تخريجه فى هذا الفصل ، ص ١٥٥٠

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّـــهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ "(١).

واعد الله للمتوكلين الصابرين الذين يعملون الصالحات غرفا تجرى من تحتها الانهار ، قال تعالى : " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَــى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٢).

وهذا الاجر الكريم الذى اعده الله للمتوكلين لهو حافز قوى يدفع المؤمـــن الى العمل الصالح والصبر والمصابرة فى الطريق الايمانى مهما واجهه من شدائد ومصاعب ثقال،فما عليه الا ان يعمل ويتوكل على الله واذا اصابه البلاء بالطرد والحرمان من العيش فى وطنه فانه سيكون له فى الارض سعة ، واذا فارق بيتـــه شهيدا فان الله سيرزقه غرفا فى الجنة خيرا (٣).

واخبر القرآن الكريم ان هذه الحياة الدنيا ومافيها من الخيرات ماهى الا متاع الغرور لان نعيمها زائل ، قال تعالى : " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِـــبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّـــارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِـــرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ "(٤).

وان ما اعده الله فى الاخرة للمؤمنين المتوكلين عليه هو خير وابقى لان متاع الحياة الدنيا ذاهب الى زوال وفناء وان الحياة الباقية هى حياة الاخـــرة

---

١) سورة البينة اية : ٧ ، ٨.

٢) سورة العنكبوت اية : ٥٨ ، ٥٩.

٣) انظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٥ ، ص ٢٧٤٩.

٤) سورة الحديد اية : ٢٠.

وان مافيها من النعيم هو خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ، قال تعالى : " فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(١) .

وجاء قوله تعالى : " وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ "(٢) . وتوقف الجزاء والانقلاب بالنعمة على قولهم : (حسبنا الله ونعم الوكيل) حيث ان حرف الفاء في الفعل (فانقلبوا) يفيد الترتيب والتعقيب والسبب فدل ذلك على ان التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة الله وفضله وانه جزاء على ذلك العمل مما يدلل على ان التوكل يجلب الخير الوفير في الدنيا والاخرة للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون "(٣) .

وَبَشَّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين من امته بان لهم فضلاً كبيراً ومكانة عظيمة ألا وهي دخولهم الجنة بغير حساب وروى في ذلك ان ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عرضت عليّ الامم فجعل النبي والنبيان يمرون ومعهم الرهط والنبي ليس معه احد حتى رفع لي سواد عظيم قلت : ماهذا ؟ امتي هذه ، قيل : هذا موسى وقومه ، قيل : انظر الى الافق فاذا سواد يملأ الافق ثم قيل لي انظر هاهنا وهاهنا في آفاق السماء فاذا سواد قد ملأ الافق قيل : هذه امتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون الفا بغير حساب ، ثم دخل ولم يبين لهم فافاض القوم وقالوا : نحن الذين امنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم او اولادنا الذين ولدوا في

---

١) سورة الشورى اية : ٣٦ .
٢) سورة آل عمران اية : ١٧٣ ، ١٧٤ .
٣) انظر جامع الرسائل لابن تيمية ، ص ٩٠ ، تحقيق محمد سالم ، ط:١ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) مطبعة المدني القاهرة .

الاسلام فانا ولدنا فى الجاهلية ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فخـــرج فقال هم الذين لايسترقون ولايتطيرون ولاكتون وعلى ربهم يتوكلون ، فقـــال عكاشة بن محصن امنهم انا يارسول الله فقال : نعم فقام اخر فقال امنهـــم انا قال سبقك عكاشة (١) .

---

(١) متفق عليه ، اخرجه البخارى ، ج:٧ ،ك:الطب ، باب : من اكتوى او كوى غيره ، وفضل من لم يكتو ، ص ١٣٦ ، ط:١(١٣٢٠هـ) ، ومسلم فى صحيحه ، ج:١ ، ك:الايمان باب :الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، حديث (٣٧٤) واخرجه الدارمى ، ج:٢ ، ك: الرقاق ، باب : يدخل الجنة سبعون الفا من امتى بغير حساب ، ص ٢٣٥ ، حديث رقم (٢٨١٠) ، ط(١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) بالمدينة المنورة ، واخرجه الامام احمد فى المسند ، ج:٢ ، ص ٣٠٢ .

الفصـــل الرابـــع

نماذج من اهل التوكل فى القرآن الكريم

الفصل الرابـــــع

نماذج من أهل التوكل فى القرآن الكريم

مقدمة الفصـــــل:

المبحث الاول : مواصفات الانبياء وتوكلهم

المطلب الاول : مواصفات الانبياء

المطلب الثانى: الانبياء قدوة للبشر

المطلب الثالث : توكل الانبياء

المبحث الثانى : نماذج من الانبياء فى توكلهم على الله

١) نوح عليه السلام
٢) هود عليه السلام
٣) ابراهيم عليه السلام
٤) يعقوب عليه السلام
٥) يوسف عليه السلام
٦) شعيب عليه السلام
٧) موسى عليه السلام
٨) يونس عليه السلام
٩) محمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الرابع

نماذج من اهل التوكل في القرآن الكريم

مقدمة

ان تاريخ الانبياء والمرسلين يُعتبر افضل تاريخ عرفته البشرية فى عمرها الطويل المديد ، لان حياتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين مليئة بالصبر والمصابرة والمثابرة والدعوة الى الله والجهاد فى سبيله فهى حياة دعوة الى الحق، وارشاد الى النور، وهداية الى حقيقة الاسلام ، فحياتهم نبراسٌ يضئ للاجيال طريقها نحو العزة والكرامة والنضال والجهاد لتحرير الانسان كل الانسان من العبودية لغير الله الى عبادة الله الواحد القهار ، فى ظل مجتمع الاسلام الذى يحتكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

حقا ان تاريخهم مُشرّف من جميع جوانب الحياة ، لانه ملئ بالوان الصبر والشجاعة الفذة والتصميم على ابلاغ ماكُلِّفُوا به من الشرائع السماوية الطاهرة ، فكانوا حجة على الناس الى يوم القيامة ، قال تعالى : " رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً "(١) .

وكان زادهم فى الطريق ، الايمان القوى الراسخ والاستسلام لقدر الله والتوكل الكامل عليه فى جميع امور حياتهم ، فكانوا بحق اصحاب عزائم قوية وهمم عالية، إستطاعوا ان يحققوا ما يعجز عنه الاقوياء من الرجال فكانوا قدوة للاجيال الى يوم القيامة ، واهلا لتسلم قيادة الامم والشعوب لما امتازوا به من الصفات الخلقية الحميدة ، كالامانة والصدق والتبليغ والفطانة والعصمة والسلامة من العيوب .

والبشرية اليوم فى امس الحاجة الى قائد ربانى يبعث فيها روح الاسلام

---

١) سورة النساء ، اية : ١٦٥ .

ويسير بها فى خط الانبياء والمرسلين لينقذها من حياة التيه والتخبط والاضطراب والجاهلية الآسنة التى أفسدت حياة الامم والشعوب فى ظل غياب الحكم الاسلامى عن مسرح الحياة والبعد عن منهج الانبياء والمرسلين ، فإلى متى سنظل بهذه الصورة وبهذا البعد والجفاء عن حقيقة وجوهر الاسلام ؟ !

لابد من عودة صادقة الى الله ، تتمثل فى دراسة سير الانبياء والمرسلين دراسة تطبيقية عملية ، لان سيرتهم هى الثمرة العملية للقرآن الكريم ، الذى يقص علينا سيرة الكثير منهم صلوات الله عليهم اجمعين مع اقوامهم ، لنتخذهم القدوة الحسنة لنا فى هذه الحياة ، قال تعالى : " وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ "(١) .

المبحث الاول

مواصفات الانبياء وتوكلهم

وينقسم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب اساسية وهى كالتالى :

المطلب الاول

مواصفات الانبياء

ان القرآن الكريم حين يتحدث عن الانبياء الكرام يصفهم باسمى الصفات العالية دون ان يخرجهم عن حدود الطاقة البشرية ، فيصفهم تارة بالطاعة والانابة واخرى بالتوكل على الله ، وتارة بالتضحية والايثار ، وفى بعض المواطن بالصدق والامانة والاخلاص ، والايات القرآنية التى تتحدث عن ذلك كثيرة فلنستمع الى البعض منها وهى تتحدث عن جماعة من الانبياء المكرمين ، قال تعالى : " وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى

---

١) سورة النحل اية : ٠٣٦

الدَّارِ ، وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ، وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ "(١).

وان الانبياء من البشر يأكلون ويشربون ويصحون ويمرضون وينكحون النساء ويمشون فى الاسواق، قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيأكلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ "(٢). واستغرب المشركون ان يكون الرسول بشرا قال تعالى : " وَمَامَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً "(٣). وجاء حكاية على لسانهم قوله تعالى : " قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا "(٤). وأن الله سبحانه وتعالى بعثهم رحمة بالناس يتكلمون بالسنتهم ليبينوا لهم الهدى قال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "(٥). ويعتريهم من العوارض البشرية ما يعترى البشر من ضعف وشيخوخة ومرض وموت ، قال تعالى :: حكاية عن زوجة ابراهيم عليه السلام"قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ "(٦). وبيّن القرآن الكريم ان زكريا عليه السلام اصابه الضعف نتيجة الكِبَر واشتعل رأسه بياضا(٧)، قال تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً "(٨).

ومع ذلك الا انهم صلوات الله عليهم يتصفون بصفات عظيمة وجليلة ويمتازون بخصائص تتمثل فى الاتى :-

١) الصدق:

وان كان الصدق ضرورياً للبشر فى حياتهم فهو بالنسبة للانبياء صفة لازمة،

---

١) سورة ص اية : ٤٥ ، ٤٨.
٢) سورة الفرقان اية : ٢٠
٣) سورة الاسراء اية : ٩٤
٤) سورة ابراهيم اية : ١٠
٥) سورة ابراهيم اية : ٤
٦) سورة هود اية : ٧٢.
٧) انظر تفسير البيضاوى ص ٤٠٢ ، ٤٠٣.
٨) سورة مريم اية : ٤.

بل من الصفات الفطرية فيهم ، لانهم أُمناء على اعظم امانة وهى تبليغ رسالات الله الى الناس ، فلو جاز وقوع الكذب من الانبياء لما اصبح هناك ثقة فيما يخبرونه عن الوحى لذلك كانت فضيلة الصدق ملازمة لهم ، حيث جاء قوله تعالى فى ابراهيم عليه السلام : " وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا "(١) . وعن ادريس جاء قوله تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا "(٢) ، وجاء فى حق اسماعيل عليه السلام قوله تعالى : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا "(٣) .

ويتحدث القرآن باسلوب التهديد والترهيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ "(٤) .والمعنى انه صادق بار راشد وان الله عز وجل مؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات ومؤتمن على تبليغ الرسالة وقام بها على اكمل وجه (٥) .

٢) <u>الامانـة:</u>

ان الانبياء جميعا يتصفون بالامانة،وهى خلق رفيع من اخلاقهم ودعوا الناس لالتزامها فى هذه الحياة،فجميعهم بلّغ ما انزل الله بصدق وامانة دون ان ينقص منه شيئا ، وكان كل نبى بمثابة الناصح الامين لقومه ، قال تعالى : " وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ "(٦) . اى وما محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب وما انزل اليه من الوحى بمتهم بل هو صادق امين (٧) .

وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بين قومه بالصادق الامين حتى قبل نزول الرسالة عليه فحينما حكّموه فى رفع الحجر الاسود قالوا: هذا الامين قد رضينا

---

١) سورة مريم اية : ٤١ .
٢) سورة مريم اية : ٥٦ .
٣) سورة مريم اية : ٥٤
٤) سورة الحاقة اية : ٤٤ - ٤٨ .
٥) انظر تفسير ابن كثير ،ج: ٤،ص٤١٧ .
٦) سورة التكوير اية : ٢٤ .
٧) انظر تفسير البيضاوى،ص ٧٨٧ .

به حكما [١] .

٣) التبليغ :

المقصود من التبليغ ان يبلغ الرسل احكام الله الى الناس دون نقص او زيادة حتى لو كان فى التبليغ سيلحقهم الاذى من المشركين ، فكل من الانبياء قام بهذه المهمة على اكمل وجه ، وبلّغوا الرسالات الى اقوامهم ، فجاء حكاية عن شعيب عليه السلام قوله تعالى : " فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ " [٢] . وكذلك جميع الانبياء خاطبوا اقوامهم ودعوهم الى الاسلام بنفس المنطق الذى خاطب فيه شعيب عليه السلام قومه .

وكذلك رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بلغ دعوة ربه الى بطون قريش ، حينما نزل عليه قوله تعالى : " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " [٣] وقوله تعالى : " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ " [٤] . وبعد نزول هذه الايات مباشرة ، صعد على الصفا فجعل ينادى : يابنى فهر ، يابنى عدى ، حتى اجتمعوا ، فجعل الذى لم يستطع ان يخرج ، يرسل رسولا ولينظر ماهو ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم صدقى ؟قالوا : ماجربنا عليك كذبا ، قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال ابو لهب : تبا لك سائر اليوم .. ألهذا جمعتنا ؟ فنزل قوله تعالى : " تبت يدا ابى لهب وتب " [٥] . كما انه صلى الله عليه وسلم بَلَّغَ دعوة ربه الى الناس جميعا ، ببعث الكتب الى الملوك والامراء فى خارج الجزيرة العربية وارسل فى ذلك السرايا والجيوش لنشر دعوة الاسلام ، وآمن معه عدد من اهل الكتاب فدخلوا فى الاسلام ، قال تعالى : " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَاجَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَانَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ

---

١) انظر إمتاع الاسماع للمقريزى ، تصحيح وشرح محمود شاكر ، ج:١ ، ص ١١ ، ط:٢ . الشؤون الدينية بدولة قطر .
٢) سورة الاعراف اية : ٩٣.
٣) سورة الشعراء اية : ٢١٤.
٤) سورة الحجر اية : ٩٤.
٥) انظر فقه السيرة للبوطى ، ص ١٠٠ ، ط:٢(١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) دار الفكر .

بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(١) .

وهكذا جميع الرسل بلغوا رسالات ربهم ونصحوا اقوامهم حتى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم بلغ دعوة ربه عملا بقول الله تبارك وتعالى : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ "(٢) .

٤) الفطانة:

ويقصد بها الذكاء والنباهة ، فجميع الانبياء كانوا على قدر عظيم من النباهة والذكاء الخارق مع كمال العقل والرشد ، فجاء فى وصف ابراهيم عليه السلام قوله تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ "(٣) .

ولقد حاجج عليه السلام، الطاغية "النمرود " الذى نازع الله فى ملكه، وزعم بالباطل انه إله، وانه الرب المعبود، كيف استطاع ابراهيم عليه السلام بنبوغه وذكائه ان يدحض حجج هذا الطاغية العنيد قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ، رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "(٤) .

ولو نظرنا لجميع الانبياء لوجدناهم على قدر كبير من الذكاء والفطنة والنباهة ويظهر ذلك من محاججتهم لاقوامهم .

ولقد تحدث الصابونى كلاما طيبا فى ذلك فقال : " واذا كان البشر يعتريهم النقص ، وتضعف قواهم العقلية ، وربما وصل البعض منهم الى حالة

---

١) سورة المائدة ، اية : ١٩.

٢) سورة المائدة ، اية : ٦٧.

٣) سورة الانبياء اية : ٥١.

٤) سورة البقرة اية : ٢٥٨.

" الْخَرَفْ" عند بلوغ سن الشيخوخة .. فان الانبياء الكرام يظلون فى القمة العليا من رجاحة العقل وقوة التفكير ، مهما امتدت اعمارهم ، لان الله تعالى قد احاطهم بعنايته وحفظهم برعايته ولايمكن ان تضعف حواسهم الفكرية وتتعطل مواهبهم العقلية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "(١) .

٥) العصمة:

اقتضت حكمة الله ان يكون الانبياء فى عصمة ومنعة من الوقوع فى الذنوب ، والمعاصى وارتكاب المنكرات والمحرمات ، فالعصمة ثابتة لهم وهى من صفاتهم التى اكرمهم الله بها ، ليكونوا قدوة حسنة للبشر جميعا ، ومثلا يهتدى بهديهم وسيرتهم ، وسننهم ماهى الا مصابيح تركوها بعد وفاتهم لتضئ للانسانية طريقها وتبدد ظلمات الجاهلية وتوضح طريق الرشاد ، فهم الهداة الذين امرنا الله بالاقتداء بهم (٢) .

قال تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ "(٣) .

٦) السلامة من العيوب :

ان من خصائص الانبياء السلامة من العيوب الخُلُقِيَّة والخَلْقِيَّة حتى لاينفر الناس من دعوتهم والجلوس معهم والسماع لحديثهم فالامراض المنفرة كالبرص ، والجذام والتشويه الجسدى لايصيب احداً من الانبياء ، لان الله سبحانه قد صانهم من هذه العيوب المنفرة فهم اكمل الناس خُلُقاً وخَلْقاً (٤) .

ويتضح من ذلك ان الذين يرشحون للنبوة يصطفيهم الله اصطفاء من بين الناس قال تعالى : " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

---

١) النبوة والانبياء للصابونى ، ص ٤٧ ، ط:٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .
٢) انظر مع الانبياء فى القرآن الكريم ، ص (١٩ - ٢٠) .
٣) سورة الانعام اية : ٩٠ .
٤) انظر النبوة والانبياء للصابونى ، ص ٤٨ .

بَصِيرٌ "(١) .

قلوبهم نقية طاهرة تمتاز بالصفاء وعقولهم حصيفة ناضجة لاتنخدع واجسامهم مبرأة من العلل والامراض المشوهة وهم امناء على الوحى وكلامهم حكمة لصدقهم فى الحديث وحياتهم اسوة وسريرتهم وعلانيتهم سواء (٢) .

المطلب الثانى

الانبياء قدوة للبشر

ان المسلم يحتاج فى حياته الى أئمة ليقتدى بهم فى جميع مجالات الاخلاق، وخاصة فى التحلى بفضيلة التوكل على الله، وان الشخصيات التى ذكرها القرآن الكريم لقد ضربت اروع المثل فى اعتمادها وتوكلها على الله، حيث اضاءت ذلك الدرب لمن جاء من بعدهم، لكى يتخلق باخلاقهم، ويقتفى اثرهم ، ويقتدى بهم .

فالانبياء جميعا وصلوا الى منزلة عالية رفيعة من الاخلاق والطاعة والترفع عن اهواء النفس ، وبعيدون كل البعد عن المعاصى والآثام ولقد امر الله سبحانه رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ان يقتدى بهم ويسير على نهجهم متوكلا على الله فى تبليغ رسالة ربه الى الناس جميعا (٣) .

قال تعالى : " وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ

---

١) سورة الحج اية : ٧٥.

٢) انظر عقيدة المسلم للغزالى ، ص ٢٣٩ ، ط(لايوجد) دار الكتب الحديثة ،مطبعة حسان القاهرة.

٣) انظر عقيدة المسلم لمحمد الغزالى ، ص ٢٠٤.

مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ اشْرَكُوا لَحبِطَ عَنْهُمْ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ، اُولَئِكَ الَّذِينَ اتيناهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَاِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ، اُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْراً اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرَى لِلعَالَمِينَ "(١) .

ويأمر الله عباده المؤمنين ان يقتدوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم كما امره ان يقتدى بالانبياء من قبله قال تعالى : " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ اِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّهَ وَالْيَوْمَ الاخِرَ وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً "(٢) .

وسورة الفاتحة التى يرددها المسلمون مرات كثيرة فى صلواتهم ، جعل الله فيها هذا الدعاء قال تعالى : " اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ انعمتَ عَلَيْهِمْ "(٣) .

واعتبر المفسرون فى مقدمة هؤلاء الذين انعم الله عليهم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، ونشتم من هذا الدعاء ايجاء من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ،ان يجعلوا الانبياء قدوتهم فى سائر اعمالهم واقوالهم (٤) .

واصحاب الانبياء الذين اخلصوا لله دينهم ، وتوكلوا عليه يعدون من النماذج التى ينبغى الأقتداء بها حيث جاء فى ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه قوله تعالى : " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ اسوةٌ حَسَنَةٌ فِي اِبْرَاهِيمَ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ اِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ اِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ اَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ اِلَّا قَوْلَ ابْرَاهِيمَ لِاَبِيهِ

---

١) سورة الانعام اية : ٨٣ - ٩٠ .
٢) سورة الاحزاب اية : ٢١ .
٣) سورة الفاتحة اية : ٦ ، ٧ .
٤) انظر مع الانبياء فى القرآن الكريم ، ص ٢١ .

لاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "(١).

وجاء فى موسى عليه السلام ومن معه قوله تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لاَتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "(٢).

المطلب الثالث

توكل الانبيـــاء

لقد ازدان الانبياء جميعا بفضيلة التوكل وتحلوا بها فكانت فى اخلاقهم الفاضلة ودعوا الناس الى التحلى بها والتزامها لما لها من فضل عظيم فـــى حياة المسلمين بشكل عام وحياة المسلم بشكل فردى ، وكانوا صلوات اللــــه وسلامه عليهم أئمة وهداة فى طريق التوكل على الله قال تعالى : " قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَاكَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٣).

قال الطبرى* فى تفسيره لهذه الاية الكريمة قالت الرسل لاقوامهم نعم ان نحن الا بشر مثلكم من بنى آدم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، اى يتفضل على من يشاء من خلقه فيهديهم ويوفقهم للحق والى الطريق المستقيم ويفضلهم

---

١) سورة الممتحنة اية : ٠٤

٢) سورة يونس اية : ٨٤ ، ٨٥ .

٣) سورة ابراهيم اية : ٠١١

* الطبرى : هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى يكنى بابى جعفر محدث ثقة وفقيه ومفسر ومؤرخ وعالم زاهد من مصنفاته كتاب التفسير " جامع البيان عن تأويل آى القرآن " و " تاريخ الرسل والملوك " ولد بطبرستان عام ٢٢٤ هـ ، ت ببغداد ليومين بقيا من شوال عام ٣١٠ هـ . انظر طبقات المفسرين للداودى ، ٢/١٠٦-١١٤ رقم(٤٦٨) وشذرات الذهب ٢/٢٦٠ ، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلانى ٥/١٠٠ ، ط:٢ (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م). وميزان الاعتدال ، ٣/٤٩٨ ، رقم الترجمة (٧٣٠٦).

على كثير ممن خلق ، ولكن الحجة والبرهان على ماندعوكم اليه فهذا باذن الله ولانأتيكم به الا بأمر الله لنا بذلك (١) .

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وبالله فليثق من آمن به واطاعه فإنّا نثق به ونتوكل عليه ، فهو امر من الانبياء للمؤمنين كافة بان يتوكلوا على الله بعد ان قصدوا انفسهم قصداً أولياً وأمروها بالتوكل ، كانهم قالوا : ومن حقنا ان نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم لنا وما يجرى علينا منكم من ايذاء وغيره (٢) .

ويقول تبارك وتعالى مخبرا عن الرسل لاممها : " وَمَالَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (٣)

قال المفسرون ان (ما) الواقعة فى اول الاية استفهامية للسؤال عن سبب العذر اى ليس لنا عذر فى عدم التوكل ، ونحن رسل الله اصطفانا بالرسالة ، وقد هدانا سبلنا ، أى ارشد كلا منا سبيله و منهاجه الذى شرع له ، وأوجب عليه سلوكه فى الحياة لذلك فما علينا الا ان نتوكل على الله وحده الذى عرّفنا طريق التوكل .

ثم قالوا على سبيل التوكيد القسمى مظهرين العزيمة امام اقوامهم (ولنصبرن على ما اذيتمونا) فما هنا مصدرية اى على ايذائكم إيانا بعنادكم وعدم دخولكم فى الدعوة الى الله واقتراحكم الايات وغير ذلك ، وجوّز البعض ان تكون (ما) موصولة بمعنى الذى ، (وعلى الله - خاصة دون غيره - فليتوكل المتوكلون) اى فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد بهم المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق اتصافهم بالتوكل (٤) .

---

١) انظر تفسير الطبرى ، مجلد : ٧ ، ج: ١٣ ، ص ١٢٨ .
٢) انظر تفسير القاسمى ، مجلد : ٦ ، ج: ١٠ ، ص ١٦ .
٣) سورة ابراهيم اية : ١٢ .
٤) انظر تفسير روح المعانى ، المجلد : ٥ ، ج: ١٣ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، وايضا تفسير ابى السعود ، ج: ٥ ، ص ٣٨ وتفسير الفخر الرازى ، مجلد : ١٠ ، ج: ١٩ ، ص ٣٩ وايضا تفسير التحرير والتنوير ، ج: ١٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

وحينما ننظر بتفحص وامعان فى سير الانبياء والمرسلين من خلال العرض القرآنى لقصص الانبياء نجد ان فضيلة التوكل هى القاسم المشترك بين هـؤلاء الاكرمين ٠

فابراهيم عليه السلام ، ابو الانبياء هو القائل كما جاء فى سورة الممتحنة " رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "(١) ٠وورد فى كتب السيرة والحديث ان ابراهيم عليه السلام قال عند القاء الكافرين له فى النار " حسبنا الله ونعم الوكيل " وجاء عن ابن عباس " حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حينما القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد اجتمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل "(٢) ٠

ويعقوب عليه السلام يأمر اولاده باخذ الحيطة والحذر واخفاء امرهم قدر المستطاع ثم يتوكلوا على ربهم ، قال تعالى : " وَقَالَ يَابَنِيَّ لَاتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٣) ٠

وموسى عليه السلام كان من المتوكلين على الله فكان الله حسبه حينما كفله ورعاه منذ صغره فى بيت فرعون وعندما شق له البحر فانجاه ومن معه اى الفئة المؤمنة المتوكلة على الله ، قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ، فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "(٤) ٠

وهذا نوح عليه السلام يخاطب قومه بعد ان ذكرهم بايات الله ان اردتم

---

١) سورة الممتحنة اية : ٠٤

٢) سبق تخريجه ص ٠١٥٥

٣) سورة يوسف اية : ٠٦٧

٤) سورة يونس اية : ٨٤ ، ٠٨٥

الاعتداء عليّ او معارضتي فانني مفوض امرى الى الله ومتوكل عليه بعد ان بذلت جهدى فى نصحكم ودعوتكم ، قال تعالى : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ "(١) .

وهذا هود عليه السلام قد بلّغ قومه رسالة الله وهو متوكل على الله ويعلم ان مامن دابة الا هو اخذ بناصيتها وان الله على كل شيء حفيظ ، قال تعالى حكاية على لسان هود عليه السلام : " إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ "(٢) .

وشعيب عليه السلام بعد ان بلغ الدعوة الى قومه آمن معه القليل وهدده قومه بالخروج من القرية او العودة الى ملة الكفر ، ورفض بكل عزيمة واصرار هو ومن آمن معه العودة الى الكفر بعد ان خالط الايمان قلوبهم وعرفوا حلاوة التوكل على الله ، قال تعالى : " قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ "(٣) .

ان هذا العرض السريع الموجز عن لمحات فى حياة الانبياء يؤكد لنا ان فضيلة التوكل هى من الفضائل المشتركة التى ازدان بها الانبياء جميعا من ادم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم وسنتحدث فى المبحث الثانى من هذا الفصل عن مختارات من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وتوكلهم على الله بشيء من الايجاز .

---

١) سورة يونس اية : ٧١
٢) سورة هود اية : ٥٦ - ٥٧
٣) سورة الاعراف اية : ٨٩ .

المبحث الثاني

نماذج من الانبياء في توكلهم على الله

ان القرآن الكريم اعتنى عناية عظمى بفضيلة التوكل وحرص على توجيه المسلمين للتحلي بها وحثهم على ممارستها في واقع الحياة وامرهم بالتزامها اخلاقا وسلوكا ٠

وعرض القرآن الكريم من خلال قصصه الكثيرة ، شخصيات ونماذج تعد امثلة رائعة في التحلي بفضيلة التوكل ينبغي اتخاذهم الاسوة الحسنة لنا في هذه الحياة ٠

ونستعرض من هذه الشخصيات النماذج الاتية :-

اولا: نوح عليه السلام

لقد أُرسل نوح الى قومه فلبث فيهم عمرا طويلا وهو يدعوهم الى الايمان والهدى ويذكرهم ويعظهم بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن قومه اعرضوا عن دعوته واصروا واستكبروا استكبارا لصلابة قلوبهم وبباسة عقولهم وتمسكهم بعبادة الاصنام، قال تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا "(١) ٠ ولم يؤمن معه في هذه الفترة الطويلة الا القليل لجحودهم ونكرانهم للحق قال تعالى : " قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ، وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا "(٢) ٠

وبيّنَ تعصبهم لعبادة الاصنام فجاء حكاية على لسان قومه قوله تعالى : " وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا

---

١) سورة العنكبوت اية : ١٤٠

٢) سورة نوح اية : ٥ - ٠٧

، وَلَاتَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً "(١) .

واتهموه عليه السلام بعدة اتهامات منها :-

١) اتهموه بالسفه والضلال قال تعالى : " قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قَالَ : يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ "(٢) .

٢) قذفوه بالجنون واحالوا بينه وبين تبليغ دعوته ، قال تعالى : " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ "(٣) .

٣) واتهم على السنتهم بكثرة الجدال وبالافتراء على الله فجاء حكاية عنهم قوله تعالى : " قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ "(٤) .

٤) وقابلوه بالتهكم والسخرية والازدراء ورغم ذلك ظل صابرا يواصل دعوتهم الى الله ، قال تعالى : " وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ "(٥) .

٥) واخيرًا هددوه بالرجم فجاء حكاية على ألسنتهم قوله تعالى : " قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ "(٦) .

ولكن نوحا لم يبال بهذا التهديد فاجابهم بايمانه القوى وتوكله على الله انه مستمر مثابر فى الدعوة الى الله وانهم لايستطيعوا ان يضروه بشىء (٧) .

قال تعالى : " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَايَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَاتُنْظِرُونِ "(٨) .

---

١) سورة نوح اية : ٢٣ ، ٢٤ .
٢) سورة الاعراف اية : ٦٠ ، ٦١ .
٣) سورة القمر اية : ٩ .
٤) سورة هود اية : ٣٢ .
٥) سورة هود اية : ٣٨
٦) سورة الشعراء اية : ١١٦ .
٧) انظر النبوة والانبياء للصابونى ، ص ١٣٩ ، وايضا مع الانبياء فى القران الكريم ص ٦٧ .
٨) سورة يونس اية : ٧١ .

يوجد فى الاية قراءتان الاولى على نصب (شركاءَكم) وقطع الهمزة فى (أجمعوا)
وهذا ما عليه الجمهور ٠
والثانية قرأ بها ابن اسحق ويعقوب (وشركاؤُكم) بالرفع وقرأ عاصم الجحدرى
بهمزة الوصل فى (فأجمعوا)٠ ولكن الراجح قراءة الجمهور على النصب فيكون
فيها ثلاثة اوجه :

١) بمعنى ادعوا شركاءكم ٠
٢) اى ادعوهم لنصركم وعلى هذا فهى منصوبة بفعل مضمر ٠
٣) ان تكون معطوفة على المعنى [(١)] ٠

وبذلك يكون معنى الاية انه رغم تهديدكم ووعيدكم فانى على الله متوكل وعليه أعتمد ، فاجمعوا امركم واتفقوا مع شركائكم ونفذوا ولا تنتظروا ، فانى لا اخافكم،ولا غرابة فى ذلك لانه عليه السلام الاب الثانى للبشر توكل على الله ووثق بنصره ، فتحدى المشركين والشركاء بقوة الايمان والتوكل على الله ، وقال لهم ان اعرضتم عن دعوتى وتذكيرى لكم فما اسألكم على ذلك من اجر ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب [(٢)] ٠

ثانيا :هود عليه السلام

ارسل الله هودا عليه السلام الى قوم عاد وكانوا يسكنون فى ارض الاحقاف وهى تقع شمال حضرموت [(٣)] قال تعالى : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ " [(٤)] ولكن قوم هود كانوا غلاظ الاكباد

---

١) انظر تفسير فتح القدير ، مجلد :٢ ، ص ٢٦٢٠
٢) انظر التفسير الواضح ، مجلد :٢ ، ج:١١ ، ص ٦٦ - ٦٧ ـ، وايضا تفسير روح المعانى ، مجلد :٤ ، ج:١١ ، ص ١٥٧ وانظر ايضا من مفاهيم القرآن فى العقيدة والسلوك ، ص١٦٤ ط:١(١٩٧٣م ١٣٩٣هـ) ، مطبعة الاستقلال الكبرى ٠
٣) انظر قصص الانبياء لعبد الوهاب النجار ، ص ٥١٠
٤) سورة الاعراف اية : ٦٥٠

جلاف الطبع يعبدون الاصنام ويعتقدون فيها انها تشفع لهم عند الله فقال لهم هود عليه السلام ان انتم الا مفترون فى اعتقادكم الباطل بعبادتكم لهذه الاصنام التى لاتضر ولاتنفع شيئا فانه لايستحق العبادة الا الله وحده قال تعالى : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ"(١) .

فما كان جوابهم على هود عليه السلام الا الاستهزاء والتكذيب ، قال تعالى : " قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ "(٢) .

ثم رد عليهم برفق ولين ، وبصورة الناصح الامين ، وهذه هى اخلاق النبوة فى الدعوة الى الله ، قال تعالى : " قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ "(٣) .

ومع مشاكستهم له وافترائهم عليه الكذب ورميهم له بالتهم الباطلة إلّا انه كان يرد عليهم بالرد الجميل(٤) قال تعالى : " قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ، مِن دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَاتُنظِرُونِ ، إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَامِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"(٥) .

وحينما جحدوا دعوة الله وصمموا على عبادة اصنامهم اجابهم بانه يُشهد الله عليهم انه ابلغهم وانهم كابروا وجحدوا آيات الله وتحداهم بان يكيدوه جميعا ، ووصل تحديه بهم الى مرتبة التعجيز والاستخفاف بهم وباصنامهم ، حينما نهاهم عن تأخير كيدهم اياه وذلك كناية عن انهم لن يصلوا اليه ، وذلك لانه قال : " انى توكلت على الله ربى وربكم " فهو عليه السلام يتكلم كلام الواثق

---

١) سورة هود اية : ٥٠ .
٢) سورة الاعراف اية : ٦٦ .
٣) سورة الاعراف اية : ٦٧ ، ٦٨ .
٤) انظر قصص الانبياء لعبدالوهاب النجار ، ص ٥٧ .
٥) سورة هود اية : ٥٤ - ٥٦ .

بعجزهم عن كيده لانه متوكل على الله وان الله كافى المتوكلين وهو حسبهم وناصرهم ومعينهم وجملة " ان ربى على صراط مستقيم " تعليل للتوكل على الله اى انه اهل لتوكلى عليه لانه متصف بالعدل والتأييد لرسله [١].

وخلاصة القول : انه يعصمنى من كيدكم مهما حاولتم الاضرار بى لان من توكل على الله كفاه الله ، ثم بين لهم توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته وَوَصَفَهُ بما يوجب التوكل، لانه صاحب الربوبية عليه وعليهم ، وانه مالك للجميع، وان ناصية كل دابة بيده وفى قبضته وتحت ارادته .

وحينما استنفذ معهم كل وسائل الدعوة ، ولم يؤمنوا وزادوا فى كفرهم وعنادهم حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين واستغاثوا فارسل الله عليهم سحابا، ظنوا انه ممطرهم قال تعالى : " فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ " [٢].

ثم سلط الله عليهم ريحا عظيما سبع ليال وثمانية ايام حسوما اهلكت القوم الكافرين ، قال تعالى : " وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ " [٣]

وكانت النتيجة هلاك الذين كفروا واستكبروا فى الارض بغير الحق ، ونجاة المؤمنين مع هود عليه السلام [٤] ، قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ " [٥].

ثالثا :ابراهيم عليه السلام

ان الله سبحانه وتعالى جعل لابراهيم عليه السلام منزلة عظيمة وخصه بخصائص فريدة من نوعها تدل على اهمية مكانة ابراهيم عليه السلام ، فجعله

---

١) انظر تفسير التحرير والتنوير ، ج:١٢ ، ص ٩٩-١٠١ وايضا تفسير الطبرى ، مجلد : ٧ ، ج:١٢ ، ص ٣٧ وايضا فتح القدير ، مجلد : ٢ ، ص ٥٠٥ .

٢) سورة الاحقاف اية : ٢٤.

٣) سورة الحاقة اية : ٦ -٨ .

٤) انظر النبوة والانبياء للصابونى ، ص ٢٢٧-٢٢٨. (٥) سورة هود اية : ٥٨.

أبا للانبياء الذين جاءوا من بعده ، قال تعالى : " وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَالْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ "(١).

كما اشار القرآن الكريم الى ابوة ابراهيم عليه السلام للمسلمين فى قوله تعالى : " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ "(٢).

وخصه الله سبحانه وتعالى بالإمامة للاتقياء فى قوله تعالى : " وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا "(٣).

وعندما ابتلى فصبر ولم يتزعزع ولم يضطرب وكان عبدا وفيا اختاره الله خليلا قال تعالى : " وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا "(٤).

دعا اباه وقومه الى عبادة الله وحده لاشريك له ، وترك عبادة الاصنام فرفض ابوه دعوته ، قال تعالى : " قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا "(٥).

وتنكب قومه دعوته وسخروا من رسالته ، ومع ذلك كان رحيما بهم فناقشهم بالحجة والبيان فجاء حكاية على لسانه عليه السلام قوله تعالى : " هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ "(٦)

---

١) سورة الانعام اية : ٨٤ - ٨٦.
٢) سورة الحج اية : ٧٨
٣) سورة البقرة اية : ١٢٤.
٤) سورة النساء اية : ١٢٥
٥) سورة مريم اية : ٤٦.
٦) سورة الشعراء اية : ٧٢ - ٧٤.

فلم يكن لهم حجة أو بيّنة أمام المنطق السليم الذى خاطبهم به عليه السلام سوى التقليد الاعمى الذى يقود صاحبه الى الهلاك والدمار ، ومع ذلك بقوا فى عبادتهم للاصنام سادرين ، على مرأى ومسمع ابراهيم عليه السلام الذى اقسم ليكيدن هذه الاصنام التى تعبد من دون الله ، قال تعالى : " وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ "(١) .

فَتَحَيَّنَ الفرصة المناسبة حيث كان يوم عيد للقوم يخرجون فيه جميعا خارج البلد وذهب الى اصنامهم وحطمها ، قال تعالى : " فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ "(٢) ، وحينما رجعوا من عيدهم" قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ "(٣) .فقالوا هل انت الذى فعلت ذلك يا ابراهيم؟ فاجابهم ابراهيم عليه السلام ان كبيرهم هذا هو الذى حطمها فاسألوهم أن كانوا ينطقون وبذلك يكون عليه السلام قد اقام عليهم الحجة بعد ان سفه عقولهم لانهم يعلمون فى قرارة انفسهم أن هؤلاء لاينطقون فكيف تتخذونهم الهة من دون الله ، وهكذا يكون منطق الانبياء مع اقوامهم "(٤) .

وحينما غلبوا ولم تبق لهم حجة فى مناظرتهم لابراهيم ، ارادوا به كيدا ومكروا به مكرا كبيرا ، قال تعالى :" قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ "(٥) .

وسيق ابراهيم عليه السلام لالقائه فى النار وكان يردد قائلا لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد لاشريك لك وحينما أُلْقُوهُ فى النار هتف من قلبه قائلا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فكان الله سبحانه وتعالى حسبه فكفاه شر نارهم فجعلها بردا وسلاما على ابراهيم (٦) .

---

١) سورة الانبياء اية : ٥٧ .
٢) سورة الانبياء اية : ٥٨
٣) سورة الانبياء اية : ٥٩ .
٤) انظر النبوة والانبياء للصابونى ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
٥) سورة الانبياء اية : ٦٨ .
٦) انظر قصص الانبياء لابن كثير ، ص ١٣٨-١٣٩ ، ط:١ (١٩٨١م-١٤٠١هـ) مطبعة دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية وايضا مع الانبياء فى القرآن الكريم ، ص ١١٠-١١٥ ، وايضا النبوة والانبياء ، ص ١٥٢ - ١٥٥ .

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : " حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى فى النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له : ان الناس قد جمعوا لكم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل "[1] .

وثبت ان ابراهيم عليه السلام كان يفوض امره الى الله ويتوجه اليه بالتوكل والانابة والرجوع اليه فى كل حال وكان عليه السلام يغرس ذلك فى نفوس من آمن معه ، حيث جاء حكاية على لسانهم قوله تعالى : " رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "[2] .

وهذا التسليم المطلق لله والتوكل عليه هو السمة الايمانية الواضحة فى ابراهيم وتجلّت بوضوح كامل حينما قام لينفذ رؤيا ذبح ولده وفلذة كبده اسماعيل عليه السلام الذى هو الاخر اطاع اباه واستسلم لامر الله ، وندع القرآن الكريم يبين لنا ذلك الموقف الايمانى الذى تفوح منه رائحة التوكل على الله والاستسلام والخضوع لامره[3] . قال تعالى : " قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ، قَالَ : يَا أَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ"[4] .

رابعا : يعقوب عليه السلام

هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام ، ويعقوب عليه السلام هو ابو الاسباط الاثني عشر ويسمى باسرائيل ، قال تعالى : " كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا

---

١) سبق تخريجه . ص ١٥٥ .
٢) سورة الممتحنة اية : ٤ .
٣) انظر فى ظلال القرآن ، مجلد : ٥ ، ص ٢٩٩٤ - ٢٩٩٥ .
٤) سورة الصافات اية : ١٠٢ - ١٠٧ .

لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ "(١) .

ويعقوب عليه السلام ، كسائر الانبياء فى تمسكه بفضيلة التوكل ، ويتضح ذلك من خلال الاحداث التى واجهته من ابنائه مع اخيهم يوسف عليه السلام ، فصبر وصابر حتى ابيضت عيناه من الحزن ، ولتوكله على الله واستعانته به ، تحققت له ثمار التوكل ، فارتد اليه بصره واجتمع بهم جميعا .

ويظهر توكله على الله وهو يوصي اولاده بأن لايدخلوا مصر من باب واحد بل من ابواب متفرقة ، قال تعالى : " وَقَالَ يَابَنِيَّ لَاتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ "(٢) .

قال مجاهد * ان يعقوب عليه السلام امر بنيه بان لا يدخلوا من باب واحد ، وان يدخلوا من ابواب متفرقة ، لانه خشى عليهم العين ، لانهم اصحاب جمال وحسن ومنظر وبهاء وقوة ، وقيل انه علم ان يوسف يلتقى باخوته من تلك الابواب ، وقيل انه خاف ان يقتلوا لما ظهر من التهمة لهم فى ارض مصر (٣) .

وعلل يعقوب عليه السلام هذا التدبير والاحتراس ، بانه لايدفع عنهم ما قَدَّرَهُ الله عليهم " وما اغنى عنكم من الله من شئ " اى انه لايغنى حذر لـه قدر ، ولم يرد بهذا عليه السلام الغاء الحذر ، بل اراد بيان ما وصاهم به ، وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه (٤) .

---

١) سورة آل عمران اية : ٩٣ .
٢) سورة يوسف اية : ٦٧ .
٣) انظر تفسير ابن كثير ، مجلد : ٢ ، ص ٤٨٤ ، وايضاتفسير الطبرى ، مجلد : ٧ ، جـ: ١٣ ، ص ٩ - ١٠ ، وايضا تفسير زاد المسير ، جـ: ٤ ، ص ٢٥٤ .
٤) انظر تفسير روح المعانى ، مجلد : ٥ ، جـ: ١٣ ، ص ١٩ .
* مجاهد : هو مجاهد بن جبر ابو الحجاج المكى المخزومي وهو ثقة فى الحديث وامام فى التفسير حدث عن ابن عباس وعن عائشة وعن ابى هريرة وحدث عنه عكرمة وقتادة وغيرهم . روى عنه تفسيره شبل بن عماد المكى . ولد سنة ٢١ هـ ، فى خلافة عمر بن الخطاب ، ت بمكة سنة ١٠١ هـ ، وعمره ٨٣ سنة وقيل غير ذلك . انظر حلية الاولياء ٢٧٩/٣ ، رقم (٢٤٣) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، ٤٢/١٠ رقم (٦٨) ط: ١ دار صادر ، بيروت وايضا طبقات المفسرين للداودى ٢(٣٠٥ - ٣٠٨) رقم (٦١٧) ميزان الاعتدال ، ٤٣٩/٣ ، رقم الترجمة (٧٠٧٢) .

ويتابع يعقوب عليه السلام نصحه لاولاده ، بهذه الجملة التى تفيض بالايمان والاستسلام لارادة الله والتوكل عليه ، قائلا : " ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون" اى ان الحكم مطلقا لله وحده لايشاركه احد ، "عليه توكلت " اى فى جميع امورى ما اتى منها وما اذر(وعليه فليتوكل المتوكلون) وتعنى على الله وحده فليتوكل من يتصف بهذه الصفة ، وفيها مالايخفى عن حسن ارشاده لابنائه وهدايتهم الى التوكل (١) .

ويعطينا يعقوب عليه السلام درسا ، بان التوكل يجب ان يصاحبه الاخذ بالاسباب والحيطة والحذر ، وان المؤمن هو الذى يأخذ بالاسباب المنجية مع الثقة والاطمئنان لما قدره الله للانسان فى هذه الحياة .

وهاهو عليه السلام ، يتوجه الى الله عندما يسمع خبر استرقاق ابنه بنيامين الذى ذكّره بيوسف ، ففاضت احزانه قال تعالى : " قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٢) .فهذه الاية يتركز فيها افضل معاني التوكل على الله والصمود امام المصائب ، فهو عليه السلام يتوجه بهمه وحزنه الى الله الرحمن الرحيم القادر على كشف الغمة ، ولم يشكهُ الى العباد الذين لاحول لهم ولاقوة ، امام احداث الزمان.

وفى الختام نرى يعقوب عليه السلام بصورة المؤمن المتوكل على الله ، المفعم بالأمل وهو يوصى اولاده بالبحث عن يوسف وبنيامين رغم طول المدة التى طالت على غياب يوسف ، قال تعالى : " يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ " (٣) .

من ذلك يتضح ان المتوكل على الله لايعرف اليأس الى قلبه سبيلا كما يوضح يعقوب عليه السلام ، وهو يوصى اولاده بعدم اليأس ، لان اليأس يجعل

---

١) انظر تفسير ابى السعود ، ج:٤ ، ص ٢٩٢ .
٢) سورة يوسف اية : ٨٦ .
٣) سورة يوسف اية : ٨٧ .

يجعل الانسان عاجزا عن السير ، والتوكل عدو لليأس ، اذ ان التوكل هو الامل والرجاء فى الله سبحانه وتعالى (١) .

وبعد هذه المحن المتتالية والصبر والمعاناة والحرمان الطويل لرؤية الابناء الاحباء تأتى ثمار التوكل ويلوح البشير من بعيد حاملا خبر اللقاء القريب ، قال تعالى : " فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً ، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٢) .

خامسا : يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين ، ذُكرت سيرته فى الكثير من الايات القرآنية وأُثنى عليه فى قوله تعالى : " وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ " (٣) كما انه وُصِفَ عليه السلام بالعفة والنزاهة والصبر والاستقامة قال تعالى : " كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ " (٤) .

وكانت حياته عليه السلام ، عبارة عن سلسلة متلاحقة من البلاء فكلما كان ينتهى من محنة الا ويدخل فى محنة مثلها او اشد منها منذ ان كان طفلا الى ان توفاه الله تبارك وتعالى .

وكان عليه السلام ، يخرج من هذه المحن بزيادة من الايمان والطاعة والاستسلام لله والتوكل عليه ، حيث انه كان يخرج منها اصلب عودا واقوى عزيمة لانه كان يلمس عناية ورعاية الله له فى كل موقف من المواقف التى كانت

---

١) انظر مع الانبياء فى القرآن الكريم ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .
٢) سورة يوسف اية : ٩٦ .
٣) سورة يوسف اية : ٢٢ .
٤) سورة يوسف اية : ٢٤ .

تواجهه عليه السلام فى هذه الحياة ٠

ولقد واجهت يوسف عليه السلام محن ثلاث سنذكرها بايجاز مبرزين توكله على الله واستسلامه لله رب العالمين وسنلاحظ اصابع العناية والرعاية الالهية بيوسف عليه السلام فى كل منها ٠

١) يوسف ومكيدة اخوته:

لقد تآمر اخوة يوسف على قتله ، وهو غلام صغير يافع لا يملك من الحول والقوة شيئا ، ثم اكتفوا بإلقائه فى البئر ، وفعلا نفذوا جريمتهم بقلوب اشد من الحجارة قسوة ، واصبح الغلام يستسلم للموت رويدا رويدا بين جدران البئر من حوله فاستنجد بالله رب العالمين ولجأ الى حماه واستسلم لقضائه وقدره متوكلا عليه فى انقاذه من هذا البلاء العظيم ، فكان سبحانه حسبه وكافيه وحاميه ، قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "(١) ٠ فتنزل عليه الغيث الالهى فارسلت اليه قافلة لتخرجه من البئر وتصحبه الى مصر الى حيث ان شاء الله له العيش والحياة(٢) ٠ ولنستعرض الايات القرآنية،وهى تصور هذا الحدث فى قوله تعالى : " فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ، وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "(٣) ٠

٢) يوسف ومكيدة امرأة العزيز:

بعد ان انجاه الله من مكيدة اخوته انتقل عليه السلام الى بيت عزيز مصر ، وكان عليه السلام على درجة عالية من الحسن والجمال ولما كبر وترعرع

---

١) سورة الطلاق اية : ٣   ٢) انظر قصص الانبياء ، ص ١٢١-١٢٢٠

٣) سورة يوسف اية : (١٥ - ١٨)٠

وقع حبه فى قلب امرأة عزيز مصر وبلغ هذا الحب ذروته عندها ، حتى راودته عن نفسها ، وعملت كل حيلة من اجل اغرائه واغوائه ، وهو شاب فى عنفوان الشباب ، فماذا كان موقف هذا الشاب امام الاغراءات الكثيرة التى بدرت منها ، لقد وقف فى وجه الشهوة موقف المؤمن الحازم المستسلم لله والمتوكل عليه ، فى ان ينصره على هذه الفتنة ، والتجأ الى الله واستمسك بايمانه واعتصم بربه ، وهذه هى اخلاق المتوكلين امام اى حدث يواجههم ، وبعون الله لم يقدر عليه الشيطان ، لانه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ، قال تعالى:

" إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(١) .

ولقد صور القرآن الكريم هذا المشهد ابدع تصوير فى قوله تعالى : " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَيُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَاجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّدِقِينَ ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ "(٢) .

٣) دخوله فى السجن:

دخل يوسف السجن زورا وعدوانا وبهتانا ومكث فيه بضع سنين بسبب التهمة الملفقة والتى ظهرت براءته منها فى المشهد القرآنى السابق ، ولولا رؤية الملك التى فسرها يوسف عليه السلام لمكث فى السجن السنين الطوال .

---

١) سورة النحل اية : ٩٩ .

٢) سورة يوسف اية : ٢٣ - ٢٨ .

لقد أعجب السجناء به وحظي باحترامهم لانه كان ينبؤهم من تأويل الرؤى ، واخذ يدعوهم الى عبادة الله الواحد القهار ، وكشف لهم عن نسبه الطاهر ، قال تعالى : " وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّاتَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ "(١) .

واخبر عليه السلام احد السجناء ان يذكره عند الملك ، قال تعالى : " وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ "(٢) .

وقوله عليه السلام : " اذكرني عند ربك " لايناقض التوكل على الله لانه قال " ان الحكم الا لله " وليس لملك او رئيس او طبقة وبذلك يكون قوله " اذكرني عند ربك " ماهو الا من قبيل الاخبار للملك به ، وليعلم حاله وليتبين الحق وخاصة انه عليه السلام برىء مما اتهم به ويريد ان تظهر براءته امام الناس جميعا ولنستمع الى قوله تعالى : " وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ، قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ، قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ "(٣) . وبذلك يتضح انه لم يكن في قوله ترك لواجب ولافعل محرم ولا يناقض توكله على الله .

وكذلك قوله تعالى حكاية على لسان يوسف : " اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ "(٤) . ليس بناقض لتوكله ولم يكن من قبيل سؤال الامارة

---

١) سورة يوسف اية : ٣٨ - ٤٠ .

٢) سورة يوسف اية : ٤٢ .

٣) سورة يوسف اية : ٥٠ ، ٥١ .

٤) سورة يوسف اية : ٥٥ .

المنهى عنه فى السنة النبوية ، بل انه عليه السلام سأل الولاية للمصلحة الدينية لانه الامين ولا يستطيع احد ان يقوم مقامه فى ذلك المنصب الحساس فى الدولة الذى يحتاج لامثال يوسف عليه السلام (١) .

سادسا : شعيب عليه السلام

قال تعالى : " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (٢) .

ارسل الله شعيبا الى اهل مدين ، الذين أُطلق عليهم هذا الاسم نسبة الى الماء الذى كان عليه قوم شعيب قال بذلك قتادة* : وقيل نسبة الى " مدين " وهو ابن ابراهيم الخليل لصلبه حيث قال بهذا مقاتل** وبذلك يكون المعنى ارسلنا الى ولد مدين فعلى هذا يكون مدين هو اسم قبيلة وقال البعض اسم

---

١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ، مجلد : ١٥ ، فى التفسير ، ص ١١٣ - ١١٥ .

٢) سورة الاعراف اية : ٨٥ .

* قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسى ثقة ثبت عالم فى التفسير تتلمذ على يد عبد الله بن سرجس ومن تلاميذه : شعبة وابوعوانه وجماعة ، من مصنفاته " تفسيره " الذى رواه عنه شيبان بن عبد الرحمن التميمى ، توفى بالطاعون سنة ١١٨ هـ ، وقيل ١١٧ هـ وعمره ٥٧ سنة .
انظر طبقات المفسرين للداودى ، ٢/٤٣، ٤٤ وتهذيب التهذيب ٣٥١/٨ ، رقم (٦٣٥) وخلاصة تهذيب الكمال ، ٢/٢٥٠ رقم (٥٨٣٣) ميزان الاعتدال ٣/٣٨٥ رقم (٦٨٦٤).

** مقاتل : وهو مقاتل بن سليمان بن كثير الازدى الخراسانى ابو الحسن البلخى ، كان مفسرا وبحرا فى علم التفسير ، وقال الشافعى فى حقه الناس عيال فى التفسير على ثلاثة ، ذكر منهم مقاتل بن سليمان ، مصنفاته " التفسير الكبير " و " نظائر القرآن " و " القراءات " ، ت سنة ١٥٠ هـ .
انظر طبقات المفسرين للداودى ٢/٣٣٠ ، ١٣٣ ، رقم (٦٤٢) وخلاصة تذهيب الكمال ، ٥٣/٣ ، ٥٤ ، رقم (٧١٨٤) وتهذيب التهذيب ، ٢٧٩/١٠ ، ط:١ ، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ١٧٣/٤ ، رقم الترجمة (٨٧٤١) طبعة دار المعرفة لبنان بيروت ، تاريخ بغداد ١٦٠/١٣ رقم الترجمة (٧١٤٣) لابى بكر احمد بن على الخطيب ، دار الكتاب العربى بيروت .

للمدينة .(١)

واهل مدين كانوا يشتغلون بالتجارة والزراعة وانتشرت فيهم منكرات متعددة منها الكفر بالله وعبادة الاصنام والتلاعب فى الميزان ، والافساد فى الارض بغير الحق ، وعدم الاصلاح .

ودعاهم شعيب عليه السلام الى عبادة الله وحده ونهاهم عن هذه المنكرات وذكرهم بنعم الله عليهم وامرهم بالاصلاح والابتعاد عن الفساد ، وكعادة الاقوام الكافرة مع انبيائها ، قابلوه بالتكذيب والعداء ، وقالوا ياشعيب لانفقه كثيرا مما تقول، واستضعفوه عليه السلام واخيرا هددوه بالرجم ، ولم يمنعهم من ذلك الا مجاملة عشيرته فيهم ، قال تعالى : " قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَاِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا اَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ "(٢) .

وعندما بلغ الكفر منهم كل مبلغ ضاقوا به ذرعا فخيروه ومن آمن معه بين الخروج من القرية ، أوالرجوع الى ملتهم التى كانوا عليها من الكفر والوثنية والافساد ، قال تعالى : " قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا اَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، قَالَ اَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ "(٣) .

ورد عليهم شعيب ومن امن معه هذا الرد المفعم بالايمان قال تعالى :
" قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا اَنْ نَعُودَ فِيهَا اِلَّا اَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَاَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ "(٤) .

بين عليه السلام ومن آمن معه ان الارتداد الى الكفر لايمكن ان يكون بعد ان مست شعلة الايمان القلوب ، وفوضوا امرهم الى الله بالتوكل عليه وحده ، ثم ختموا الكلام بالدعاء (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين)

---

١) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٣ ، ص ٢٢٨ .
٢) سورة هود اية : ٩١ .
٣) سورة الاعراف اية : ٨٨ .
٤) سورة الاعراف اية : ٨٩ .

اى إظهر امرنا على القومِ المشركين ، والمراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وان شعيبا والذين معه على الحق المبين (١) .

استجاب الله دعاء الفئة المؤمنة المتوكلة على الله ، بأن سلط الله الحر الشديد على الكافرين حتى غلت مياههم ثم ساق اليهم غمامة ففروا للاستظلال بها من شدة الحر ، وجاءتهم الصيحة وامطرت عليهم السماء نارا فاحترقوا (٢) ، قال تعالى:

" فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" (٣) .

وَتَمَّ نجاة شعيب والفئة المؤمنة برحمة من الله قال تعالى : " وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ" (٤) .

سابعا :موسى عليه السلام

ان قصة موسى عليه السلام ذكرت فى الكثير من السور القرآنية واسهبت بعض السور فى ذكرها بتوسع ، وانها لقصة جديرة بالتأمل الطويل فى احداثها والوقوف عندها لاستقاء العبر والعظات العظام منها فهى حافلة بالمواقف الايمانية الهامة التى تعطى الدعاة الى الله زادا على الطريق فى مواجهتهم للطغاة والمستبدين ولايسعنا المقام فى هذا البحث من حصرها والحديث عنها باسهاب ولكن سنشير الى بعض منها اشارات خفيفة وسريعة.

ولد موسى عليه السلام فى بلاد مصر اثناء حكم الطاغية فرعون لها ، الذى كان يقتل كل مولود لبنى اسرائيل من الذكور ويستبقى البنات على قيد الحياة ، وذلك ليحافظ على ملكه نتيجة لرؤية رآها فى منامه . ولكن رعاية الله حفظت موسى عليه السلام من هذا القتل وهو وليدٌ وشاء قدر الله ان ينمو

---

١) انظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد :٧ ، ج:١٤ ، ص ١٨٨ وايضا تفسير التحرير والتنوير ، ج:٩ ، ص(٩ - ١١)
٢) انظر النبوة والانبياء للصابونى ، ص ٢٦٣ ، وايضا مع الانبياء فى القرآن الكريم ص ٢٠٢.
٣) سورة الشعراء اية : ١٨٩.
٤) سورة هود اية : ٩٤.

ويشب موسى عليه السلام في بيت فرعون ، ثم يخرج طريدا من مصر عبر صحراء سيناء الى مدين ، ويلتقي بشعيب عليه السلام ويتزوج احدى بناته بعد ان مكث عشر حجج قضاها وهو يعمل بالرعي (١).

ويُكلَّف في هذه بالدعوة الى الله واخراج بني اسرائيل من مصر ، فيعود ثانية لدعوة فرعون ، لكن فرعون تمادى في الكفر واتهم موسى عليه السلام بالسحر بعد ان رأى الايات المعجزات من موسى عليه السلام ، فأرسل في المدائن حاشرين ليأتوا له بكل ساحر عليم ، ليبطل سحر موسى ولكن هيهات هيهات ، ولندع القرآن الكريم يصف لنا هذا المشهد مع سحرة فرعون وكيف انقلبوا الى الايمان بعد ان رأوا الايات ، قال تعالى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ، قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ، قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ، رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ " (٢).

وتشتد المحنة ويزداد البلاء على الفئة المؤمنة من قبل فرعون وجنوده وخاصة بعد انتصار موسى بالمعجزات الالهية وتتخذ الفئة المؤمنة من بيوتهم قبلة من شدة البطش الفرعوني ، قال تعالى : " وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " (٣)

وقال موسى لقومه حينما رأى خوفهم من الفتنة والاضطهاد على الله توكلوا ، وبوعده فثقوا ، فانه ناصركم ومهلك عدوكم ، قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

---

١) انظر النبوة والانبياء للصابوني ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

٢) سورة الاعراف اية : ١١٧ - ١٢٦ .

٣) سورة يونس اية : ٨٧ .

رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١) ٠

قال الزمخشري* في التفسير ان موسى عليه السلام خاطب قومه فقال ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم به وبآياته فعليه توكلوا واليه اسندوا امركم لكي يعصمكم من فرعون وجنوده ، ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله بان يجعلوها خالصة لا حظ فيها للشيطان (٢) ٠

ولما كان القوم مخلصين في توكلهم واستسلامهم لله اجابوا على الفور دون تردد على الله توكلنا وبه وحده استعنا على اعدائنا واعداء ديننا ثم دعوا الله قائلين : " ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين " اى لاتنصرهم علينا فيفتن الناس ويقولون لو كانت الفئة المؤمنة مع موسى واخيه على الحق لما هزمت امام فرعون وظلمه ، وطلبوا من الله ان ينجيهم من فرعون وطغيانه (٣) ٠

ونستخلص من الاية السابقة التنبيه الاتي : انه ينبغي على الداعي ان يقدم التوكل على الله قبل ان يتضرع بدعائه لكي تجاب دعوته (٤) ٠

---

١) سورة يونس اية : ٨٤ ، ٨٥ ٠
٢) انظر تفسير الكشاف ، ج:٢ ، ص ٢٠٠٠
٣) انظر التفسير الواضح ، مجلد : ٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ ، وانظر تفسير الفخر الرازى ، مجلد : ٩ ، ج:١٧ ، ص ١٥٢ ، وايضا تفسير روح المعاني ، مجلد : ٤ ، ج:١١ ، ص ١٧٠٠
٤) انظر تفسير روح البيان لاسماعيل حقي ، مجلد : ٤ ، ص ٧٤ ، ط (لايوجد) دار الفكر ٠
*) الزمخشري : هو محمود بن عمر بن محمد بن احمد ابو القاسم الزمخشري الخوارزمي يلقب بجار الله لانه سكن بمكة مدة من الزمن وهو نحوي ولغوي ومفسر من مصنفاته : " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل " وله " الفائق في غريب الحديث واساس البلاغة " ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر ، ت ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ ٠
انظر طبقات المفسرين للداودي ، ٢/٣١٤-٣١٧ ، رقم(٦٢٥) وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٤٨ ، رقم (١٢٧) وبغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد ابو الفضل ٢/٢٧٩ ، ط:١ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٤/٧٨ ، رقم (٨٣٦٧) طبعة دار المعرفة بيروت ٠

ولانهم كانوا مخلصين فى توكلهم اجاب الله دعاءهم بان اوحى الله الى موسى عليه السلام ان اخرج انت وقومك ليلا من مصر وخفية، لان العيون ترقب تحركاتكم وأخذ عليه السلام الحذر، ولم يخرجهم هذا الحذر من توكلهم على الله .

وحينما علم فرعون بالخروج الخفى لموسى ومن معه، جمع فرعون جنوده ولحق بهم وبلغ الكرب مداه حتى قال اصحاب موسى انا لمدركون واجابهم موسى عليه السلام قائلا : " قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ "(١) .

وعندما وصل موسى عليه السلام وقومه البحر اوحى الله له ان يضرب البحر بعصاه ، قال تعالى : " فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ "(٢) .

وانجى الله موسى وقومه فقطعوا البحر بسلام امنين ، وحينما تبعهم فرعون وجنوده اطبق عليهم البحر فاغرقهم اجمعين .

ثامنا : يونس عليه السلام

ارسل الله سبحانه يونس عليه السلام الى اهل " نينوى " وهى قرية فى ارض الموصل ببلاد العراق يبلغ تعداد سكانها انذاك مائة الف او يزيدون .

دعاهم يونس عليه السلام الى عبادة الله وترك عبادة الاصنام فلم يستجيبوا له فى بداية الامر شأنهم شأن اكثر القرى الاخرى مع انبيائها(٣) قال تعالى : " وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا "(٤)

واستمر يدعوهم لمدة من الزمن ويعظهم ، ولكنه عليه السلام لم يلق منهم الا الكفر والعناد والاصرار على الشرك فضاق بهم ، وأوعدهم بنزول العذاب

---

١) سورة الشعراء اية : ٦٢ .

٢) سورة الشعراء اية : ٦٣ .

٣) انظر مع الانبياء ، ص ٣٠٦ .

٤) سورة الاسراء اية : ١٧ .

عليهم ان لم يؤمنوا ، وغادرهم مغاضبا قبل ان يأذن الله له بالخروج ظانا ان الله سبحانه لن يحاسبه على هذا الخروج بسبب تركه للقرية ، قال تعالى : " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ "(١) .

ذكر البيضاوي* فى التفسير انه عليه السلام ذهب مغاضبا لقومه ، لما واجهه منهم من العنت وشدة الشكيمة ، حيث طالت دعوته لهم ولم يؤمنوا، بل تمادوا فى الاصرار على الشرك(٢) .

ولم يكن عليه السلام مغاضبا لربه، فان ذلك معصية وحاشا لله ان يقع النبى فى معصية، إذ أن الانبياء معصومون عن المعاصى(٣) .

وذهب عليه السلام تجاه ساحل البحر فوجد سفينة مشحونة فركب فيها وحينما توسطت البحر هاج الموج واضطربت فى سيرها، وادرك ربان السفينة ، انه لامناص من القاء احد الركاب واستهموا بينهم فوقع السهم على يونس عليه السلام، فألقى فى البحر فالتهمه الحوت بامر الله ، دون ان يخدش جسمه او يكسر عظمه ولبث فى بطن الحوت مدة من الزمن ، اختلف المفسرون فيها ، والله اعلم بها .

وبدأ عليه السلام يستنجد الله ويستغيثه ويسبحه ويستغفره وينادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ، وقبل الله التوبة

---

١) سورة الانبياء اية : ٨٧ .
٢) انظر تفسير البيضاوى ، ص ٤٣٥ .
٣) انظر النبوة والانبياء للصابونى ، ص ٣ . ٣ .
* البيضاوى : هو الامام ناصر الدين ابو الخير ، عبد الله بن عمر الشيرازى البيضاوى ، كان اماما علامة بالفقه والتفسير والعربية والمنطق وكان صالحا متعبدا زاهدا شافعى المذهب ، ولد بالقرب من شيراز بفارس من مصنفاته تفسيره " انوار التنزيل واسرار التأويل " و " مختصر الكشاف" و " المنهاج فى الاصول " ت سنة ٦٨٥ هـ وقيل سنة ٦٩١هـ ، انظر ترجمة فى طبقات المفسرين للداودى ١/٢٤٢، ٢٤٣ رقم (٢٣٠) والبداية والنهاية ١٣/٣٠٩ ، وبغية الوعاء ، ٢/٥٠ رقم (١٤٠٦) وهداية العارفين ، ١/٤٦٢ ، ٤٦٣ ، والاعلام للزركلى ٤/١١٠ ، ط : ٣ .

منه والانابة والاستسلام والخضوع والتوكل فانجاه من الغم ، قال تعالى : " فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ "(١) .

وحينما اشتد جسمه عليه السلام ، واصبح قادرا على السير ، عاد الى قومه فدعاهم الى الايمان بالله فامنوا ، فكشف الله عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعهم الى حين "(٢) .

قال تعالى : " فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ "(٣) .

تاسعا : محمد صلى الله عليه وسلم

ان سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لجديرة بالوقوف عندها طويلا والتأمل في احداثها ، وادامة النظر فيها ، لاستلهام العبر والعظات منها ، فهي تحتاج الى صفحات كثيرة ، ولضيق المساحة في هذا البحث نختصر قدر الامكان مسلطين الضوء على توكله صلى الله عليه وسلم في بعض المواقف في سيرته العطرة .

لقد امر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ان يلتزم فضيلة التوكل في كثير من الايات القرآنية منها الاتي :-

١) قال تعالى : " فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "(٤) . فهو خطاب رباني لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ان يعبد الله ويتوكل عليه ويداوم في دعوته ، وتبليغه لقومه ، ولايبالي بالذين لايؤمنون ولايضيق صدره ، فان الله يعلم مايفعل المشركون "(٥) .

---

١) سورة الانبياء اية : ٨٨ .

٢) انظر قصص الانبياء للنجار ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

٣) سورة يونس اية : ٩٨ .

٤) سورة هود اية : ١٢٣ .

٥) انظر روح المعاني ، مجلد : ٤ ، ج: ١٢ ، ص ١٦٧ .

٢) قوله تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ " (١) .

اى توكل على الله سبحانه القادر على قهر الاعداء ، ونصر اوليائه المتوكلين فتوكل انت ومن معك على الله ، فانه ناصركم على الكافرين (٢) .

٣) قال تعالى : " فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الحَقِّ المُبِينِ " (٣) ، قال الرازى* فى التفسير " أمره بعد ظهور حجة رسالته بان يتوكل على الله ولايلتفت الى اعداء الله، ويشرع فى تمشية مهمات الرسالة بقلب قوى " (٤) .

والامر هنا ينسحب على جميع المؤمنين بان يتوكلوا على الله طالما انهم على الحق الواضح البين فان الله ناصرهم على اعدائهم .

٤) قال تعالى : " وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لَايَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا " (٥) .

فى الاية امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يثق بالله ويتوكل عليه لانه الحى الذى لايموت فهو سبحانه حقيق بان يتوكل عليه الانسان ولايتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون (٦) .

٥) قال تعالى : " رَبُّ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا " (٧) وحذره من طاعة الكافرين والمنافقين وامره بالتوكل عليه قال تعالى : " وَلَاتُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا " (٨) .

---

١) سورة الشعراء ، اية : ٢١٧ .
٢) انظر تفسير ابو السعود ، ج: ٦ ، ص ٢٦٨ .
٣) سورة النمل اية : ٧٩ .
٤) تفسير الفخر الرازى ، مجلد : ١٢ ، ج: ٢٤ ، ص ٢١٦ .
٥) سورة الفرقان اية : ٥٨ .
٦) انظر تفسير الكشاف ، ج: ٣ ، ص ١٠٢ .
٧) سورة المزمل اية : ٠٩ .
٨) سورة الاحزاب اية : ٤٨ .

* الرازى : هو محمد بن ضياء الدين عمر بن الحسين بن على الشهير بفخر الدين الرازى كان امام عصره فى العلوم العقلية والنقلية وله باع طويل فى التفسير وكان متكلما وزاهدا وكان امام الاحناف فى عصره .

من مصنفاته " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب " و " شرح الاسماء الحسنى " ولد سنة ٥٤٤ هـ ، ت سنة ٦٠٦ هـ ، انظر البداية والنهاية ، ١٣/٥٥، والاعلام للزركلى ٦/٣١٣، ط: ٦ وتذكرة الحفاظ لابى عبد الله شمس الدين الذهبى ٣/٩٥٩ ، ط: ٧ دار احياء التراث العربى ببيروت ، وشذرات الذهب ٥/٢١ منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت .

وكان توكله صلى الله عليه وسلم يمنعه من وصول كيد الاعداء ان يصل اليه حيث جاء في الحديث الشريف ، عن جابر بن عبد الله قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفه بنخل فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحرث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من يمنعك منى قال كن كخير آخذ ، قال : أتشهد ان لا اله الا الله ، قال : لا ولكنى اعاهدك ان لا اقاتلك ولا اكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، قال : فذهب الى اصحابه قال قد جئتكم من عند خير الناس .."(١) .

توكله صلى الله عليه وسلم اثناء الهجرة:

لقد استنفذت قريش كل اغراضها من الاغراء والتهديد والترغيب والتعذيب ضد المسلمين ، لكى توقف دعوة الاسلام ، الا انها باءت بالفشل الذريع ، وذلك لتمكن عقيدة الاسلام في نفوس المؤمنين ، لذلك قرروا استخدام القوة فتآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدبروا محاولة لاغتياله ، وهذا هو تفكير الجاهلية في كل حين تجاه اصحاب الدعوة الى الله ، وهذا منطقهم القائم على السفك والسحل والذبح ليحافظوا على السلطة والحكم ليبقى في ايديهم.

وارادوا التخلص من صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم فاختاروا من كل قبيلة شابا جلدا وحاصروا النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ليميلوا عليه ميلة واحدة بسيوفهم ، فيتوزع دمه على القبائل ، فلا تعرف قبيلته من القاتل ، ولكن الله سبحانه أطلعه على مكرهم وامره بالخروج فخرج صلى الله عليه وسلم بعد ان غشيهم النعاس فهم لايبصرون ، وأخذ يحثوا التراب على رؤوسهم(٢) . مُرددا قوله تعالى : " لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ "(٣) .

---

١) اخرجه مسلم ، ج:١ ، ك: صلاة المسافرين وقصرها ، باب : صلاة الخوف ، ص ٥٧٦ ، حديث رقم (٨٤٣) هكذا من حديث طويل واخرجه الامام احمد في المسند ، ج:٣ ص ٣٦٥ ، ٣٩٠ .

٢) سيرة ابن هشام المجلد : ٢ ، ص ٤٨٢ ، ٤٨٣ ط: ٢ (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣) سورة يس اية : ٧ - ٩ .

وخرج صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ابى بكر الى غارثور ولكن عيون الكفر لم تنم عن البحث عنهما ، وقلوبهم لم تهدأ فأرسلوا فى اثرهما ، وجعلوا لكل من يأتي بخبرهم مائة من الابل [١] .

وذهب القوم ارسالا وزرافات [٢] يبحثون فى أثره وأثر صاحبه ولكن هيهات هيهات ان يدركوه ، لان عناية الله ورعايته احاطت بالمؤمنين المتوكلين وحفظتهم ويقترب المشركون من الغار فيرسل الله حمامتين لتبيضا على فم الغار ، وجعل العنكبوت ينسج خيوطه وعندما وصل المشركون الى الغار عميت بصيرتهم .

ويجزع ابوبكر ويخاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول لو نظر احدهم تحت قدميه لعلم بوجودنا فيرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم -وهو قدوة المتوكلين- مهدئا من روع ابى بكر ومطمئنا له برعاية الله وكفالته للمتوكلين على الله قائلا : " يا ابابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما " [٣] .

وقال صاحب المنار : " ان هذا مقام التوكل الكامل لان الكافرين بالغوا فى ايذائه وليس له من الاسباب مايكفى لمقاومتهم ومدافعتهم والعرب كلها إلبٌ واحدٌ مع قومه عليه فكان المقام مقام التوكل الكامل " [٤] .

لقد صور القرآن الكريم هذا الحدث العظيم بقوله تعالى : " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [٥] .

---

١) انظر سيرة ابن هشام ، مجلد : ١ ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

٢) ارسالا وزرافات : اى جماعات من الناس ، انظر القاموس المحيط ، ص ١٠٥٤ .

٣) انظر تفسير ابن كثير ، ج: ٢ ، ص ٣٥٨ ، وتفسير البيضاوى ، ص ٢٥٤ ، وايضا امتاع الاسماع للمقريزى ، ج: ١ ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

٤) تفسير المنار ، ج: ٤ ، ص ٢١٤ .

٥) سورة التوبة اية : ٤٠ .

توكله صلى الله عليه وسلم يوم بدر :

عندما اجتمع المسلمون واستعدوا للمعركة ، نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُقَوِّمَ صفوف الجيش ، وامرهم ان لايبادروا الاعداء بالهجوم حتى يأمرهم بذلك ، وان هاجموهم فليرشقوهم بالنبال وان لا يسلوا السيوف حتى يغشوهم ، ثم رجع الى العريش الذي بنوه له صلى الله عليه وسلم ليشرف على المعركة.

واقبلت قريش نحو الوادى فى الصباح فلما رآها النبى صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تعاديك وتكذب رسولك ، فنصرك الذى وعدتنى اللهم احنهم الغداة ، ثم نظر الى اصحابه وهم ثلاثمائة رجل وبضعة عشر رجلا ونظر الى المشركين فاذا هم الف وزيادة ، فاستقبل القبلة ومَدّ يده وجعل يهتف بربه " اللهم انجز لى ماوعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لاتعبد فى الارض فما زال يهتف بربه مَادّاً يديه ، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه ، فأخذ ابوبكر بيده وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ماوعدك[1].

فانزل الله تعالى : " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ "[2].

وقد يتوهم بعض الناس وخاصة من ضعاف العلم ، عدم صحة الرواية التى وردت فى معظم كتب السيرة القديمة والحديثة ، لانه يتوهم انها تدل على ان ابابكر رضى الله عنه كان اشد توكلا وثقة بوعد الله من رسوله صلى الله عليه وسلم ، لان الصديق كان يسلى النبى يوم بدر ويخفف عنه ويقول " حسبك يارسول الله الححت على ربك ".

---

١) انظر سيرة ابن هشام مجلد : ١ ، ص ١٢٦ ، وايضا تفسير المنار ، مجلد : ٩ ، ص ٥٥٦ وايضا مع الانبياء فى القرآن الكريم ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١.

٢) سورة الانفال اية : ٩.

والصحيح ان هذه الدلالة غير صحيحة وليس لها اسباب من الصحة ، اذ ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بالاسباب وعمل جهده ، واعد العدة ثم توجه الى الله يطلب منه النصر ، فكان صلى الله عليه وسلم فى قمة التوكل على الله ، خاصة لانها كانت معركة الفرقان بين الحق والباطل ٠

ولايجوز لاحد ان يتوهم ان ابابكر كان اوثق من النبى صلى الله عليه وسلم فى التوكل للاسباب التالية :-

١) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اطال فى الدعاء والتضرع الى الله يوم بدر، لشفقته على اصحابه ولكى يرفع من الروح المعنوية لديهم لانهم يعلمون ان دعاءه مستجاب ٠

٢) ان ابا بكر قال للنبى صلى الله عليه وسلم كف عن ذلك ، لانه رضى الله عنه، علم انه استجيب له ، لما وجد فى نفسه من القوة والطمأنينة والروح المعنوية العالية التى نشأت فى نفسه من خلال رؤيته لهيئة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كان عليها ٠

٣) ان ابابكر كان خائفا يوم غار ثور ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطمئن فيه ويسكن من روعه ، وبذلك يكون النبى صلى الله عليه وسلم اوثق بثقته وتوكله على ربه وهو القدوة الحسنة للمؤمنين جميعا فى جميع المجالات الحياتية (١) ٠

---

١) انظر تفسير المنار ، ج:٤ ، ص ٢١٤ ، ج:٩ ، ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ٠

الفصل الخامس

شبهات وآراء خاطئة حول التوكل

الفصل الخامس

شبهات وآراء خاطئة حول التوكل

مقدمة الفصل

المبحث الاول: شبهات حول التوكل

الشبهة الاولى : طلب الرزق الحلال ينافى التوكل.

الشبهة الثانية : التوكل لايحصل به جلب منفعة ولادفع مضرة.

الشبهة الثالثة : الدعاء لايحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة.

الشبهة الرابعة : ان مايوجد بسبب يوجد بدونه وما يوجد مع عدم المانع يوجد مع المانع .

الشبهة الخامسة: التداوى يخل بالتوكل .

الشبهة السادسة : التوكل يعنى دخول البادية بغير زاد

الشبهة السابعة : التوكل يتنافى مع الادخار

المبحث الثانى : اقوال واراء خاطئة حول التوكل.

الخاتمة: تحتوى على الاتى :

١) نتائج البحث العامة .

٢) نتائج البحث الخاصة.

٣) توصيات .

الفصل الخامس

شبهات وآراء خاطئة حول التوكل

مقدمة

ان نظرة واحدة فى تاريخ الامة الاسلامية قديما وحديثا وما وصلت اليه من فراغ وارتماء فى احضان الذيلية الغربية او الشرقية تكفى لان توضح ان اعداء الله استغلوا كافة الوسائل السامة لتضليل المسلمين ، فافلحوا فى ابعادهم عن معتقداتهم السامية ، وذلك ليسهل عليهم استعمار الشرق الاسلامى واستعباد اهله وامتصاص خيراتهم .

وفعلا نفذت الخطة الاستعمارية الماكرة باحكام فى الشرق الاسلامى فأصبح ابناء المسلمين لايعرفون من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه ، وكان ذلك نتيجة الشبهات السامة والتحريفات الضالة التى نسجوها بليل ضد الاسلام والمسلمين.

وقد كانت فكرة تحريف مضمون التوكل واحدة من وسائلهم الخبيثة التى استغلوها اشنع وابشع استغلال فى بث افكارهم المسمومة ، فجندوا اقلامهم المأجورة من المستشرقين والمبشرين للقيام بهذه المهمة حتى حققوا ما ارادوا من امة الاسلام ، واصبح التوكل تواكلا فى نظر البعض من ابناء الامة الاسلامية.

وبذلك اصبح التوكل سلاحا خطرا فى ايديهم بعد ان كان سلاحا موجها الى صدورهم ونحورهم ، يوم ان كان المسلمون متوكلين على الله حق توكله.

وعملية تحريف مضمون التوكل عن حقيقته ، تضمنت شبهات كثيرة منها ان التوكل يعنى القعود عن طلب الرزق ، طالما ان ارزاق العباد مقدرة عند الله ، وان التوكل لايجلب منفعة ولايدفع مضرة ، وقالوا ان مايوجد بسبب يوجد بدون سبب ،وذلك لقتل روح العمل والجهاد فى نفوس الناس عن طريق هذه المفاهيم الخاطئة حول التوكل .

لذلك كان لزاما ان نوضح هذه الشبهات الغبية حول التوكل ، ومناقشتها بالحجة والبيان والادلة التى تُبطلها فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وتوضيح الصورة الصحيحة للتوكل التى تعنى الاخذ بالاسباب والعمل والنشاط والحركة والجهاد فى جميع مجالات الحياة لبناء المجتمع الاسلامى الذى لايعرف الانعزال والانطوائية او التطفل بل فيه الجميع يشارك ويعمل من اجل النهوض بالامة الى المستوى القيادى المنوط بها قال تعالى "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"(1) .

وقوله تعالى : " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"(2) .

ومن خلال النظر فى تاريخ الاسلام يوم ان كان اهله متوكلين على الله وما حققوه من تقدم وسبق فى جميع مجالات الحياة للبشرية عامة يلجم اصحاب الشبهات المتقولين على الاسلام وتلزمهم الحجة بأن ماطرأ على المسلمين من ضعف وخمول لم يصيبهم الا بعد ان تركوا التوكل على الله .

وبذلك يكون الاسلام بريئاً من التواكل والاتكالية ، التى جردت المسلمين من كل معانى القوة الصالحة لحياة الفرد والمجتمع كما سنوضح فى هذا الفصل باذنه تبارك وتعالى .

المبحث الاول
شبهات حول التوكل

الشبهة الاولى

زعم قوم من اهل التقشف " ان الكسب والسعى لطلب الرزق الحلال لايحل الا عند الضرورة،واعتبروه بمنزلة الميتة فى درجة الحرمة وقالوا ان الكسب ينفى التوكل على الله او ينقص منه وقد امرنا بالتوكل"(3) .

---

1) سورة آل عمران اية : ١١٠ .
2) سورة آل عمران اية : ١٠٤ .
3) انظر الاكتساب فى الرزق المستطاب للشيبانى ، ص ٢١ .

تزعم هذه الشبهة قديما شقيق البلخى رحمه الله فقال " انه لما ضمن الله تعالى الرزق والكفاية كانت الحركة شكا فيما ضمن "(١) ٠

وروّج لهذه الشبهة والقول الخاطىء ، علماء الاستشراق منهم المسيو هانوتو* ومعه المسيو كيمون فى كتابه " باثولوجيا الاسلام " والمسيو ارفنج مؤرخ " حياة الرسول " حيث اتهموا الاسلام بالجمود والتواكل والتقاعد عن الكسب والتحصيل وكان الدافع لذلك هو زحزحة المسلمين عن حقيقة الاسلام ليسهل عليهم استعمار بلاد المسلمين (٢) ٠

واتّبع القومَ فى شبهتهم الخاطئة بعضُ الفرق الاسلامية فخالفوا الكتاب والسنة وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم ٠
ودعموا شبهتهم بادلة من الكتاب والسنة بعد ان أولّوا الايات والاحاديث عن تفسيرها الصحيح وحملّوها بما لاتحتمله من تفسير غير سليم ٠

واليك ادلة القوم فى تثبيت شبهتهم مع الرد على كل دليل وهى تتمثل فى الاتى :-

الدليل الاول : قالوا ان الكسب ينفى التوكل وينقص منه ، وامرنا الله فى ايات كثيرة بالتوكل منها قوله تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(٣) ٠وقوله : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "(٤) ٠
وعلى ذلك قالوا لايمكن ان نؤمر بالكسب ، الذى يتضمن نفى ما أُمرنا به من التوكل على الله ، واعتبروا السعى لكسب الرزق حراما واستندوا الى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

١) الرزق الحلال وحقيقة التوكل للمحاسبى ، ص ٥٩٠
٢) انظر الاسلام فى قفص الاتهام ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤٠
٣) سورة آل عمران اية : ١٦٠٠
٤) سورة المائدة اية : ٢٣٠

* هانوتو : مستشرق فرنسى كان وزيرا للخارجية فى فرنسا قبل نصف قرن ٠

" لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا "[(١)] .

الرد عليه :

ان ما اختلقوه من وجود تنافر بين الامر بالتوكل والكسب ليس له اساس من الصحة ، بل الصحيح اننا امرنا بالتوكل في الكثير من الايات كما اننا امرنا بالسعي لكسب الرزق الحلال في كثير من الايات والاحاديث النبوية الشريفة ، منها قوله تعالى : " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "[(٢)] . وقوله تعالى : " هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "[(٣)] ، والحديث الذي استشهدوا فيه هو حجة عليهم ، وليس لهم فيه اى دليل ، لان الحديث يدل على السعي والحركة في طلب الرزق والكسب ، لانه حينما تحدث عن الطير وصفها ، بانها تغدو وتروح ، والغدو هو الذهاب المبكر دليل السعي والحركة ، ولم يصفها بالقعود في اوكارها فيأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، بل انها سعت وراحت وغدت مبكرة ، لتبحث عن رزقها ، فرزقها الله وعادت بطانا[(٤)] .

<u>الدليل الثاني:</u> استدلوا بقوله تعالى : " وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ "[(٥)] .

قالوا ان هذه الايات فيها حث على ترك الاشتغال بالكسب ، لانه سبحانه وتعالى اقسم ان ما قدر للانسان من الرزق فانه آتيه لامحالة سواء عمل ام لم يعمل سعى او جلس في بيته ، وعليه جلس القوم وزعموا ان القعود في البيت والتفرغ للعبادة افضل من الحركة ، لان الله ضمن للخلق ارزاقهم وتولى في ذلك كفايتهم ، واعتبروا ترك الحركة والسعي وانتظارهم الوقت حتى يأتي الرزق افضل[(٦)] .

---

١) سبق تخريجه ، ص ١٨ .
٢) سورة الجمعة اية : ١٠
٣) سورة الملك اية : ١٥ .
٤) انظر التنوير في اسقاط التدبير ، ص ٩٧ .
٥) سورة الذاريات اية : ٢٢ ، ٢٣ .
٦) انظر الرزق الحلال وحقيقة التوكل ، ص ٦٢ .

الرد عليه :

استدلالهم بالايات السابقة ليس فى مكانه ، لانه لم يقل احد من المفسرين ، ان الايات تعنى القعود عن الحركة فى طلب الرزق وتحصيل الكسب الحلال ، بل المراد بالرزق فى الاية المطر الذى ينزل من السماء ، فيحصل به النبات الذى يسمى رزقا ، وهو قول الجمهور (١) .

ولايمكن ان يتصور عاقل ، ان ينبت له نبات دون حرث الارض والقاء البذور فيها ، كما انه لايمكن ان يأتى الولد دون وقاع الزوجة ، إذاً لابد من السعى والحركة حتى يحصل الانسان على رزقه المقدر من الله سبحانه وتعالى .

الدليل الثالث :- اعتمدوا قوله تعالى : " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ " (٢) .

فقالوا : ان الانسان خلق للعبادة على سطح هذه الارض واعتبروا ان الكسب يلهيه ويؤخره عن عبادة ربه ، وعليه اعتبروا الكسب حراماً لمنافاته للامر بالعبادة .

الرد عليه :

ان القوم فسروا الاية بمالاتحتمله حيث انهم حصروا العبادة فى تأدية الشعائر فقط ، وهذا لم يقل به احد من العلماء ، بل ان كل عمل يقوم به الانسان على سطح هذه الارض يبتغى به مرضات الله فهو عبادة ، يثاب عليه اذا خلصت نيته مع الله . ويقول القرضاوى* بخصوص ذلك كلاما طيبا ، حيث يعتبر كل عمل يقوم به العباد ، عبادة اذا صلحت النية، يقول : " كل عمل

---

١) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٨ ، ص ٣٤ ، وايضا تفسير التنوير والتحرير ، ج:٢٦ ، ص ٣٥٤ .

٢) سورة الذاريات اية : ٥٦ - ٥٧ .

* يوسف القرضاوى كاتب اسلامى معاصر .

يمسح به الانسان دمعة محزون او يجفف به كربة مكروب ، او يضمد به جراح منكوب ، او يسد به رمق محروم ، او يشد به ازر مظلوم او يُقيل به عثــرة مغلوب ، او يقضى به دَيناً عن غارم مثقل ، او يأخذ بيد فقير متعفف او يهدي حائرا او يعلم جاهلا ، او يؤوى غريبا او يدفع شرا عن مخلوق او اذى عــن طريق او يسوق نفعا الى ذى كبد رطبة فهو عبادة وقربه الى الله اذا صلحــت فيه النية .

ويقول ايضا واعجب من هذا ان النبى صلى الله عليه و سلم يجعل الاعمـــال الدنيوية التى يقوم بها الانسان لمعيشته والسعى على نفسه واهله من ابواب العبادة والقربان الى الله ، وان لم يتعد نفعها دائرته الشخصية والاسريــة ، فالزارع فى حقله والعامل فى مصنعه والتاجر فى متجره والموظف فى مكتبه وكـل ذى حرفة فى حرفته يستطيع ان يجعل من عمله المعاشي صلاة وجهادا فى سبيـل الله اذا ابتغى مرضاة الله واخلص النية فى العمل " (١) .

وبذلك يتضح ان العبادة ليس كما زعم القوم وانما شاملة لكل حركة وفعـــل يقوم به الانسان على سطح هذه المعمورة .

الدليل الرابع: قالوا ان ماذكر فى الايات القرآنية من البيع والشراء والتجارة ليس المراد منه التصرف فى المال والكسب ، بل المراد تجارة العبد مع ربــه من بذل للنفس فى طاعة الله ، والاشتغال بالعبادة فهى التجارة بين العبد وربه ، وهى المقصودة فى الايات واعتمدوا قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَــلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِــي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (٢) . وايضا قولــه تعالى : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُــرْآنِ

١) العبادة فى الاسلام ، ص ٥٦ ، ٦١ .

٢) سورة الصف اية : ١٠ ، ١١ .

وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "(١) .

وعلى ذلك اعتبروا ان المراد بالبيع والتجارة فى القرآن الكريم هو بذل النفس فى الجهاد والطاعات ، لينال الانسان الثواب العظيم فى الاخرة .

الرد عليه :

ان دعواهم بان ما جاء من ذكر للبيع والشراء فى القرآن الكريم لايكون فى العقود المالية والتجارية ، فهو ادعاء باطل حيث جاءت النصوص القرآنية صريحة فى ذكر التجارة بالمال ولكسب القوت الحلال فى قوله تعالى : " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ "(٢) .

والمراد بـ (فضل الله) اكتساب المال والرزق عن طريق التجارة بعد المنع منها اثناء الصلاة ، حيث قال الفقهاء يقع البيع باطلا فى حق من يلزمه فرض الجمعة اذا باع اثناء الصلاة(٣).

وجاء فى قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ "(٤) . نص صريح فى البيع والشراء وكتابة الدين الى اجله .

وعليه يكون ان ما استدل به القوم من الايات لايعمم على ايات القرآن الكريم كلها ، وبهذا يبطل دليلهم فى استدلال حجتهم .

الدليل الخامس:

زعم القوم ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يلزمون المسجد بالعبادة فلا

---

١) سورة التوبة اية : ١١١ .
٢) سورة الجمعة اية : ١٠ .
٣) انظر تفسير التنوير والتحرير ، ج:٢٨ ، ص ٢٢٧ وايضا تفسير زاد المسير ، ج:٨ ، ص ٢٦٨ .
٤) سورة البقرة ، اية : ٢٨٢ .

يشتغلون بالكسب وكذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من اعلام الصحابة لم يشتغلوا بالكسب وهم الائمة لهذه الامة والقدوة الحسنة (١) ٠

الرد على هذا الزعم :

ليس صحيحا مازعموه من ان الصحابة كانوا لايشتغلون بالكسب ، بل الوارد عنهم رضوان الله عليهم انهم كانوا يعملون ويكسبون ويشتغلون بالتجارة وغيرها من الاعمال التى تعود عليهم بالنفع وعلى الناس ، ويتصدقون من اموالهم ، فابوبكر الصديق رضى الله عنه حينما اصبح خليفة للمسلمين اخذ الاثواب على كتفه كعادته وذهب الى السوق ليتجر، فاجتمع اليه الصحابة وقالوا : وخلافة المسلمين ماذا تصنع بها ، قال : ومن يُعيّش أهلى ، ففرضوا له من بيت المسلمين ليتفرغ لشؤون الخلافة (٢) ٠

وبذلك يتبين ان ادلة القوم ليس لها اساس من الصحة فى ان طلب الرزق والسعى من اجل الكسب الحلال لايجوز على حد زعمهم ، وبعد ان ابطلنا ادلتهم بالحجة والبيان ، لابد وان ناتى بالادلة المقنعة التى تأمر بالسعى من اجل الحصول على الكسب الحلال من الكتاب والسنة وعمل الصحابة واليك هذه الادلة :-

اولا : <u>من الكتاب</u> :

١) قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَاكَسَبْتُمْ " (٣) ٠

ان هذه الاية تأمر بالانفاق من الكسب الطيب الحلال فهى نص صريح على الكسب الحلال وهو ياتى عن طريق العمل والاشتغال بالتجارة وغيرها من الاعمال الحلال٠

٢) قال تعالى : " رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَابَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاقَامِ الصَّلَاةِ وَاِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْاَبْصَارُ " (٤) ٠

---

١) الاكتساب فى الرزق المستطاب ، ص ٢٢٠

٢) انظر تلبيس ابليس ، ص ٢٧٤٠

٣) سورة البقرة اية : ٢٦٧٠

٤) سورة النور اية : ٣٧٠

اى لاتشغلهم (تجارة ولابيع) عن فعل الطاعات من ذكر وصلاة وزكاة وعليه فتكون التجارة والبيع مأموراً بها بحيث ان لا تلهى عن القيام بالفرائض [(١)] .

٣) قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ " [(٢)] .

ان الاية تحرم انواع المكاسب التى هى غير مشروعة كالربا والقمار وغير ذلك وتحلل التجارة المشروعة التى تكون عن تراض من البائع والمشترى ، ويتسبب فيها الانسان بتحصيل الاموال الحلال التى تعينه فى الحياة [(٣)] .

٤) قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ " [(٤)] .

فالاية فيها ارشاد للمسلمين كيف يتعاملون فى متاجرتهم وتبصرهم فى مكاسبهم التجارية ، وغيرها من المعاملات فى البيع والشراء .

٥) قال تعالى : " وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا " [(٥)] .

الخطاب هنا لمريم عليها السلام ، وهى فى حالة المخاض ، امرها بهز جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب ، وهو سبحانه قادر على انزاله دون تكليفها بهز النخلة .

وبذلك يكون الاخذ بالاسباب والسعى والحركة للحصول على الرزق جزءاً من عقيدة المسلم لاينبغى التخلى عنه والجلوس حتى يأتى الرزق ، فالسماء لاتمطر ذهبا ولافضة ولاشيئا من ذلك .

٦) وفى قصة موسى قوله تعالى : " وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى " [(٦)] .

---

١) انظر تفسير زاد المسير ، ج:٦ ، ص ٤٧ .
٢) سورة النساء اية : ٢٩ .
٣) انظر تفسير ابن كثير ، ج:١ ، ص ٤٧٩ .
٤) سورة البقرة اية : ٢٨٢ .
٥) سورة مريم اية : ٢٥ .
٦) سورة طه اية : ١٧ - ١٨ .

فيها دليل على السعي والحركة لطلب الرزق، وانه عليه السلام اشتغل بالرعي وذلك لكسب الرزق الحلال في هذه الحياة .

٧) وفي قصة شعيب وموسى - عليهما السلام - قال تعالى: " قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ "[1] .

الاية تدل على العمل والكسب وتوضح ان موسى عليه السلام اشتغل اجيرا عند شعيب عليه السلام، مقابل ان ينكحه احدى ابنتيه[2] .

٨) وفي قصة داود قوله تعالى: " وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ "[3] قال المفسرون كان عليه السلام يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجين يعمل به مايشاء ، فيصنع الدرع الواحد في بعض يوم ، فيبيعه بمال فيأكل منه ويتصدق[4] .

ثانيا: من السنة:

الادلة على اثبات السعي لطلب الرزق الحلال في السنة النبوية كثيرة نكتفي بهذا القدر منها :-

١) جاء في الحديث الشريف ان نبي الله داود عليه السلام كان يفضل ان يكسب رزقه من عمل يده حيث جاء في الحديث الصحيح عن المقداد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما اكل احدٌ طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[5] .

---

١) سورة القصص، اية : ٢٧.
٢) انظر تفسير البيضاوي ص ٥١٤.
٣) سورة سبأ، اية : ١٠ - ١١.
٤) انظر تفسير زاد المسير ، ج: ٦ ، ص ٤٣٧.
٥) سبق تخريجه ، انظر ص ٢٢٣.

٢) وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على العمل وكان يوجده للناس ، وحارب القعود عن طلب الرزق حيث جاء عن مولى عبدالرحمن بن عوف ، انه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لان يحتطب احدكم حزمة على ظهره خير من ان يسأل احدا فيعطيه او يمنعه (١) .

٣) عن انس بن مالك قال : " قال رجل يارسول الله اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل ، قال اعقلها وتوكل " (٢) .

٤) وجاء عن انس رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فمنا الصائم ، ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلا فى يوم حار اكثرنا ظلا صاحب الكساء ، ومنا من يتقى الشمس بيده ، قال : فسقط الصوّام ، وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ذهب المفطرون اليوم بالاجر " (٣) .

ثالثا : من اعمال الصحابة والتابعين:

١) التوكل يعنى السعى والحركة والقاء الحب فى الارض من اجل الحصول على الرزق الحلال ، حيث اخرج ابن ابى الدنيا* فى كتابه التوكل عن معاوية بن مرة قال : " مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم فقال من انتم فقالوا : المتوكلون ، قال : بل انتم المتأكلون ، انما المتوكل رجل القى حبه فى بطن الارض وتوكل على الله عز وجل " (٤) .

---

١) سبق تخريجه ، انظر ص ١٢٣ .

٢) سبق تخريجه ، انظر ص ١٩ .

٣) اخرجه مسلم فى الصحيح ، ج:٢ ، ك الصيام ، باب : اجر المفطر فى السفر اذا تولى العمل ، ص ٧٧٨ ، حديث رقم ١١١٩ ، واخرجه النسائى ، مجلد : ٢ ، ج: ٤ ، ك: الصيام ، باب : فضل الافطار فى السفر على الصيام ، ص ١٨٢ واخرجه ابن ماجة ، ج:١ ، ك: الصيام ، باب : ماجاء فى الصوم فى السفر ، ص ٥٣٢ ، حديث رقم ١٦٦٣ .

٤) اخرجه ابن ابى الدنيا فى كتابه التوكل على الله ، ص ٢٦ ، تحقيق مجدى السيد ، ط (لايوجد) مكتبة القرآن .

* ابن ابى الدنيا : هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس يكنى بابى الدنيا ، له مصنفات كثيرة منها حسن الظن بالله ، اصلاح المال ، العقل وفضله ، والتوكل على الله ، ومحاسبة النفس ومكارم الاخلاق (وهى تزيد على ١٠٠ مؤلف) شيوخه احمد بن ابراهيم الدرقى واسماعيل القاضى وابن منيع ومن تلاميذه الحارث بن ابى اسامة واحمد الدنيورى واحمد بن خزيمة ، ولد سنة ٢٠٨ هـ ، ت ٢٨١ هـ . انظر ترجمته الجرح والتعديل ١٦٣/٥ ، تاريخ بغداد ، ٨٩/١-٩١ ، البداية والنهاية ٧١/١١ وتهذيب التهذيب ١٢/٦ ، ١٣ ، سير الاعلام والنبلاء ٣٩٧/١٣ .

٢) وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سعد بن الربيع وعبدالرحمن بن عوف فقال سعد : لعبد الرحمن ، هذا شطر مالى فخذه وعندى امرأتان ، انزل لك عن واحدة ، فقال عبدالرحمن لاحاجة لى فى ذلك ولكن دلنى على السوق فمضى الى السوق مكتسباً على نفسه ، فعاد وقد اصاب شيئا من اقط"[1] .

٣) قال عبد الله بن الامام احمد رضى الله عنهما ، قلت لابى هؤلاء المتوكلون يقولون نقعد وارزاقنا على الله عز وجل ، قال : ذا قول ردىء خبيث يقول الله عز وجل : "إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ"[2] . وقال ايضا سألت ابى عن قوم يقولون : نتكل على الله ولا نكتسب قال : ينبغى للناس كلهم ان يتوكلوا على الله ولكن يعودون انفسهم الكسب هذا قول انسان احمق[3] .

وبذلك يتضح كل الوضوح بطلان القائلين بشبهة (تحريم طلب الرزق) حيث ان ادلتهم التى ساقوها واعتمدوها كانت غير سليمة وذلك بانهم حملوا الايات مالا تحتمله من التفسير .

وايضا تبين بطلان قولهم ، من خلال استعراضنا للايات القرآنية التى تأمر بطلب الكسب الحلال ، ومن خلال حث رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الناس على العمل والكسب ، في الكثير من الاحاديث الشريفة .

وتوضح ايضا فى خلال عمل الصحابة والتابعين ، حيث انهم جميعا عملوا وكسبوا فى حياتهم فعاشوا واعالوا اهلهم وتصدقوا من كسبهم على الفقير والمحتاج .

---

١) انظر سيرة ابن هشام ، مجلد : ١ ، ص ٥٠٥ .
٢) سورة الجمعة اية : ٠٩
٣) تفسير المراغى ، مجلد : ٢ ، ج : ٤ ، ص ١١٧ .

الشبهة الثانية:

قالت طائفة ممن تكلم فى اعمال القلوب والمكاشفات (ان التوكل لايحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة ، بل ما كان مقدرا بدون التوكل فهو مقدر مع التوكل .

وبقولهم هذا خالفوا ماكان عليه السلف والائمة والفقهاء وما عليه جمهور الامة من العلماء ، لان المتوكل يحصل له بتوكله من جلب المنفعة ودفع المضرة مالايحصل لغيره)(١) .

واعتمد الجمهور الادلة الاتية من كتاب الله نلخصها من تفسير القاسمي (٢) .

١) " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ "(٣) .

دلت الاية الكريمة على ان التوكل على الله هو سبب فى كونه حسيبا للمتوكلين فلا يقال هو حسب غير المتوكلين ، وهذا يدل على الترغيب فى التوكل كما رغب فى التقوى فجعل للمتقين مخرجا من كل شدة وكرب ورزقا كريما من حيث لايحتسبون (٤) .

وكذلك فان الله جعل من نفسه حسيبا للمتوكلين اى كافيا لهم ما اهمهم فى هذه الحياة ومن كان الله كافيه وواقيه فلا يضره شيء باذنه تبارك وتعالى وهذه ثمرة عظيمة تحصل بفضل التوكل على الله ومع ذلك ياليت قومى يعلمون .

٢) " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ "(٥) .

---

١) انظر تفسير القاسمي ، مجلد : ٤ ، ج:٦ ، ص ١١٨ .
٢) انظر تفسير القاسمي ، مجلد : ٤ ، ج:٦ ، ص ١١٩ - ١٢٥ .
٣) سورة الطلاق اية : ٢ - ٣ .
٤) انظر تفسير الجامع لاحكام القرآن ، ج:٢٨ ، ص ١٦١ .
٥) سورة آل عمران : اية : ١٧٣ .

عقب في الاية بحرف الفاء وهي تفيد السبب فدل على ان التوكل سبب في هذا الانقلاب بنعمة الله وفي قوله (ونعم الوكيل) مدح الله سبحانه وتعالى لانه خير من يتوكل عليه العباد لجلب كل خير ومنفعة ودفع كل شر ومضرة ٠

٣) قال تعالى : " أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا "(١) ٠

في الاية النهي عن اتخاذ غير الله وكيلا لان ماسوى الله مخلوق ، والمخلوق لايستقل بجميع حاجات العبد ، إذاً مايحصل بالتوكل على الله من الخير الوفير ودفع الضرر ، لايحصل بالتوكل على غيره من المخلوقات التي يعتريها النقص في كل جانب ٠

٤) قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "(٢) ٠

الاية تعني ان الله كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين فهي تخص الذين توكلوا على الله ، فكان توكلهم سببا لذلك الاختصاص على غيرهم ممن لايتوكلون على الله ٠

٥) جاء في الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من سره ان يكون اقوى الناس ، فليتوكل على الله "(٣) ٠

فلو كان التوكل لايجلب منفعة ولايدفع مضرة ، لم يكن المتوكل اقوى من غيره ٠

٦) قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

---

١) سورة الاسراء اية : ٠٢
٢) سورة الانفال اية : ٠٦٤
٣) سبق تخريجه ص ٠١٦٤

خَبِيرًا ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً "(١) ٠

فى هذه الايات ، امر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالتزام ثلاثة امور وهى : (١) التقوى (٢) اتباع الوحى (٣) التوكل على الله ، وبالتزامها يحصل الثواب فى الدنيا والاخرة لفاعلها ٠ وبهذه الادلة الشرعية يتضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ان التوكل يحقق الخير الوفير للفرد والمجتمع باسره اذا توكل افراده على الله واعتصموا بكتابه الكريم وتخلقوا باخلاق نبيهم الحبيب وعملوا بسنته الى يوم الدين ٠

الشبهة الثالثة:

قال اصحاب ادعياء الشبهة الثانية بهذه الشبهة التى نصها :

(ان الدعاء لايحصل به جلب منفعة ، ولادفع مضرة بل هو عبادة يثاب عليها كرمى الجمار)(٢) ٠

وهذا القول الخاطىء يؤدى الى نفى الاسباب فى الخلق والقعود عن الحركة والعمل ، وبذلك يعتبر سلاحاً مدمراً لحقيقة التوكل على الله فى نفوس المتوكلين٠

ويتضح خطأ هذا القول من خلال الادلة الاتية :-

١) قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "(٣) ٠

حينما دعا موسى عليه السلام قومه بان يتوكلوا على الله استجابوا على الفور دون تردد حينما علموا ان انجاز الوعد موقوف على ذلك فقالوا : " على الله توكلنا " ثم دعوا الله ربهم ان يحفظهم من فتنة الظالمين ٠

---

١) سورة الاحزاب اية : ١ - ٣ ٠
٢) تفسير محاسن التأويل ،مجلد : ٤ ، ج:٦ ، ص ١١٨ ٠
٣) سورة يونس اية : ٨٤ - ٨٥ ٠

وبذلك يتضح ان الدعاء لايستجاب الا باتخاذ الاسباب ، بان تعمل مـــا تستطيع عمله وتطلب من الله ان يسخر لك مالاتستطيع[(١)] .

واما ان تجلس فى بيتك وتقعد عن السعى والحركة فى طلب الرزق وتدعو اللـه ان يرزقك فهذا عين التواكل .

٢) قال تعالى : " يَمْحُوا اللَّهُ مَايَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ "[(٢)] .

قال بعض المفسرين ان الله يمحوا مايشاء من القدر اذا استجاب للدعـــاء ، ولعلهم استأنسوا بالحديث الشريف[(٣)] .

أ) عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يزيد فى العمر الا البر ولايرد القدر الا الدعاء وان الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها"[(٤)]

ب) عن سلمان رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم: ان الله حيىٌّ كريم يستحى اذا رفع الرجل اليه يديه ان يردهما صفـــرا خائبتين "[(٥)] .

ج) عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يستجاب

---

١) انظر تفسير المراغى ، مجلد : ٤ ، ج:١١ ، ص ١٤٥ ، وايضا تفسير روح المعانـــى للالوسى ، مجلد : ٤ ، ج:١١ ، ص ١٧٠ وايضا تفسير روح البيان للبروسوى ، مجلد : ٤ ، ص ٧٢ ، ط(لايوجد) ، دار الفكر .
٢) سورة الرعد اية : ٣٩.
٣) انظر تفسير ابن كثير ، ج:٢ ، ص ٥١٩.
٤) سنن ابن ماجة ،مجلد : ١ ، ك: مقدمة ، باب : فى القدر ، ص ٣٥ ، حديث رقم(٩٠) ، وايضا ج:٢ ، ك:الفتن ، باب : العقوبات ، ص ١٣٣٤ ، حديث رقم (٤٠٢٢) واخرجه الترمذى ، ج:٨ ، ك: القدر ، باب : ماجاء لايرد القدر الا الدعاء ، ص ٣٠٥. واخرجه احمد فى المسند ، ج: ٣ ، ص ٥٠٢ ، ص ٢٧٧ - ٢٨٠.
٥) اخرجه ابوداود ، ج:٢ ، ك:الصلاة ، باب : الدعاء ، ص ٧٨ ، حديث رقم (١٤٨٨) . وايضا الترمذى ، ج:٥ ، ك :الدعوات ، باب : ١٠٥ ، ص ٥٥٦ - ٥٥٧ ، حديث رقم (٣٥٥٦) وقال عنه حسن غريب ، ط:٢(١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ، واخرجه ابن ماجة ، ج:٢ ، ك: الدعاء ، باب : رفع اليدين فى الدعاء ، ص ١٢٧١ ، حديث رقم (٢٣٦٥) واخرجه الامام احمد فى مسنده ، ج:٥ ، ص ٤٣٨.

لاحدكم مالم يعجل ، يقول دعوت فلم يستجب لي "[1] .

ولايخفى علينا حديث الثلاثة نفر الذين دخلوا الغار فوقعت صخرة كبيرة فسدت فم الغار عليهم ، فدعوا الله بصالح اعمالهم ، فاستجاب لهم ، فانفرجت الصخرة وخرجوا سالمين معافين بعد ان كانوا مهددين بخطر الموت ، واى منفعة اعظم من هذه المنفعة التى حصلت بالدعاء ، واى خطر اعظم من هذا الخطر الذى دفع ضرره بالدعاء ، فاعتبروا يااولى الابصار .

د) جاء فى الصحيح عن ابن عمر * رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر فدخلوا فى غار فى جبل فانحطت عليهم صخرة قال :فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه فقال : احدهم اللهم انى كان لي ابوان شيخان كبيران ، فكنت اخرج فارعى ثم اجيء فأحلب بالحلاب ، فاتى به ابوى فيشربان ثم اسقى الصبية واهلى وامراتى ، فاحتسبت ليلة فجئت فاذا هما نائمان ، قال : فكرهت ان اوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهما حتى طلع الفجر ، اللهم انكنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء ، قال : ففرج عنهم وقال الاخر ان كنت تعلم انى كنت احبّ امرأة من بنات عمى كأشد مايحب الرجل النساء فقالت لاتنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت فيها حتى جمعتها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولاتفض الخاتم الا بحقه فقمت وتركتها فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة

---

١) اخرجه مسلم ، ج: ٤ ، ك:الذكر والدعاء ، باب : بيان انه يستجاب للداعى مالم يعجل ص ٢٠٩٥ حديث(٢٧٣٥) واخرجه ابود اود ، ج: ٢ ، ك: الصلاة ، باب : الدعاء ، ص ٧٨ ، حديث (١٤٨٤) واخرجه الترمذى ج: ١٢ ، الدعاء ، باب : ماجاء فيمن يستعجل فى دعائه ص ٢٧٦ ، واخرجه احمد فى المسند ، ج: ٣ ، ص ١٩٣ - ٢١٠ .

* ابن عمر :هوعبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى المكى صحابى جليل هاجر مع ابيه وشاهد الخندق وبيعة الرضوان وحدث عن النبى وكان واسع العلم متين الديانة من المكثرين فى الرواية للحديث الشريف ت سنة ٩٤هـ . انظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ١٨ رقم (٣٦٧٨) والاستيعاب فى معرفة الاصحاب ٢/ ٩٥٠ ، رقم(١٦١٢) والاصابة فى تمييز الصحابة ٤/(١٨١-١٨٨) رقم (٤٨٣٧).

قال ففرج عنهم الثلثين ٠

وقال الاخر اللهم ان كنت تعلم انى استأجرت اجيرا بفرق من ذرة فاعطيته وابى ذلك ان يأخذ ، فعمدت الى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها ثم جاء فقال : ياعبد الله اعطنى حقى ، فقلت : انطلق الى تلك البقر وراعيها فانها لك ، فقال : انستهزئ بى قال : فقلت : ما استهزئ بك ولكنها لك ، اللهم ان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم "(١) ٠

٣) قال تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ "(٢) ٠

ان الاية الكريمة تعنى ، ان الله تبارك وتعالى لايخيب دعاء داع ، ولايشغله عنه شئ ، بل هو سميع الدعاء ، ففيه ترغيب فى الدعاء وانه لايضيع عند الله ، فانه سبحانه يغير من حال الى حال بالدعاء خاصة اذا كان صادرا من الاتقياء المتوكلين على الله "(٣) ٠

وبذلك يتبين ، ان الدعاء من اقوى الاسباب التى تجلب الخير وتدفع الضرر اذا كان مسبوقا بالتوكل على الله واخذ صاحبه بالاسباب المؤدية لجلب الخير ودفع الضرر ٠

الشبهة الرابعة:

اعتقدت بعض الفرق الاسلامية هذه الشبهة الخاطئة والتى تنص (ان مايوجد بسبب يوجد بدونه ، وما يوجد مع عدم المانع يوجد مع المانع)(٤) ٠

---

١) صحيح البخارى ، ج:٣ ، ك:البيوع ، باب : ٣٨ ، ص ٣٧ ، وك:الاجازة ، باب:١٢ ، ص ٥١ ، وأخرجه مسلم ، ك:الذكر ، باب:٢٧ ، حديث(١٠٠) وايضا بسند احمد ، مجلد : ٤ ، ص ٢٧٤ ٠

٢) سورة البقرة اية : ١٨٦ ٠

٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير ، مجلد : ١ ، ص ١٦٣ ٠

٤) تفسير محاسن التأويل ، مجلد : ٤ ، ج:٦ ، ص ١٢٣ ٠

وقالوا : لاحاجة للانسان بالاعمال المأمور بها ، لان من خلق للجنة فهو يدخلها ، وان لم يؤمن ، ومن خلق للنار فهو يدخلها وان آمن ولم يكفر ، واعتمدوا فى ذلك قوله تعالى : " إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ " (1) •

وقالوا ان ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، ونظرتهم هذه تؤدى الى التواكل الذى نُهينا عنه ، وتشل الحركة وتدعوا الى القعود وعدم العمل ، وتقتل الطاقات الايجابية فى المجتمع ، وتدعو الى السلبية والخمول ، اذا ما اعتقد الانسان مثل هذه الشبهة والنظرة الخاطئة •

وندع الاجابة على مثل هذه الشبهة للمصطفى صلى الله عليه وسلم حيث سئل عن ترك العمل والاتكال على الكتاب ، اى ماكتب فى القضاء والقدر ، فأجاب صلى الله عليه وسلم بان يعملوا فكل ميسر لما خلق له الحديث : عن على ابن ابى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان فى جنازة فأخذ عودا فجعل ينكت فى الارض فقال مامنكم من احد الا كتب مقعده من الجنة او من النار قالوا : الا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ : فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية " (2) •

والانسان يدخل الجنة بعمله الصالح ، ويدخل النار بالعمل الفاسد ، وقد يعمل الانسان عمل اهل النار فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها جاء فى الحديث الشريف عن ابى عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق:

---

1) سورة مريم اية : ٣٥ •

2) اخرجه البخارى فى صحيحه ، ج:٧ ، ك : التوحيد ، باب : ٥٤ ، ص ٢١٥ ، وايضا اخرجه ابوداود ، ج:٥ ، ك: السنة ، باب : فى القدر ، ص ٦٨ ، حديث رقم ٤٦٩٤، واخرجه الترمذى ، ج:٨ ، ك : القدر ، باب : ماجاء فى الشقاء والسعادة ص ٢٩٩ ، واخرجه ابن ماجة ، ج:١ ، ك:المقدمة ، باب : فى القدر ، ص ٣٠ - ٣١ حديث رقم (٧٨) ، مسند احمد ، ج:١ ، ص ٢٩ - ١٣٣ - ١٤٠ •

" ان احدكم يجمع خلقه فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله ، وشقى او سعيد ، فوالله الذى لا اله غيره ، ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وأن احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها "[١].

فهذا الحديث يوضح ان عمل الانسان هو العامل الاساسى فى دخول الانسان الجنة او النار ، وامرنا بالتنافس فى عمل الخير لكى نفوز بالجنة ، قال تعالى: " وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ "[٢] ولم يُؤمر بالقعود وترك العمل والتواكل ، واعتماد ان مايوجد بسبب يوجد بغير سبب وما وجد مع عدم المانع يوجد مع المانع ، فهذا خطأ محض ويتنافى مع روح الشريعة الاسلامية ، لان القدر ضمن الغاية وسببها ، ولم يتضمن غاية بلا سبب ، كما تضمن هذا يولد له بان يتزوج ويطأ المرأة ، وهذا ينبتُ ارضه بان يزرعها ويسقى الزرع ليحصل على الثمار[٣].

ونستنتج من ذلك ان الغاية مرتبطة بالسبب ، فالولد والزرع لايمكن ان يأتيا بدون السعى ، والتحرك فى الاسباب المؤدية الى ذلك مع التسليم الكامل بان مايحصل للانسان هو ضمن قدر الله سبحانه وتعالى ، وان الاسباب هى من قدر الله وبذلك يبطل ادعاء القوم الخاطئ.

---

١) اخرجه البخارى ، ج:٣ ، ك:بدء الخلق ، باب : ذكر الملائكة ، ص ٢١٠ ، واخرجه مسلم ، ك:القدر ، ج:٤ ، باب : كيفية خلق الادمى فى بطن امه ، ص ٢٠٣٦ ، حديث رقم (٢٦٤٣) واخرجه ابوداود ، ج:٥ ، ك:السنة ، باب:فى القدر ، ص ٨٢ ، حديث رقم (٤٧٠٨) واخرجه الترمذى ، ج:٨ ، ك:القدر ، باب ماجاء ان الاعمال بالخواتم ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ ، واخرجه ابن ماجة ، ج:١ ، ك:مقدمة ، باب:فى القدر ، ص ٢٩ حديث (٧٦).

٢) سورة المطففين اية : ٢٦.

٣) انظر تفسير محاسن التأويل ، مجلد:٤ ، ج:٦ ، ص ١٢٨.

الشبهة الخامسة:

ادعى قوم، ان ترك التداوى، والعلاج، من التوكل على الله وعدوا اخذ العلاج والتداوى من الامراض قادحا فى التوكل (١) .

ان هذا الادعاء باطل، لما ورد فى صحيح البخارى، ان مباشرة الاسباب والتداوى غير قادح فى التوكل، حيث روى عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: " ما انزل الله من داء الا انزله له شفاء " (٢) .

ويزيد ايضاحا ما روى عن اسامة بن شريك قال: قالت الاعراب: يارسول الله الا نتداوى؟ قال: نعم، ياعباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء او قال: دواء الا داء واحد، قالوا: يارسول الله وما هو؟ قال الهرم" (٣)

وايضا فان اهل العلم ردوا عليهم زعمهم، فقال: ابن الجوزى* :" اذا ثبت ان التداوى مباح بالاجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قوم قد رأوا ان التداوى خارج من التوكل، لان الاجماع على انه لايخرج من التوكل، وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه تداوى وامر بالتداوى ولم يخرج بذلك من التوكل، ولا اخرج من تداوى عن التوكل" (٤) .

---

١) انظر التوكل على الله، تحقيق جاسم الفهيد، ص ٤١.

٢) اخرجه البخارى فى صحيحه، ج:٣، ك:الطب، باب: ما انزل داء الا انزل له شفاء، ص ٨، واخرجه مسلم، ج:٧، ك:السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوى، ص ٢١، واخرجه الترمذى، ج:٤، ك:الطب، باب: ماجاء فى الدواء والحث عليه، ص ٣٨٣، حديث رقم (٢٠٣٨) واخرجه ابن ماجة، ج:٢، ك:الطب، باب:ماانزل الله داء الا انزل له شفاء، ص ١١٣٨، حديث رقم (٣٤٣٩) مسند احمد، ج:١ ز ص ٣٧٧-٤١٣.

٣) سبق تخريجه، ص ١١٨.

٤) تلبيس ابليس، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

* ابن الجوزى: هو جمال الدين ابى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى، يعد من اعلام عصره فى التاريخ والحديث له مايقرب من ثلاث مائة كتاب اهمها " زاد المسير فى التفسير " و " المنتظم فى تاريخ الملوك والامم " و " مناقب بغداد " و " تلبيس ابليس او نقد العلم والعلماء " ولد ببغداد سنة ٥٠٨، وت فيها سنة ٥٩٧هـ. انظر الاعلام للزركلى ٣١٦/٣، ٣١٧، ط:٦، وانظر البداية والنهاية ٢٨/١٣.

ولقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى استطلق بطنه بان يتداوى بشرب العسل ، حيث جاء فى الحديث الشريف عن ابى المتوكل عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ان اخى استطلق بطنه فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اسقه عسلا " فسقاه ، ثم جاء فقال : انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال : " اسقه عسلا " فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صدق الله وكذب بطن اخيك " فسقاه فَبَرأَ (١).

وبناء على ذلك يكون التداوى لايضر بالتوكل ويحل لنا التداوى بالادوية الاتية : -

١) العلاج بالادوية المادية:

يوجد فى عصرنا الحاضر ، الكثير من العلاجات المادية التى تتمثل فى العقاقير الطبية المستحضرة من المواد الكيمائية والاعشاب النباتية ، التى تعالج الكثير من الامراض كالحمى وامراض المعدة والكبد والقلب والامراض الجلدية وغيرها .

واستخدام مثل هذه الادوية مفيد ونافع ، ولاحجة لمن يعترض على استعمالها بل من الواجب اذا حصل مرض استشارة الطبيب المختص فى ذلك المرض ، قال تعالى : " فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَتَعْلَمُونَ " (٢) ، واخذ العلاج المشار اليه من قِبَلِهِ والاتكال على الله فى تحقيق الشفاء العاجل ، فان ذلك لا ينافى

---

١) اخرجه البخارى ، ج: ٤ ، ك:الطب ، باب: الدواء بالعسل قول الله تعالى فيه شفاء للناس ، ص ٩٠ واخرجه مسلم ، ج: ٤ ، ك: السلام ، باب : التداوى بسقى العسل ، ص ١٧٣٦ - ١٧٣٧ ، حديث رقم (٢٢١٧) واخرجه الترمذى ، ج: ٤ ، باب : ماجاء فى التداوى بالعسل ، ص ٤٠٩ ، حديث (٢٠٨٢) واخرجه الامام احمد فى المسند ، ج: ٣ ، ص ١٩ - ٩٢ .

٢) سورة الانبياء اية : ٧ .

التوكل بل ان التوكل يتطلب ذلك٠

٢) العلاج بالرقية:

ان العلاج بالرقية جائز في الشرع الاسلامي لما ورد من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وتقريره حيث تروي ام المؤمنين عائشة* رضي الله عنها "ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث عن نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت انفث عليه بهن وامسح بيده نفسه لبركتها "(1)، وورد ايضا بسنده المتصل عن ابي سعيد الخدري ، ان اناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اتوا على حي من احياء العرب فلم يقروهم فبينما هم كذلك اذ لدغ سيد اولئك فقالوا: هل معكم من دواء او راق ؟ فقالوا: انكم لم تقرونا ولانفعل حتى تجعلوا لنا جعلا ، فجعلوا لنا قطيعا من الشاه فجعل يقرأ بام القرآن ويجمع بزاقة ويتفل فبرأ ، فأتوا بالشاء فقالوا: لانأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فضحك وقال: " وما ادراك انها

---

١) اخرجه البخاري ، ج:٨ ، ك:الطب ، باب: الرقى بالقرآن والمعوذات ، ص ١٦ ، وايضا ج:٣ ، ك:المغازي ، باب:مرض النبي ووفاته وقول الله تعالى انك ميت وانهم ميتون، ص ٩١ ، واخرجه الامام احمد في المسند ،ج:٦ ، ص ١٠٤ ـ ١١٤٠

* عائشة : هي عائشة بنت ابي بكر الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت احب نسائه اليه كانت متفقهة في الدين حيث كان الصحابة يرجعون اليها وتفقه على يدها جماعة ، ولها احاديث كثيرة عن النبي وتعتبر من المكثرين في الرواية عن النبي ، وكانت زاهدة وفصيحة وغزيرة في العلم وكثيرة العبادة وكريمة تجود عن طيب نفس ، ت ١٧ رمضان سنة ٥٨ هـ ، وعمرها ٦٦سنة وقيل ، ت ٥٧ هـ وصلى عليها ابو هريرة صلاة الجنازة ٠ انظر صفة الصفوة ١٥/٢ ـ ٣٨ ، رقم (١٢٧) ط:٣(١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) دار المعرفة بيروت وايضا حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ج:٢ ، ص٤٣ـ ٥٠ ، ط(لايوجد) دار الكتب العلمية بيروت ٠

رقية العين اجعلوا لى فيها جعلا "[١].

واشترط العلماء فى الرقية شروطا حتى تكون بعيدة عن السحر وغيره فمن هذه الشروط الاتى :-

١) ان تكون باللغة العربية الفصحى .

٢) ان تكون اية من القرآن الكريم او حديثا مأثورا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣) ان يعتقد المريض ان النافع والشافى هو الله سبحانه وتعالى[٢].

٣) العلاج بالكى :

اما العلاج بالكى فقد تضمنت الاحاديث فيه اربعة انواع :-

١) فعله صلى الله عليه وسلم حيث روى انه اكتوى من الكلم الذى اصابه فى وجهه الطاهر يوم احد ، وروى انه كوى سعد بن رزاره من الشوكة التى شاكته وامر صلى الله عليه وسلم ابى بن كعب ان يكتوى من سهم اصابه يوم بدر[٣]. وكوى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ مرتين حيث جاء فى الحديث الشريف عن جابر رضى الله عنه : " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ فى اكحله مرتين"[٤].

٢) عدم محبته : حيث روى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

١) اخرجه البخارى ، ج: ٤ ، باب : الرقى بفاتحة الكتاب ، ص ١٦ ، واخرجه مسلم ، ج: ٤ ك:السلام ، باب : جواز اخذ الاجرة على الرقية ، ص ١٧٢٧ ، حديث رقم(٢٢٠١) ط: (١٩٧٣م) دار احياء التراث العربى ، بيروت واخرجه ابوداود ، ج: ٤ ، ك:الطب ، باب: كيف الرقى ، ص ١٤ ، حديث (٣٩٠٠) واخرجه الترمذى ، ك:الطب ، ج: ٤ ،باب : ما جاء فى اخذ الاجر على التعويذ ، ص ٣٩٨ ، حديث رقم (٢٠٦٣) ، ط: (١٣٨٣هـ - ١٩٦٢) مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ، واخرجه ابن ماجة ، ج: ٢ ، ك:التجارات ، باب: اجر الراقى ، ص ٧٢٩ ، حديث (٢١٥٦)، واخرجه الامام احمد فى مسنده ، ج: ٣ ، ص-٤٤.

٢) انظر قضايا التصوف الاسلامى ، ص ٣٤٢.

٣) انظر التوكل على الله لابن ابى الدنيا ، ص ٥٥.

٤) اخرجه ابن ماجة فى كتابه السنن ، ج: ٢ ،ك:الطب ، باب: ٢٤ من اكتوى ، ص ١١٥٦ ، حديث رقم (٣٤٩٤).

"ان كان فى شىء من ادويتكم شفاء ففى شرطة محجم او لدغة بنار وما احب ان اكتوى"(١) ٠

٣) ورد مافيه الثناء على تركه : ويعنى ان تركه اولى وافضل ٠

٤) النهى عنه : حيث جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الشفاء فى ثلاث ، شربة عسل وشرطة محجم وكية بنار ، وانهى امتى عن الكى"(٢) ٠

ولقد جمع ابن القيم * بين هذه الاربعة انواع بقوله : " لاتعارض بينهما بحمد الله تعالى فان فعله يدل على جوازه ، وعدم محبته له لايدل على المنع ، واما الثناء على تركه فيدل على ان تركه اولى وافضل ، واما النهى عنه فعلى سبيل الاختيار او الكراهة او عن النوع الذى لايحتاج اليه ، بل يفعل خوفا من حدوث الداء "(٣) ٠

وعليه فيكون لامانع من العلاج بالكى بعد استنفاذ طرق العلاج الاخرى فيكون العلاج بالكى اخر العلاجات فى استئصال المرض والله اعلم ٠

الشبهة السادسة:

وهى تنص (ان التوكل يعنى دخول البادية بغير زاد) ٠

وعمل بذلك القول الخاطىء الكثير من اهل التقشف منهم ابو حمزة الخراسانى

---

١) اخرجه البخارى ، ج:٤ ، ك:الطب ، باب: الحجم من الشقيقة والصداع ، ص ١١ ، واخرجه مسلم ، ج:٤ ، ك:السلام ، باب : الكل داء دواء ، ص ١٧٢٩ ، ١٧٣٠ ، حديث رقم (٢٢٠٥) واخرجه احمد فى مسنده ، ج:٣ ، ص ٣٤٣٠ ، ج:٦ ، ٤٠١ ٠

٢) اخرجه البخارى ، ج:٤ ، ك:الطب ، باب : الشفاء فى ثلاثة ، ص ٩ ، واخرجه مسلم ، ج:٧ ، ك:السلام ، باب : لكل داء دواء واستحباب التداوى ، ص ٢١ ، واخرجه ابن ماجة ، ج:٢ ، ك: الطب ، باب الكى ، ص ١١٥ ، حديث رقم (٣٤٩١) ٠

٣) انظر زاد المعاد ، ج:٤ ، ص ٦٥ - ٦٦ ٠

*) سبق ترجمته فى ص ٨ ٠

حيث قال : " انى لاستحى من الله تعالى ان ادخل البادية وانا شبعان وقد اعتقد ت التوكل ، اى عزمت عليه - لئلا يكون سعى على الشبع زادا اتزودبه"(١)

وقال ابو عبدالله بن خفيف : " خرجت من شيراز فى السفرة الثالثة فتهت فى البادية وحدى ، واصابنى من الجوع والعطش ما اسقط من اسنانى ثمانية، وانتشر شعرى كله .

وقال احمد بن الواحدى : " لقد حج الدينورى اثْنَتَيْ عشرة حجة حافيا مكشوف الرأس ، وكان اذا دخل فى رجلة الشوك يمسح رجله فى الارض ، ويمشى لكى لايبطل صحة توكله "(٢) .

والذى يؤثر فى النفس ان ابا حامد رحمه الله اجاز دخول البادية بغير زاد بشرطين هما:

١) ان يكون الانسان قد راض نفسه ، حيث اصبح لديه المقدرة على الصبر عن الطعام.

٢) ان يتقوى بالحشيش ، اذ لاتخلو البادية منه (٣) .

الم يعلم الغزالى ان هذا يعتبر مجازفة والقاء بالنفس الى التهلكة ، فحينما يمشى الانسان بلا زاد فى الصحراء مهما راض نفسه على التحمل ، فان طاقة الانسان محدودة ، ولايدرى ماذا سيحدث له ، وكان ينبغى ان يحمل الزاد ويتوكل على الله .

واما بالنسبة للتقوّي بالاعشاب والحشائش فهى ليست الصورة المثلى فى حق الانسان المكرم على سائر المخلوقات ، وقد لاتسد حاجة الانسان التى تعينه على استمرار حياته ، وقد لايجد المسافر ذلك الحشيش فى بعض المناطق.

فكان من الافضل ان يصرح الغزالى بحمل الزاد فى دخول البادية والتوكل على الله ، لا على الزاد قال تعالى : " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا

---

١) الرسالة القشيرية ، ج:١ ، ص ٤٢٥.

٢) انظر الرسةالقشيرية ، ج:١ ، ص ٤٢٥ ، وايضا تلبيس ابليس ، ص ٢٩٧.

٣) انظر تلبيس ابليس ، ص ٢٩١ ، وايضا احياء علوم الدين ، ج:٤ ، ص ٢٥٩.

أُولِي الأَلْبَابِ "(١) .

وان موسى عليه السلام فى رحلته مع الرجل الصالح بعد ان وجدا فى سفرهما النصب والتعب طلبا الزاد ، قال تعالى : " فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ، قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا "(٢) .

واصحاب الكهف عندما خرجوا من المدينة استصحبوا الدراهم معهم وطلبوا من احدهم ان يذهب ويشترى لهم الزاد فى الخفاء، لانهم فى حاجة ماسة الى الطعام فى رحلتهم الطويلة ، قال تعالى : " فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا "(٣) .

وجاء فى الحديث الشريف عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " كان اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى "(٤) .

وقال سعيد بن جبير * فى قوله : " وتزودوا " قال الكعك والسويق وقيل عن اخرين ، ان ناسا من العرب اذا حجوا فبلغوا ثنية او عقبة لم يتزودوا وتركوا الزاد وقالوا نتوكل فأمروا ان يتزودوا(٥)

---

١) سورة البقرة اية : ١٩٧ .
٢) سورة الكهف اية : ٦٢ ، ٦٣ .
٣) سورة الكهف اية : ١٩ .
٤) سبق تخريجه ص ١٢٤ .
٥) انظر الحث على التجارة والصناعة والعمل للخلال ، ص ٢٥ ، ط(١٣٤٨هـ -) مطبعة الترمذى بدمشق .

*) سعيد بن جبير : هو سعيد بن جبير بن هشام الاسدى ، يكنى بابى عبد الله كان رحمه الله فقيها وزاهدا وصاحب تقوى وورع من اعلام التابعين قرأ القرآن على ابن عباس وحدث عنه وعن ابى هريرة وابن عمر وغيرهم من الصحابة وحدث عنه الاعمش والحاكم واخرون قتله الحجاج ظلما سنة ١٧٥هـ ، وعمره ٥٩ سنة . انظر : طبقات المفسرين للداودى ١/١٨١، ١٨٢ ، رقم(١٨١) وتهذيب التهذيب ١١/٤ ، وحلية الاولياء ٤/٢٧٢-٣٠٩ ، رقم(٢٧٥) ط (لايوجد) دار الكتب العلمية ، بيروت ، وتذكرة الحفاظ ٧٦/١ .

ويكشف الامام احمد بن حنبل رحمه الله هؤلاء الذين يسافرون بغير زاد مدعين التوكل على الله حينما سأله رجل فقال انى اريد ان اخرج الى مكة متوكلا على الله من غير زاد!! فقال له الامام اذا كان هذا فاخرج وحدك فى غير قافلة! فقال الرجل لا ، الا معهم، فقال له الامام احمد ، فعلى جرب القوم اذن تتوكل!! (١) .

يتضح من خلال ذلك انه لايجوز دخول البادية والسفر الى الاماكن المنقطعة بغير زاد ، وان من يفعل ذلك فيموت جوعا يعتبر عاصياً لله تعالى لان الله جعل النفوس امانة عندنا فقال تعالى : " وَلَاتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " (٢) . ويكون قد خالف امر الله وقال ابن الجوزى لاخلاف بين فقهاء الاسلام فى ذلك (٣) .

الشبهة السابعة:

ظن البعض من العلماء القدامى (ان التوكل على الله يتنافى مع الادخار وان الادخار يخرج صاحبه من التوكل لانه بادخاره لايتوكل على الله بل على مدخراته).

فقال سهل بن عبد الله * ان الادخار لاربعين يوما يخرج صاحبه عن حد التوكل وذهب الخواص الى انه لايخرج باربعين يوما بل يخرج بما يزيد على الاربعين .

وقال ابو طالب المكى ** ولايخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين

واجاز ابو حامد الغزالى *** ان يظن الانسان بان اصل الادخار يناقض التوكل

---

١) انظر التصوف والمتصوفة فى مواجهة الاسلام ، ص ٢٧٦ ،ط(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مطبعة دار الفكر العربى .

٢) سورة البقرة اية : ١٩٥ .

٣) انظر تلبيس ابليس ص ٢٨٩ .

* سهل بن عبد الله سبق له ترجمة ، ص ٣١ .

** ابوطالب المكى ، سبق له ترجمة ، ص ٥٦ .

*** ابو حامد الغزالى ، سبق له ترجمة ، ص ١٣١ .

ثم اوقفه على حسب قوة القلب وضعفه من الناحية الايمانية فقال : من كان ضعيف القلب فله ادخار قدر حاجته واما من قوى قلبه وازداد يقينه بالله فعليه ترك الادخار اما بالنسبة للمعيل صاحب العيال فلا يخرج عن حد التوكل بادخاره قوت سنة لعياله (١) .

واعتمد القوم على حديث ضعيف لم اعثر على تخريجه من كتب الحديث وهو مروى فى الفقير الذى مات وامر صلى الله عليه وسلم عليا واسامة ان يغسلاه ، فغسلاه ، وكفناه ببردته فلما دفنه قال : صلى الله عليه وسلم لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وماهى يارسول الله قال : كان صواما قواما كثير الذكر لله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه " (٢) .

وهذا الحديث لايجوز الاحتجاج به لضعفه ولانه ليس له اصل فى كتب الحديث كما قال بعض المحققين للحديث عنه واحتجوا ايضا بحديث اخر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول مات رجل من اهل الصفة فقيل يارسول الله ترك دينارا ودرهما فقال كيتان ، صلوا على صاحبكم (٣) .

ورد ابن الجوزى على احتجاجهم فقال هذا احتجاج من لايفهم الحال فان ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء فى اخذ الصدقة وحبس مامعه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم كيتان (٤) . فكان من الافضل ان لايزاحم الفقراء فى اخذ الصدقة طالما عنده ما يسد حاجته وغيره لم يكن عنده شيئا .

---

١) انظر احياء علوم الدين ، ج: ٤ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
٢) قال الحافظ العراقي لم اجد لهذا الحديث اصل انظر الاحياء للغزالى ، ج: ٤ ، ص ٢٧٠ .
٣) مسند الامام احمد ، مجلد : ١ ، ص ١٠١ - ١٣٧ - ١٣٨ - ٤١٢ - ٤١٥ - ٤٢١ - ٤٥٧ ، مجلد : ٢ ، ص ٤٢٩ - ٤٩٣ .
٤) انظر تلبيس ابليس ، ص ١٧٦ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخر لاهله قوت عامهم حيث جاء في الحديث الشريف عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه " ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبيع نخل بنى النضير ويحبس لاهله قوت سنتهم "(١) .

ولو كان ادخار المال مكروها لانكر صلى الله عليه وسلم على عمر بن الخطاب حينما جاء بنصف ماله لتسيير احد الغزوات وابقى النصف ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ابقيت لاهلك ؟ فقلت مثله فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك(٢) .

ومما يدلل على جواز الادخار للورثة ما جاء في الحديث الشريف عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم يعودنى وانا بمكة وهو يكره ان يموت بالارض التى هاجر منها ، قال : يرحم الله ابن عفراء قلت : يارسول الله اوصى بمالى كله ، قال : لاقلت فالشطر؟ قال : لا ، قلت الثلث قال فالثلث كثير ، انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فى ايديهم ، وانك مهما انفقت من نفقة فانها صدقة حتى اللقمة التى ترفعها الى فى امرأتك وعسى الله ان يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك اخرون ، ولم يكن له يومئذ الا ابنه "(٣) .

ولنا ان نسأل القوم عن المانع الذى يمنع من الادخار طالما ان المسلم يكسب ماله بالطريق الحلال المشروع فى الدين ويعطى الله حقه من هذا المال باخراج الزكاة ويتصدق على الفقير المحتاج؟!!

وينبغى ان ندرك ان الادخار عنصر اساسى فى اقتصاد الامم والشعوب خاصة

---

١) اخرجه البخارى ، ج:٣ ، ك:النفقات ، ص ٢٨٦ ، باب : حبس نفقة الرجل قوت سنة على اهله وكيف نفقات العيال .

٢) انظر امتاع الاسماع للمقريزى ، ج:١ ، ص ٤٤٦ .

٣) صحيح البخارى ، ج:٥ ، باب :٢ ، ص ٥ ، حديث (٢٤٦١) ط(١٣٩١هـ - ١٩٧١) لجنة احياء كتب السنة .

في العصر الحديث واذا انهدم هذا الجانب يعنى القضاء على النهوض بالمجتمع اقتصاديا ويصبح المجتمع لعبة فى يد الدول المستعمرة فلا نهمل ذلك [1] .

---

١) انظر الاخلاق عند الغزالى ، ص ١٦٤ .

المبحث الثانــــي

أقوال واراء خاطئة حول التوكل

مقدمة المبحث

ان التوكل فى الاسلام بصورته الواضحة النقية ، التى جاءت فى الكتــــاب والسنة ، يعنى الايجابية ، وتحقيق الخير الوفير للفرد والمجتمع كما اتضح مــن خلال الدراسة لهذا البحث •

ولكن البعض من الناس خاصة الذين يدعـون الى الانعزال عن المجتمـــع ، احالوه الى تواكل مسرف وقعود عن العمل ، وخمول وكسل ومسألة ، مما استتبعه اخطارا اجتماعية رهيبة ، تعود بالسلبية على الفرد والمجتمع باسره •

فظهرت طائفة من الفقراء والهائمين على وجوههم فى فترة من فتـــرات التاريخ الاسلامى ، لايعرفون لهم ماوى ، ويلبسون الثياب البالية المرقعـــة ولايلبسون الجديد ، ولايأكلون ولايشربون الا القليل من الاطعمة ، حتى وصـــل الامر ببعضهم ان لايقوم من الشمس فى الحر الشديد ، ولايستدفىء من البرد فى فصل الشتاء القارس ، ومنهم من يسير فى الصحراء المقفهره اياما دون زاد ، ويسيطر عليه المرض فلا يتناول الادوية النافعة التى تعمل على القضاء علــى المرض ، ظناً منه ان ذلك مناف للتوكل •

وادعى بعضهم علم المكاشفة والمشاهدة ، وان دعاءه مستجاب فيقصـــده الناس - رجالا ونساء - ليساعدهم فى امور ومسائل مخالفة لشرع الله ، ومع ذلك يدعى انه من المقربين ، وهو من اصحاب البدع ، حتى بلغ ببعضهم ترك السعى من اجل كسب الرزق الحلال رغم وجود العيال عنده خوفا من اضاعة التوكـــل (١) • الم يعلم اولئك ان من فعل مثل هذا كان آثما فى حق نفسه واولاده ومجتمعه حيث جاء فى الحديث الشريف عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : " قــال

١) انظر احياء علوم الدين ،ج:٣ ، ص ٣٩٢ - ٣٩٤ ، وايضا نقد ابى تيمية للتصوف ، ص ٨٥ وايضا الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ، مجلد : ٢ ، ص ٤٣ ، ط(لايوجد) مكتبة الخانجى القاهرة •

رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت "(١) .

الم يدركوا ان الذى يسعى ويكسب الحلال ويتفقد حاجة الفقير والمسكين والارملة وغيرهم من اصحاب الحاجة يعتبر فى عداد المجاهدين فى سبيل الله ، وفى مصاف القائم الصائم ، كما جاء فى الحديث الشريف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الساعى على الارملة والمسكين ، كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار "(٢) .

وبعد البحث والتحرى بين ثنايا الكتب اتضحت بعض الاراء والاقوال الخاطئة حول التوكل منها الاتى :-

١) اعتقد البعض من الناس (ان الله سبحانه لما ضمن الرزق والكفاية كانت الحركة شكا فيما ضمن فقعد عن السعى للتكسب(٣) .

واخذ بهذا الرأى شقيق البلخى* فى احدى مراحل حياته ، لكنه رحمه الله رجع عن ذلك القول الخاطىء حينما التقى باستاذه ابراهيم بن ادهم **واليك

---

١) اخرجه ابوداود ، ج:٢ ، ك:الزكاة ، باب صلة الرحم ، ص ١٣٢ ، حديث (١٦٩٢) . واخرجه الامام احمد فى المسند ، مجلد :٢ ، ص ١٦٠ .

٢) اخرجه البخارى ، ج:٤ ، ك:الادب ، باب :الساعى على الارملة ، ص ٥٢ ، واخرجه ايضا فى ج:٣ ، ك:النفقات ، باب : فضل النفقة على الاهل ، ص ٢٨٦ ، واخرجه مسلم ، ج:٨ ، ك:الزهد والرقاء ، باب : الاحسان الى الارملة والمسكين واليتيم ، ص ٢٢١ ، واخرجه النسائى ، ج:٦ ،ك: الزكاة ، باب : فضل الساعى على الارملة ، ص ٨٦ ، واخرجه الترمذى ج:٤ ، ك:البر والصلة ، باب : ماجاء فى السعى على الارملة واليتيم ، ص ٣٤٦ ، حديث رقم(١٩٦٩) واخرجه ابن ماجة ، ج:٢ ، ك:التجارات ، باب :١ ، ص ٧٢٤ ، حديث رقم (٢١٤٠) واخرجه احمد فى مسنده ، ج:٢ ، ٣٦١ .

٣) انظر الرزق الحلال وحقيقة التوكل ، للمحاسبى ، ص ٥٩ .

*) شقيق البلخى : سبق ترجمته ، ص ١٢٨ .

**) ابراهيم بن ادهم : هو ابو اسحق ابراهيم بن ادهم من خراسان كان عالما وزاهدا ورعا مات سنة ١٦٢هـ ، ودفن فى سواحل الشام . انظر جمهرة الاولياء ، ج:٢ ، ص ١٢٥-١٣٢ وانظر جامع كرامات الاولياء ، ج:١ ، ص (٣٨٥ - ٣٨٨) ط:٢(٣٩٤ هـ - ١٩٧٤) مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ، وايضا حلية الاولياء ، ج:٧ ، ص ٣٦٣ - ٤٠٠ رقم الترجمة ٣٩٤ .

هذا الحوار بينهما :-

قال ابراهيم لشقيق : -عليهما رحمة الله- حينما رآه بمكة كيف بدأ امرك الذى اوصلك لهذا يعنى القعود عن الكسب ، قال شقيق : مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين فى فلاة من الارض فقلت : انظر من اين يرزق هذا؟ فقعدت ارتقب فاذا بطير اقبل فى منقاره جرادة فوضعها فى منقار الطير المكسور الجناحين • فقلت لنفسى يانفسى ان الذى قيض هذا الطير الصحيح لهذا الطير المكسور الجناحين فى فلاة الارض ، لهو قادر على ان يرزقنى حيث كنت فتركت التكسب ، واشتغلت بالعبادة ، فأجابه استاذه ابراهيم بن ادهم قائلا : ياشقيق ، ولماذا لم تكن انت الطير الصحيح الذى اطعم العليل المقعد ، حتى تكون افضل منه ، اما سمعت عن حكيم بن حزام رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : " اليد العليا خير من اليد السفلى "(١) •

ومن واجب المؤمن ان يطلب اعلى الدرجات فى اموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار(٢) • فأخذ شقيق رحمه الله بيد استاذه ابراهيم فقبلها ، وقال انت شيخى يا ابا اسحق•

وبذلك رحمه الله اخذ بقول استاذه وشيخه ابراهيم بن ادهم الذى كان يقول : " عليك بعمل الابطال ، والكسب الحلال والنفقة على العيال "(٣) •

٢) وجاء من ضمن الاقوال الخاطئة ان التوكل عبارة عن (كدية حسنة) والكدية: هى ما جمع من الشراب او الطعام والمقصود بذلك ان التوكل عبارة عن تسول لان التسول سبيل لما يجمع من الزاد(٤) •

---

١) سبق تخريجه ، ص ١٢٥•

٢) انظر التصوف الاسلامى تاريخه ومدارسه وطبعته واثره ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ط(١٩٧٠م) مكتبة الانجلو المصرية وايضا انظر قضايا التصوف الاسلامى ، ص ٩٧ - ١٠٠ ، ط: (لايوجد) دار الفكر ، الخرطوم•

٣) انظر نشأة التصوف الاسلامى ، ص ١٤٧ ، ط(لايوجد) طبعة دار المعارف بمصر •

٤) انظر التعريف لمذهب اهل التصوف ، ص ١٢١ ، ط:٢(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مكتبة الكليات الازهرية•

وما كان الاسلام ليأمر بالتسول بل حارب هذه الافة ودعا الى العمل والكسب واذا لم يجد الانسان مايكفي حاجته فعليه ان يستعفف عما في ايدي الناس ، قال تعالى : " يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا " (١) .

وجاء في الحديث النهي عن الالحاف في المسألة ، عن ابي سفيان* رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتلحفوا في المسألة ، والله لايسألني احد منكم شيئا فتخرج له مسألته مني شيئا وانا له كاره ، فيبارك له فيما اعطيته " (٢) .

٣) كان البعض من الناس ، يستحي دخول البادية وهو شبعان بعد ان اعتقد التوكل لئلا يكون سعيه على الشبع زادا تزود به ، لانه يعتبر حمل الزاد في السفر بالبادية منافيًا للتوكل (٣) .

وهذه النظرة مخالفة للكتاب والسنة وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم حيث انهم كانوا يتزودون بالطعام في اسفارهم ويعدوا العدة للاعداء (٤) .

---

١) سورة البقرة اية : ٢٧٣ .

٢) اخرجه مسلم ،ج:٢ ، باب النهي عن المسألة ، ص ٧١٨ ، حديث رقم (١٠٣٨) واخرجه النسائي ، ج:٦ ، ص ٩٧ ، ك:الزكاة ، باب : الالحاف في المسألة ، واخرجه احمد في المسند ، ج: ٤ ، ص ٩٨، ١٦٧ .

٣) انظر الرسالة القشيرية ، ج:١ ، ص ٤٢٥ .

٤) انظر احياء علوم الدين ، ج: ٤ ، ص ٢٥٩ .

* ابوسفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، كان اخا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وكان شديد العداوة للنبي وكان كثير الهجاء له اسلم عام الفتح وشهد حنينا وحسن اسلامه ، ت : سنة ٢٠ هـ ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفن في البقيع . انظر صفة الصفوة ١/(٥١٩ - ٥٢١) رقم (٥٧) ط:٣ ، والاعلام للزركلي ٢٧٦/٧ ، ط:٦ (١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ) .

٤) قال ابو حمزة الخراساني * رحمه الله : " حججت سنة من السنين فبينما انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت : لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مرّ برأس البئر رجلان فقال احدهما للاخر : هيّا نسد رأس البئر لئلا يقع فيها احد ، فأتوا بقصب وطمسوا البئر ، فهممت ان أصيح ثم قلت في نفسي أشكو الى من هو أقرب منهما فسكت فبينما انا بعد ساعة ، اذ انا بشيء قد جاء وكشف عن رأس البئر وادخل رجله وكأنه يقول لي تعلق بي في هيئمة له كنت اعرف ذلك منها ، فتعلقت به فاخرجني ، فاذا هو سبع فمّر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة أليس هذا أحسن نجيناك من التلف ".(1)

ولقد اشتد انكار ابن الجوزي على ابي حمزة لهذه الحكاية وقال : ان الذى فعله لايجوز ، واعتبره مخالفاً للشرع بسكوته وصمته ، لان في ذلك اعانة على قتل نفسه ، بل كان من الواجب عليه ان يصيح ويمنع من طم البئر ، كما يجب ان يدفع عن نفسه من يقصد قتله .

واعتبر قوله لا استغيث كقول القائل لا اكل الطعام ولا اشرب الماء ، فهل هذا يصح ؟!

لايصح بأي حال من الاحوال لان الله تعالى جعل الأغذية والأدوية لمصلحة الناس فمن اعرض عن استعمال ما احل الله فقد عطل حكمة الله في الخلق .(2)

---

1) انظر تفسير روح البيان ، مجلد : ٢ ، ص ٨٩ وايضا الرسالة القشيرية ، ج: ١ ، ص ٤٣٢ ، وايضا كفاية المعتقد ونكاية المنتقد ، ص ١٧٢ ط(لايوجد) مصطفى البابي الحلبي واولاده .

2) انظر تلبيس ابليس ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

*) ابو حمزة الخراساني : هو من اكابر العارفين ، اصله من نيسابور صحب مشايخ بغداد وهو من أقران الجنيد والخراز سافر مع ابي تراب النخشبي ويعتبر من افتى المشايخ واوعاهم .

انظر ترجمته في الرسالة القشيرية ، ص ٣٣ ، ونتائج الافكار القدسية ، ج: ١ ، ص ١٨٥- ١٨٧ ، وطبقات الشعراني ، ج: ١ ، ص ١٢٠ .

وان ماحدث لابى حمزة قد لايحدث لغيره من الناس ، لان ماحصل كان من باب الكرامات التى تحدث لاولياء الله من عباده الصالحين فهى حالة خاصة يكرم الله سبحانه بعض عباده المخلصين الذين يعملون وفق كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم.

والذى عليه الشرع ، ان يعمل الانسان ويأخذ بالاسباب المفضية الى النتائج قدر استطاعته وفق سنن الله في هذه الحياة ويتوكل على الله كما جاء في الحديث الشريف عن انس ابن مالك قال : " قال رجل يارسول الله ، اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل ، قال اعقلها وتوكل "(١) .

ويوجد اقوال كثيرة متعددة تدعوا الى العزلة عن المجتمع ، وتعذيب النفس حتى تموت ، وترك الزوجة والاولاد وغير ذلك من الاقوال الخاطئة التى لايخفى بطلانها عن عامة الناس لذلك لانريد الخوض فيها كثيرا .

وبهذا ينتهى الفصل الاخير من البحث ، هذا وبالله التوفيق وعليه التكلان، انه نعم المولى ونعم النصير .

---

١) سبق تخريجه ، ص ١٩.

الخاتمـــــة

ان القرآن الكريم اعتنى بـ " فضيلة التوكل " اعتناءً كبيرا تبين من خـــلال ورود هذه الفضيلة فيآيات كثيرة من سور القرآن الكريم ·

وايضا ركّزت السنة النبوية المطهرة على التحلى بـ " فضيلة التوكل " فـــى الكثير من الاحاديث الشريفة ، وأمر صلى الله عليه وسلم بالتزامها وبين مكانتها واوضح منزلة المتوكلين فى الدنيا والاخرة ·

واحتفال القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذه الفضيلة ، لهو اكبر دليـــل وبرهان على ان " التوكل " له قيمة كبيرة واهمية عظمى فى حياة الامة الاسلامية وانه مصدر سمو للامة ورفعة وبه تنهض فى جميع مجالات الحياة ، وبه تنتصـــر على اعدائها وذلك لان الله سبحانه كافل المتوكلين وناصرهم ويعينهم فى هـــذه الحياة ·

ويوم ان تخلت الامة عن هذه الفضيلة ، واصبحت تعتمد على غير اللــــه وتستقى منهج حياتها من غير القرآن الكريم ، اصابها الضعف والخوار وحلـــت بها الهزيمة ، وبدأت تتراجع فيجميع مجالات الحياة ·

فعودة الى القرآن وسنة رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم عودة الـــى التخلق باخلاق القرآن والتحلى بفضائل الاسلام ، وخاصة " فضيلة التوكل على اللـه" لمالها من الاهمية فى حياة الفرد والجماعة·

تلك الفضيلة التى ظهرت نتائجها الطيبة والمفيدة من خلال الدراسة فـــى هذا البحث ، فكان من هذه النتائج ما هو عام مستخلص من مجمل البحـــــث ، ومنها ماهو خاص مستنبط من خلال كل فصل لوحده ، وهى كالتالى :-

النتائج العامة:

١) ان التوكل على الله يكسب صاحبه شخصية قوية الشكيمة ، قوية العزيمة والارادة ، لاتعرف الجبن والخور والدعة والحيرة والتردد ، وذلك لان التوكل على الله ينفى القلق والاضطراب ، فيقدم المتوكل معتمدا على الله فى سائر اعماله ، يبتغى وجه الله وتحقيق مرضاته ، لذلك فهو لايحزن ولايغتم لما اصابه ، ولا يؤلمه التفكير فى المستقبل ، وبذلك يكون المتوكل على الله اسعد الناس حالا ، واصلحهم بالا واشجعهم عقلا وقلبا واكرمهم قولا ونفسا ، يتكلم بكلمة الحق ولايخشى فى الله لومة لائم .

٢) اذا تمكنت فضيلة التوكل من نفوس ابناء الامة ، تبعتها سائر الفضائل الاخرى وذلك لارتباط هذه الفضيلة بسائر الفضائل الاسلامية كالصبر والحلم والشجاعة والعفو وغير ذلك من الفضائل الخلقية ومما لاشك فيه ، انه حينما كانت الامة الاسلامية تمتاز بصفة التوكل على الله ، وظهرت هذه الفضيلة فى حياة المسلمين اصبحوا اكثر الناس شجاعة وكرما وصبرا وحلما ومعرفة وعلما ، فتمكنوا من سيادة العالم وقيادته مدة من الزمن تقرب من الف عام.

٣) حينما يتوكل الانسان على الله حق التوكل ، فان الله سبحانه وتعالى يبارك لهذا الانسان فى عمله ، فيجنى الثمرة ويشعر بحلاوتها لوجود بركة التوكل على الله ، قال تعالى : " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ "(١) .

٤) اذا انحرفت الامة الاسلامية عن مفهوم التوكل على الله ، واصبحت تعتمد على الشرق او الغرب ، حتما سيصيبها التخلف فى شتى ميادين الحياة ، والتاريخ شاهد على ذلك .

---

١) سورة الطلاق اية : ٣ .

ولنعلم جيدا ان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يوم ان كانوا على الله متوكلين ولمنهجه مطبقين سادوا العالم وساسوه بسياسة الاسلام ، وانه فى الوقت الحاضر ، لايمكن ان يصلح اخر هذه الامة الا بما صلح به اولها ، فاذا اعتصمنا بالله وتوكلنا عليه واقتفينا اثر الرسول صلى الله عليه وسلم سننهض بعون الله ، كما نهض السلف الصالح ، وان وعد الله لصادق بنصر المتوكلين ، قال تعالى : " إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ "(١) .

النتائج الخاصة:

١) ان "فضيلة التوكل" فضيلة اسلامية فرضها الله على عباده لكى تصلح حياتهم وتطمئن نفوسهم لقدر الله وقضائه ، قال تعالى : " وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "(٢) .

٢) ان "فضيلة التوكل على الله" من كبرى الفضائل الاسلامية لما لها من الاهمية بين سائر الفضائل الاخرى .

٣) ارتباط " فضيلة التوكل " بعقيدة الايمان فكلما كان الانسان فى توكله على الله قويا ، كانت عقيدته قوية وسليمة من الشرك ، قال تعالى : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ "(٣) .

٤) اظهر البحث ، ان التوكل يزيد وينقص عند الاشخاص ، كما ان الايمان يزيد وينقص ، قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "(٤) .

---

١) سورة ال عمران اية : ١٦٠ .
٢) سورة المائدة اية : ٢٣ .
٣) سورة الانعام اية : ١٠٢ .
٤) سورة الانفال اية : ٢ .

٥) اتضحت الفروق الشاسعة بين التوكل والتواكل بعد تعريف كل منهما ، وتوضيح حكمهما ، وطالب البحث التزام التوكل لما فيه من الخير الوفير الذى يعود على الفرد والمجتمع ، وحَذَّرَ من الانزلاق فى التواكل ، لان فيه اهدار لطاقات الانسان ومقدراته وتعطيل لحياة المجتمع باسره .

٦) اثبت البحث ان التوكل يُمَكِّنُ عقيدة الاسلام فى النفوس ويعمل على تثبيتها وذلك عن طريق توضيح المعرفة بالله واسمائه وصفاته ، والحث على حب التوكل على الله فى سائر الاعمال ، لما للمتوكلين من الاجر العظيم فى الدنيا والاخرة .

٧) العمل على ابراز الشخصية الاسلامية فى واقع الحياة ، تلك الشخصية التى تمتاز بفضيلة التوكل على الله ، والاستسلام له سبحانه وتعالى ، وحسن الظن به ، والاخلاص لله فى كل عمل يقوم به الانسان فى هذه الحياة الدنيا .

٨) يشجع الانسان ويحثه على حب العمل والتحرك لكسب الرزق الحلال والعمل على بناء المجتمع ، واعمار الارض بتحقيق الخلافة الاسلامية فيها ، قال تعالى : " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ "(١) .

٩) كشف البحث ان التوكل يحث على العمل ويحارب التسول والبطالة والقعود عن العمل ، وبيّن انها آفات ضارة بالفرد تعمل على اهدار كرامته واراقة ماء وجهه كما وانها تضر بالمجتمع كله .

١٠) مجيء " التوكل " مرتبطا بالقيم الروحية والمثل العليا فى مواطن عدة من سور القرآن الكريم إكسب هذه الفضيلة اهمية بين سائر الاخلاق الاسلامية .

---

١) سورة النور اية : ٥٥ .

١١) توصل البحث الى ان التوكل له الاثر الكبير على الفرد فى أصلاح نفسه واحياء قلبه وجعله عنصرا ايجابيا فى المجتمع •

١٢) وتوصل ايضا الى ان " التوكل " له الاثر الاعظم على المجتمع فى تحقيق العزة والكرامة لابنائه كما انه يعمل على زيادة الانتاج ويحقق النصر على الاعداء •

١٣) كشف البحث ان لفضيلة الجهاد فى سبيل الله الاهمية الكبرى والدور العظيم فى احياء الامة الاسلامية وابراز مكانتها بين سائر الامم وذلك من خلال العلاقة القوية للجهاد بفضيلة التوكل على الله •

١٤) وضح البحث ان التوكل صفة اساسية وعامة لجميع الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، وهم الذين ينبغى ان يُتخذوا القدوة والاسوة الحسنة فى توكلهم على الله وفى سائر صفاتهم الحميدة•

١٥) لقد كشف البحث عن بعض الشبهات الباطلة التى ألصقت بالتوكل ووضح زيفها ، وعمل على تعريتها وابطالها بالحجة والبيان المستند الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وانها ليست من التوكل فى شئ •

١٦) وضح بعض الاراء الخاطئة حول التوكل وناقشها بادب رفيع المستوى دون المس او التجريح باحد من الناس متوخيا اظهار الحق والحكمة والتزامها•

التوصيات:

قبل الختام لهذا البحث اود ان اوصى اخوانى الباحثين فى هذا المجال من طلبة العلم بالاتى :-

١) البحث عن الامور والقضايا التى تعالج امراض الامة الاسلامية فى هذا العصر والعمل على دراستها دراسة كاملة مستوعبة لكل ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، مع اظهار الحل الاسلامى لتلك الامراض التى تعترى الامة ٠

٢) العمل على الاهتمام بقضايا " التفسير الموضوعى" وخاصة الموضوعات التى تختص بحاضر العالم الاسلامى ٠

٣) انشاء لجنة من العلماء فى العالم الاسلامى تشرف على اخراج بحوث علمية قيمة تفيد الاسلام والمسلمين وتضيف موضوعات جديدة للمكتبة الاسلامية ٠

٤) اوصى اخوانى الباحثين باخذ الحيطة والحذر من اعداء الله وشبهاتهم ، التى تحاك حول الاسلام والمسلمين للنيل من عقيدتنا واخلاقنا ، والبرد الفورى السريع عليها ، بتوضيح وجهة نظر الاسلام فى ذلك للناس عامة ٠

٥) جمع الشبهات والمفاهيم المغلوطة التى الصقت بالاسلام من قبل اعدائه ثم العمل على ابطالها بصورة علمية ضمن مؤلف كبير ٠

الفهـــــارس

فهرس الايات

سورة الفاتحة:

سورة البقرة

رقم الاية	الايــــــة	الصفحة
٨٨	قال ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى	١٦، ١٤٣، ١٤٦، ١٧٥
٩١	قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول	٢٠٨
٩٤	ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه	٢٠٩
١٠٢	وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة	٧٨
١٢٣	ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله	١٥، ١٩، ٢٧، ٦٩، ١٤٢، ٢١٤

سورة يوسف:

١٥	فلماذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابت	٢٠٤
١٦	وجاؤا اباهم عشاء يبكون	٢٠٤
١٧	قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف	٢٠٤
١٨	وجاؤا على قميصه بدم كذب	٢٠٤
٢٢	ولما بلغ اشده اتيناه حكما	٢٠٣
٢٣	وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه	٢٠٥
٢٤	ولقد همت به وهم بها لو لا ان راى برهان ربه	٨٣، ٢٠٣، ٢٠٥
٢٥	واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر	٢٠٥
٢٦	قال هى راودتنى عن نفسى	٢٠٥
٢٧	وان كان قميصه قد من دبر فكذبت	٢٠٥
٢٨	فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن	٢٠٥
٣٨	واتبعت ملة ابائى ابراهيم واسحق ويعقوب	٢٠٦
٣٩	ياصاحبى السجن أأرباب فتفرقون خير	٢٠٦
٤٠	ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها	٨٩، ٢٠٦
٤٢	وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك	٢٠٦
٤٧	قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروة فى سنبلة	١٠٩
٥٠	وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع	٢٠٦
٥١	قال ماخطبكن اذ راوتن يوسف عن نفسه	٢٠٦
٥٥	قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم	١٣٢، ٢٠٦
٦٤	قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه	١١٦
٦٦	قال لن ارسله معكم حتى تؤتونى موثقا من الله	٤
٦٧	وقال يابنى لاتدخلوا فى باب واحد	١٦، ١٤٧، ١٩١، ٢٠١
٧٦	فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه	٩٥
٨٤	وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم	١٩١، ٢١١
٨٥	قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف	١٩١، ٢١١

فهرس الاحاديث

تراجم الاعلام:

فهرس المصادر والمراجع:

١) القرآن الكريم: كتاب الله الخالد ، الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ٠

أولا : كتب التفسير :

١) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، المسمى بتفسير ابى السعود ، تاليف/ القاضى الامام ابى السعود محمد بن محمد العمادى ، طبعة دار المصحف ، شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد ٠

٢) انوار التنزيل واسرار التأويل ، المسمى بتفسير البيضاوى ، للامام ناصر الدين ابو الخير عبد الله الشيرازى البيضاوى ، ط:(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)دار الفكر ٠

٣) تفسير التحرير والتنوير ، تاليف الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م تونس ٠

٤) التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف محمد بن احمد بن جزى الكلبى ، ط:٢(١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) دار الكتاب العربى ٠

٥) جامع البيان فى تفسير القرآن ، المسمى تفسير الطبرى ، تاليف ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ط٤(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) طبعة دار المعرفة ، بيروت ٠

٦) الجامع لاحكام القرآن ، المسمى بتفسير القرطبى ، لابى عبد الله محمد ابن احمد الانصارى القرطبى ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت ٠

٧) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ، تأليف الشيخ طنطاوى جوهرى ، الطبعة الثانية (١٣٥٠هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده ٠

٨) دقائق التفسير الجامع لتفسير الامام ابن تيمية ، جمع وتحقيق محمد السيد الجليند ، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) مؤسسة علوم القرآن ، دمشق بيروت٠

٩) تفسير روح البيان للامام اسماعيل حقى البروسوى ، طبعة دار الفكر ٠

١٠) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، لشهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى ط(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) طبعة دار الفكر ، بيروت ٠

١١) زاد المسير فى علم التفسير ، تاليف الامام ابى الفرج جمال الدين عبدالرحمن الجوزى القرشى البغدادى ، ط٣ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) المكتب الاسلامى ٠

١٢) صفوة التفاسير ، تاليف محمد على الصابونى ، ط ٤ (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) طبعة دار القرآن الكريم بيروت ٠

١٣) فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير ، تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى ، طبعة درا المعرفة بيروت ٠

١٤) الفخر الرازى ، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للامام محمد الرازى فخر الدين ابن ضياء الدين عمر ، المشتهر بخطيب الرى ، طبعة دار الفكر .

١٥) فى ظلال القران ، تأليف سيد قطب ، الطبعة الشرعية العاشرة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) دار الشروق .

١٦) تفسير القران الحكيم ، المشتهر باسم " تفسير المنار " للشيخ محمد عبده تأليف السيد محمد رشيد رضا ، الطبعة الرابعة ، مكتبة القاهرة .

١٧) تفسير القرآن العظيم ، للامام اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ط(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) طبعة دار المعرفة بيروت .

١٨) تفسير القرآن الكريم ، تأليف الشيخ محمود شلتوت ، ط:٤ (١٩٦٦م) دار العلم .

١٩) التفسير القرآنى للقرآن ، تأليف عبدالكريم الخطيب ، طبعة دار الفكر العربى .

٢٠) التفسير القيم ، للامام ابن القيم ، جمعه/محمد لويس الندوى ، حققه/محمد حامد الفقى ، ط(١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الكتاب العلمية ، بيروت .

٢١) التفسير الكاشف ، تأليف محمد جواد مغنيه ، الطبعة الثالثة (١٩٧٨م) دار العلم.

٢٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ، تأليف ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، ط دار المعرفة بيروت .

٢٣) تفسير محاسن التأويل ، المسمى بتفسير القاسمى ، تأليف محمد جمال الدين القاسمى ، ط ٢ (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر ، بيروت .

٢٤) تفسير المراغى ، تأليف احمد مصطفى المراغى ، ط:٣(١٣٩٢هـ - ١٩٧٤م).

٢٥ تفسير المؤمنين ، اعده عبد الودود يوسف ، راجعه الدكتور مصطفى الخن ، ط : دار الرشيد ، دمشق .

٢٦) التفسير الواضح ، تأليف الدكتور محمد محمود حجازى ، ط:٦(١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة .

٢٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، تأليف الدكتور محمد سيد طنطاوى ، ط(١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) مطبعة السعادة .

ثانيا :كتب الحديث:

٢٨ صحيح البخاري ، لابى عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، ط(١٩٧٩) ، المكتبة الاسلامية استانبول ، تركيا .

٢٩) صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، حققه ورقمه/محمد فؤاد عبدالباقى ط(١٣٧٤هـ - ١٩٥٣م) دار احياء التراث العربى .

٣٠) سنن ابى داود للامام سليمان بن الاشعث السجستانى الازدى ، اعداد وتعليق/عزت عبيد الدعاس ، ط ١ (١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م) دار الحديث ، حمص سوريا .

٣١) سنن الترمذى ، للامام الحافظ ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، حققه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان ، ط : ٢(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣؟) دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٣٢) سنن النسائى ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الامام السندى ط:١(١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،

٣٣) سنن ابن ماجة ، للحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى حقق نصوصه ورقم كتبه وابوابه واحاديثه/محمد فؤاد عبدالباقى ، ط(لايوجد) دار احياء التراث العربى .

٣٤) مسند الامام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال ط(لايوجد) دار صادر بيوت .

٣٥) التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول ، تأليف الشيخ منصور على ناصف ، ط : (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) دار الفكر .

٣٦) المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى ، ابتدأ ترتيبه ونشره ونسنك وفنسخ ط(١٩٦٧) مطبعة بريل فى مدينة ليدن .

٣٧) رياض الصالحين ، للامام ابىزكريا يحيى بن شرف النووى ، حققه وخرج احاديثه عبد العزيز رباح واحمد يوسف الدقاق ، ط:٣ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠) دار المأمون للتراث دمشق .

٣٨) دليل الفالحين لطرق رياض الصحين ، تأليف محمد بن علان الصديقى ، طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت .

ثالثا : كتب التراجم :

٣٩ اسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لعز الدين بن الاثير ابى للحسن على بن الجوزى ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد ، كتاب الشعب .

٤٠) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، لابي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق محمد علي البيجاوي ، ط:(لايوجد)، مطبعة النهضة ، مصر الفجالة ، القاهرة.

٤١) الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد علي البيجاوي، طبعة دار النهضة مصر ، القاهرة .

٤٢) الأعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة والسادسة.

٤٣) بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاه ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط:(١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٤٤) تاريخ بغداد ، للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، ط:١(١٣٤٩هـ ١٩٣١م) مكتبة الخانجي بمصر .

٤٥) تهذيب التهذيب ، للحافظ احمد بن حجر العسقلاني ط:١ ، دار صادر بيروت .

٤٦) جامع كرامات الاولياء ، تأليف يوسف بن اسماعيل النبهاني، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، ط:٢(١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

٤٧) الجرح والتعديل ، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس ابن المنذر الرازي ت:٣٢٧هـ، ط١ (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) دار الكتب العلمية بيروت

٤٨) جمهرة الاولياء ، تاليف السيد محمود ابو الفيض المنوفي الحسيني، ط:١ (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة .

٤٩) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، الحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٠) خلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، لصفي الدين الخزرجي ، تحقيق محمود فايد ، مكتبة القاهرة .

٥١) صفة الصفوة ، لجمال الدين بن الجوزي ، تحقيق محمد فاخوري ومحمد رواس ، ط:٣(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار المعرفة ، بيروت .

٥٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، لابي الفلاح عبدالرحمن عبدالحي بن العماد الحنبلي ، ط(لايوجد) المكتب التجاري ، بيروت .

٥٣) سير اعلام النبلاء ، للامام ابي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ، ط:١(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٥٤) طبقات الشعراني، المسمى بلواقح الانوار في طبقات الاخيار ، تأليف عبد الوهاب بن احمد ، المعروف بالشعراني وبالهامش الانوار القدسية في بيان اداب العبودية ، ط: (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

٥٥) طبقات المفسرين ، لجلال الدين السيوطي ، ط(١٨٣٩هـ) ليدن .

٥٦) طبقات المفسرين ، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد الداودي ، تحقيق علي محمد عمر ط: ١(١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) مكتبة وهبة .

٥٧) طبقات الصوفية ، لابي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد السُّلَمِيّ ، تحقيق نور الدين شربيه ، ط: ١(١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م) مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

٥٨) لسان الميزان ، للامام الحافظ احمد بن حجر العسقلاني ، ط: ٢(١٣٩٠هـ - ١٩٧١م) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت .

رابعا: كتب اللغة :

٥٩) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، تحقيق محمد علي النجار ، طبعة المكتبة العلمية ، بيروت .

٦٠) ترتيب القاموس المحيط ، للاستاذ طاهر احمد الزاوي ، الطبعة الثانية ، عيسى البابي الحلبي .

٦١) الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، لاسماعيل بن حماد الجوهري ط(لايوجد) دار العلم للملايين ، بيروت .

٦٢) قاموس القرآن او اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لحسين بن محمد الدامغاني ، حققه ورتبه عبدالعزيز سيد ، ط: ٤(١٩٨٣م؛ ١٤٠٣هـ) طبعة دار العلم للملايين بيروت .

٦٣) القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ط: (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) مؤسسة الرسالة بيروت .

٦٤) لسان العرب ، لابن منظور ، ط(لايوجد) دار المعارف .

٦٥) معجم مقاييس اللغة ، لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، ضبط عبدالسلام هارون ط(لايوجد) دار الكتب العلمية ، ايران قم .

٦٦) المعجم الوسيط ، تأليف مجمع اللغة العربية ، ط(لايوجد) احياء التراث العربي قطر .

٦٧) نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لجمال الدين ابي الفرج بن الجوزي تحقيق عبدالكريم الراضي ، ط:١(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) مؤسسة الرسالة

خامسا : كتب العقيدة :

٦٨) الامد الاقصى ، للقاضي ابي زيد الدبوسي ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ط(لايوجد) دار الكتب العلمية بيروت .

٦٩) الجديد في شرح كتاب التوحيد ، لمحمد بن عبدالعزيز القرعاوي ، ط:٢(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) مكتبة التوفيق بالرياض .

٧٠) جامع الرسائل ، لابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، ط:١(١٣٨٩ - ١٩٦٩) مطبعة المدني العباسية القاهرة .

٧١) شرح العقيد الطحاويه ، العلامة ابن ابي العز الحنفي ، ط:١(١٣٩٢هـ -) طبعة المكتب الاسلامي .

٧٢) صيد الخاطر ، للامام ابن الجوزي ، راجعه على الطنطاوي وحققه ناجي الطنطاوي طبعه دار الفكر بدمشق .

٧٣) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين لمحمد الغزالي ، ط:٢(١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م) دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٧٤) الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد ، تاليف خالد محمد على الحجاج حققه عبد الله ابراهيم الانصاري ، ط(لايوجد) احياء التراث الاسلامي قطر .

٧٥) كفاية المعتقد ونكاية المنتقد ، تأليف عبدالله بن اسعد اليافعي ، تحقيق ابراهيم عطوه عوض ط(لايوجد) مصطفى البابي الحلبي واولاده .

٧٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبدالرحمن بن حسن ال الشيخ ، تحقيق محمد حاد الفقي ، ط(لايوجد) المكتبة الثقافية ، بيروت .

٧٧) في ظلال العقيدة كلمات واراء ، تأليف محمد عبدالمجيد احمد ، ط:١ ، مكتبة وهبة القاهرة .

٧٨) عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تأليف احمد عصام الكاتب ، ط:١(١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت .

٧٩) عقيدة المسلم ، تأليف محمد الغزالي ، ط(لايوجد) مطبعة حسان القاهرة ، دار الكتب .

٨٠) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ، تأليف الصح بن ابراهيم البليهي ، ط:٢(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

٨١) عقيدة المؤمن ، لابى بكر جابر الجزائرى ، ط:٤(١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار الشروق جدة .

٨٢) الروح ، لشمس الدين ابى عبدالله بن قيم الجوزية ، ط:١(١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيميه ، طبع بامر خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبدالعزيز ، اشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين لسنة ١٤٠٤هـ) يوزع مجانا .

٨٤) مختصر زاد المعاد ، للامام ابن قيم الجوزية ، تأليف محمد بن عبدالوهاب صححه عبدالله الجبرين ومحمد السمهرى ، ط(لايوجد) .

٨٥) المستظرف فى كل فن مستظرف ، لشهاب الدين ابى الفتح الابشيهى ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قمحه ، ط(لايوجد) دار الكتب العلمية .

٨٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول فى علم التوحيد ، للشيخ حافظ بن احمد حكمى ، ط (لايوجد) المطبعة السلفية ومكتبتها

٨٧) من مفاهيم القرآن فى العقيدة والسلوك ، تأليف الدكتور محمد البهى ، ط:١(١٩٧٣- ١٣٩٣هـ) مطبعة الاستقلال الكبرى .

سادسا : كتب السيرة

٨٨) امتاع الاسماع ، للمقريزى ، تصحيح وشرح محمود شاكر ، ط:٢ ، لشؤون الدينية بدولة قطر .

٨٩) حياة الصحابة ، لمحمد يوسف الكاندهلوى ، ط (لايوجد) دار المعربة ، بيروت .

٩٠) السيرة النبويه ، لابن هشام حققها وضبطها مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، ط (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م) مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر

٩١) فقه السيرة ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، ط:٢(١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) دار الفكر .

٩٢) قصص الانبياء ، للامام ابى الفداء بن كثير ، ط:١(١٩٨١ - ١٤٠١هـ) مطبعة دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية .

٩٣) قصص الانبياء ، لعبد الوهاب البخارى ، ط(لايوجد) دار الفكر .

٩٤) مع الانبياء في القرآن الكريم ، تاليف عفيف عبدالفتاح طباره ، ط:٥ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار العلم للملايين ، بيروت •

٩٥) النبوه والانبياء ، لمحمد علي الصابوني ، ط:٢(١٤٠١هـ - ١٩٨١م) •

سابعا : كتب التصوف:

٩٦) احياء علوم الدين ، لابي حامد الغزالي ، ط(١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م) عيسى البابي الحلبي واولاده بمصر •

٩٧) ادب النفوس ، لابي عبدالله حارث بن اسد المحاسبي ، دراسة وتحقيق عبدالقادر احمد عطا ، ط (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار الجيل ، بيروت •

٩٨) الاربعون الصغرى ، للحافظ ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد نـور المراغي ، ط(لايوجد) احياء التراث الاسلامي ، الدوحة قطر •

٩٩) الاكتساب في الرزق المستطاب ، تأليف محمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق محمود عرنوس ، ط:١(١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) دار الكتب العلمية ، بيروت •

١٠٠) اعلام التصوف في الاسلام ، تأليف الدكتور محمد جلال شرف ، ط(لايوجد) دار الجامعات المصرية •

١٠١) بهجة قلوب الابرار وقرة عيون الاخيار في شرح جوامع الاخبار ، للشيخ عبدالرحمن السعدي ، ط (١٤٠٥هـ) الرياض •

١٠٢) التنوير في اسقاط التدبير ، لابن عطا الله السكندري ، ط (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) مطبعة محمد علي صبح واولاده القاهرة •

١٠٣) الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ، للحارث بن اسد المحاسبي ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، ط(لايوجد) مكتبة القرآن القاهرة •

١٠٤) التعريف لمذهب اهل التصوف ، تأليف ابوبكر محمد الكلاباذي ، حققه محمود امين النواوي ، ط:٢(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مكتبة الكليات الازهرية •

١٠٥) تهذيب موعظه المؤمنين في احياء علوم الدين ، محمد جمال الدين القاسمـي ، ط(لايوجد) دار عمر بن الخطاب ، الاسكندرية •

١٠٦) الرسالة القشيرية ، للامام ابي القاسم عبدالكريم القشيري ، تحقيق د • عبدالحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، ط(لايوجد) دار الكتب الحديثة القاهرة •

١٠٧) شفاء القلوب ، لمحمد كامل عبدالرحيم ، ط(لايوجد) مكتبة عالم الكتب •

١٠٨) الفوائد لابن قيم الجوزية ، تخريج وحواشي احمد راتب عرموش ، ط(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار النفائس .

١٠٩) التصوف والمتصوفة في مواجهة الاسلام ، لعبد الكريم الخطيب ، ط(١٩٨٠) دار الفكر .

١١٠) التصوف الاسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته واثره ، تأليف احمد توفيق عياد ، ط(١٩٧٠م) مكتبة الانجلو المصرية .

١١١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، لابي طالب المكي ، ط(لايوجد) مصطفى البابي الحلبي .

١١٢) قضايا التصوف الاسلامي ، تأليف الدكتور عبد الله حسن زروق ، ط (لايوجد) دار الفكر الخرطوم .

١١٣) لواقح الانوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، تاليف سيدي عبدالوهاب الشعراني ، ط(١٣٨١هـ - ١٩٦١م) مصطفى البابي الحلبي .

١١٤) اللمع في التصوف ، تاليف ابي نصر عبدالله الطوسي ، صححه نولد الن نيكلسون ط (١٩١٤م) في لندن .

١١٥) مختصر منهاج القاصدين ، للامام احمد بن قدامة المقدس ، خرج احاديثه وعلق عليه/ عبد الله الليثي الانصاري ، ط(١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) دار الفكر ، بيروت .

١١٦) معجم مصطلحات الصوفية ، للدكتور عبد المنعم الحنفي ، ط:١(١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) دار المسيرة ، بيروت .

١١٧) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تأليف احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، ط (لايوجد) داز الباز ، مكة المكرمة .

١١٨) منهاج اليقين في شرح كتاب ادب الدنيا والدين ، للامام ابي الحسن البصري الماوردي ، شرح خان زاده ، ط (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) الكتب العلمية

١١٩) منهاج العابدين ومعه الكشف والتبين وبداية الهداية ، لابي حامد الغزالي حققها وعلق عليها الشيخ محمد محمد جابر ، ط (لايوجد) .

١٢٠) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط(١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) السنة المحمدية ، القاهرة .

١٢١) المسائل في اعمال القلوب والمكاسب والعقل ، تحقيق عبدالقادر عطا ، ط (لايوجد) عالم الكتب ، القاهرة .

١٢٢) نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس ، للحافظ جمال الدين ابى الفرج عبدالرحمن ابى الجوزى ، صححه وعلق عليه نخبة من علماء الازهر ، ط(لايوجد) ادارة الطباعة المنبرية ، القاهرة٠

١٢٣) نشأة التصوف الاسلامى ، تأليف الدكتور ابراهيم بسيونى ، ط(لايوجد) دار المعارف بمصر ٠

١٢٤) نزهة المجالس ومنتخب النفائس ، للشيخ عبدالرحمن الصفوى ، ط (لايوجد) المكتبة الشعبية ، بيروت ٠

ثامنا : الكتب الثقافية

١٢٥) الاسلام فى قفص الاتهام ، تأليف شوقى ابو خليل ، ط:٣(١٣١٧هـ - ١٩٧٧م) ، دار الفكر بدمشق ٠

١٢٦) الاسلام دين الفطرة والحرية ، الشيخ عبدالعزيز جاويش ، ط(لايوجد) دار المعارف بمصر ٠

١٢٧) الايمان واثره فى حياة الانسان ، للدكتور حسن الترابى ، ط:٢ منشورات العصر الحديث ٠

١٢٨) الايمان والحياة ، تأليف يوسف القرضاوى ، ط(لايوجد) دار المعرفة ، الدار البيضاء ٠

١٢٩) آداب المسلم فى العادات والعبادات والمعاملات ، تأليف محمد سعيد مبيض ، ط:٢(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار ابن كثير ٠

١٣٠) الاخلاق فى الاسلام ، للدكتور محمد يوسف موسى ، ط (١٩٦٠م - ١٣٧٨هـ) مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ٠

١٣١) الادب النبوى ، لمحمد عبد العزيز الخولى ، ط:٧(١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ٠

١٣٢) الاخلاق ، للسيد عبدالله شبر ، دققه جواد شبّر ، ط (١٩٦٣ - ١٣٨٣هـ) مطبعة النعمان بالنجف الاشرف ٠

١٣٣) الاخلاق عند الغزالى ، تاليف زكى مبارك طبعة (لايوجد) دا الكاتب العربى ، القاهرة ٠

١٣٤) اهمية الجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية والرد على الطرائق الضالة فيسه ، تأليف الدكتور على بن نفيع العليانى ، ط ١(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار طيبه ، الرياض ٠

١٣٥) الجهاد في سبيل الإسلام حقيقته وغايته ، تأليف الدكتور عبدالله بن احمد القادري ، ط٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار المناره جدة .

١٣٦) الخلق الكامل ، تأليف محمد احمد جاد المولى بك ، ط١ (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) المطبعة العثمانية المصرية .

١٣٧) الثقافة الاسلامية في ضوء القرآن والسنة ، للدكتور شعبان محمد اسماعيل ط (لايوجد) الربيع بالرياض .

١٣٨) خلق المسلم ، لمحمد الغزالي ، ط (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) دار البيان الكويتي .

١٣٩) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، تأليف ادم متز ، نقله للعربية محمد عبد الهادي اوريده .

١٤٠) روح الدين الاسلامي ، لعبد العفيف طباره ، الطبعة ٢٣ ، دار العلم للملايين .

١٤١) الدستور القرآني والسنة النبوية في شؤون الحياة ، تأليف محمد عزه دروزه .

١٤٢) مختصر زاد المعاد ، للامام ابن قيم الجوزية ، تاليف محمد بن عبدالوهاب صححه عبدالله الجبرين ومحمد السمهري ، ط(لايوجد) .

١٤٣) المرشد في الدين الاسلامي ، وزارة المعارف العمومية ، ط(لايوجد) الاميرية بالقاهرة .

١٤٤) قطوف في الادب النبوي ، مع مقدمة في علوم السنة والحديث ، لرياض صالح جنزولي ، ط(لايوجد) دار القرآن الكريم ، بيروت .

١٤٥) منار الاسلام ، العدد التاسع ، السنة التاسعة ، رمضان (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) شهر يونيه .

١٤٦) من اخلاق النبي ، لاحمد محمد الحوفي ، ط(١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) لجنة التعريف بالاسلام الكتاب الاربعون

١٤٧) من هدى سورة الانفال ، للدكتور محمد امين المصري ، ط(لايوجد) دار الارقم الكويت .

١٤٨) مناهل العرفان في علوم القرآن ، بقلم الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ، ط(لايوجد) دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٤٩) موسوعة اخلاق القرآن ، تأليف احمد الشرباصي ، ط(لايوجد) الرائد العربي ، بيروت .

١٥٠) وسائل النصر في القرآن والسنة ، للدكتور محمد جمعة عبدالله ، ط١(١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) القاهرة .

فهرس الموضوعات

<u>الفصل الرابع</u> : نماذج من اهل التوكل فى القرآن الكريم

<u>الفصل الخامس</u> : شبهات وآراء خاطئة حول التوكل

"تم بحمد الله"